حركة التجديد والإستنهاض

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى منارات الفجر.. وهداة الدرب....

إلى السبّاقين.. فى التضحية والعطاء..

إلى الأسماء التى تلألأت فى عالم الشهادة..

والى الأسماء التى بقيت مجهولة أو مكتومة..

الإستشهاديين العظام الذين تتلمذوا على يد الإمام الخمينى

ونهلوا من فكره وهاموا فى حبه وولائه...

إلى الشهداء الذين فتحوا عصر الاستشهاد فكان النصر ثمرة دمائهم

إلى شهداء المقاومة الإسلامية فى لبنان

أهدى هذا العمل المتواضع ليساهم فى نشر وتثبيت خط الشهادة

الذى بدونه لا بقاء للأمة.

المؤلف فى سطور

عبد الله احمد قصير, دير قانون النهر, قضاء صور.

مواليد 1957م النجف الأشرف.

أنهى الدراسة الثانوية عام 1987م.

درس مقدمات علم النحو والمنطق والفقه فى النجف الاشرف بين عامى 976ـ1978.

حائز على دبلوم العلوم الاجتماعية, الجامعة اللبنانية عام 1993م.

حائز على شهادة الجدارة فى علم الاجتماع السياسى عام 1993م.

نال دبلوم الدراسات العليا (الماجستير) فى علم الاجتماع السياسى عام 1999م, الجامعة اللبنانية.

تولى العديد من المسؤوليات فى "حزب الله" منذ التأسيس وحتى اليوم.

انتخب عضواً فى شورى حزب الله لدورتين متتاليتين (1992ـ1997م).

انتخب نائباً عن الجنوب عن قضاء صور فى الانتخابات النيابية عام 1996.

عضو كتلة الوفاء للمقاومة.

عضو لجنتى الدفاع والأمن والداخلية النيابية.

عضو لجنة الزراعة والشؤون البلدية والسياحية والنيابية.

متزوج ولديه ستة أولاد.

المقدمة:

سجل لنا التاريخ العديد من حركات النهوض التى قام بها مفكرون وعلماء مسلمون بهدف الإصلاح والتغيير والتجديد سبقت حركة الإمام الخمينى ونهضته, وكان لها آثار إيجابية متفاوتة, لعل أبرزها وأهمها إبقاء روح النهضة حيّة فى نفوس تيار من المسلمين, وإن كان ضعيفاً نسبياً, ويبقى الأمل يراود الأمة فى أن تستعيد موقعها الحضارى يوماً ما.

إلاّ أن ما حدث على يد الإمام الخمينى يبقى نقطة تحوّل مهمة فى تاريخ العالم بشكل عام والمسلمين بشكل خاص, فما حصل كان دخول المشروع الإصلاحى والنهضوى الإسلامى, لأول مرة فى التاريخ الحديث, المرحلة العملية, متمثلاً بقيام الدولة الإسلامية فى إيران, التى تسعى لجعل المشروع الإسلامى متحركاً على أرض الواقع, وليصبح للإسلام السياسى حضور فاعل يفرض نفسه على المعادلات السياسية العالمية والإقليمية.

إن موضوع النهضة الإسلامية فى إيران سيبقى من الموضوعات التى يحتاج الباحثون والمفكرون إلى مقاربتها ودراستها لاستكشاف أبعادها وعوامل بلورتها ونجاحها, وهى أبعاد حيوية وذات فاعلية ترتبط بحياة الأمة ومستقبلها, وبتجربة الإسلام السياسى فى القرن العشرين وقياداته الفكرية وعلمائه المجددين.

فقيام الدولة الإسلامية فى إيران أعطى بعداً سياسياً مجتمعياً وعملياً للمشروع الحضارى الإسلامى أكد أهمية استقصاء جميع أبعاده من قبل الباحثين بما هو تجربة معاشة، لها خصائصها التى تميزت عن غيرها من الزعامات بمجموعة من الخصائص التى تستحق الدرس والنظر.

لذلک تعتبر دراسة فكر الإمام الخمينى وآرائه فى قضايا الدين والحياة والاجتماع الإنسانى أمراً ضرورياً وملحاً, يكتسب ضرورته من أهمية التعرف إلى فكر هذا القائد الذى استطاع إحداث تحولات فكرية وسياسية فى مسار الحياة العامة للمسلمين فى مواقع انتشارهم الجغرافى، وفى المجتمعات الدولية التى يقيمون فيها, فضلاً عن تأثيراته السياسية والفكرية فى العالم, وذلک من خلال قيادته ثورة إسلامية شعبية تمكنت من إنشاء نظام حكم سياسى مغاير للكثير من النظم السياسية السائدة فى عصره.

وتنبع تلك الأهمية أيضاً من أن هذا الفكر الموجود فى صحائف الكتب, إذ لم يضف الإمام جيداً على أصوله وثوابته, وجلّ ما قام به هو نفخ الروح وبعث الحركة فى فكر موجود, والعمل على تطبيقه وتحريكه فى عقول الناس وأفئدتهم إلى منابعه الأصلية, مع ما يستلزم من إلغاء المسافة بين الدين والسياسة فـ(عودة الإسلام إلى الحياة وعودة الأمّة الوسط لممارسة دورها على الساحة البشرية, وعودة كيانها المسلوب يفرض أولا القضاء على فكرة انفصال الدين عن السياسة)١.

إن الإطلالة على هذه الشخصية تصبح من الأهمية بمكان حين نجد مستوى تأثيرها العالمى, ومدى توالى تلك التأثيرات خلال حياة الإمام وبعد وفاته, خاصة إذا ما لاحظنا ندرة ما تحويه المكتبة العربية من كتب علمية دقيقة تعالج الفكر السياسى لتلك الشخصية، إذ لا يعدو معظم ما كتب كونه توثيقاً لخطابات الإمام أو لسيرة حياته، ولأحداث الثورة وعلاقته بها٢.

وبرغم العديد من المقالات والدراسات التى نشرت حول الإمام الخمينى والتى كتبت بأقلام أصدقائه أو أعدائه أو المحايدين, مسلمين وغير مسلمين, إلا أن أحداً لا يمكنه أن يزعم بأنه استطاع أن يقدم أو يتناول جميع أفكار الإمام ونهجه ونهضته, وهذا لا يعنى أن شخصية الإمام وحركته مبهمة أو مشوشة لا يمكن التقاط أبعادها ومضامينها, بل هى واسعة الأبعاد, شمولية فى مضمونها وعميقة فى غورها.

وبرغم صعوبة تناول كل بعد من الأبعاد على حدة وتفسير وبلورة النظريات فيه, فإن اختلاف اهتمامات الكتّاب الذين قاربوا فكر الإمام ونهضته, أنتج اختلافاً فى مناهج تناول شخصيته ونهضته, فنرى أن الفقهاء وعلماء الدين أخذوا البعد الفقهى والعلمى, والعرفاء تناولوا البعد العرفانى فى شخصيته وفكره, وهكذا علماء السياسة والاجتماع والقانون, تناول كل منهم شخصية الإمام الخمينى من خلال بعد مُعيَّن.

---

١ . الإمام الخميني, الفصل بين الدين والسياسة, وزارة الإرشاد الإسلامي, طهران, 1985م, ص4.

٢ . توجد مجموعة مقالات للأستاذ حسن الصفار نشرت في مجلة الثورة الإسلامية (1981), ومقالات عديدة في مجلات مختلفة نذكر منها (التوحيد, العهد والمنطلق), وكتاب للدكتور سمير سليمان (الإمام والمشروع الحضاري الإسلامي) , وكتاب للدكتور مصطفى الرفاعي (الإمام الخميني . سيوسيولوجيته وسيكولوجيته)، وكتاب لحميد الأنصاري (حديث الانطلاق . نظرة في الحياة العلمية والسياسية للإمام الخميني من الولادة حتى العروج).

ونحن اليوم نحاول أن نتناول جانب التجديد فى فكر الإمام, الذى استندت إليه حركته وثورته, وأنتجت عملية الاستنهاض فى صفوف الأمة, تلك التى ما زالت إرهاصاتها وأصداؤها تتردد بأشكال وتعابير مختلفة على امتداد العالم الإسلامى.

ومما لا شك فيه أن المشروع الذى حمله الإمام الخمينى منذ بداية تحركه كان مشروعاً نهضوياً يحمل فى طياته رغبة قوية فى إحداث تغيير فى البنى والأسس النظرية التى تستند إليها التشكلات السياسية, وفى الواقع الاجتماعى الذى يشكل قناة الارتكاز للمشروع والتشكل السياسيين.

لذا فإن النهوض لم يكن وليد طفرة اجتماعية أو سياسية, ولم ينشأ كرد فعل على حدث سياسى آتى, أو كمشروع مقاومة لممارسات التشكل السياسى فى لحظة معينة, أو عملية نسف لظاهرة اجتماعية مرفوضة من قبل صاحب المشروع فقط, بل كان أيضاً مشروعاً شاملاً ومتكاملاً يأخذ بعين الاعتبار الكثير من عناصر الواقع القائم فى تجلياته الاجتماعية والفكرية والسياسية التى تشكو من خلل بنيوى وعملى تحتاج لإعادة تقويم لمصلحة مشروع الإسلام الحضارى الشامل.

من هنا نطل على المشروع النهضوى بمنهج فهم العام للوصول إلى معرفة الخاص, ذلك إن الإطلالة على البنية الكلية لفكر الإمام تساعدنا على فهم التجديد الفقهى عنده, وحيث لا يمكن فهم التجديد الفقهى بمعزل عن فهم الإمام للسياسة والفقه.

إن النظر إلى جزئيات حركة الإمام ومشروعه من دون لحظ الملامح العامة للمشروع, ومن دون التعرف إلى النسيج الذى يربط هذه الجزئيات بعضها ببعض يعتبر عملاً مجتزئً لا يستطيع أن يصل إلى فهم هذه الجزئيات وإدراكها إدراكاً كاملاً وواقياً كما أن العلاقة الجدلية القائمة بين الواقع المعاش والوعى المتنامى لا يمكن إغفاله فى قراءة مراحل المشروع وحركته المتصاعدة.

فكما أن إفرازات الواقع تؤثر فى حركة الوعى عند صاحب المشروع النهضوى, فإن هذا الوعى عنده يتنامى فى تطور مطّرد لقراءة الواقع والغوص فى أبعاد وخلفيات البنى الفكرية والاجتماعية التى تستند إليها صيرورة هذا الواقع, وهذا ما يفرض على الباحث الإطلالة التاريخية على المؤسسة الدينية التى تخرّج منها

حامل لواء هذه النهضة, كما لا بد من الإطلالة التاريخية على الظروف السياسية التى عاشتها إيران قبل النهضة وأثرها فى تهيئة العوامل المساعدة على قيامها.

بعد هذا كله نرى أن المدخل الطبيعى لقراءة الفكر السياسى للإمام الخمينى يمر عبر التعرف إلى شخصيته والظروف التى أحاطت بشأنه, وما تراكم من عوامل ذاتية وفكرية اجتماعية وسياسية أعطته تلك الشخصية القيادية, بعدها يمكن الانتقال إلى التعرف إلى المشروع الفكرى والحضارى الذى يحمله, وكيف عمل على إعادة إحياء هذا المشروع القديم الجديد للإسلام "المحمدى الأصيل"٣, عبر نفث الروح فى طريقة التدريس المنعدمة فى الحوزات, وفى منهجية الدراسة للعلوم الإسلامية, وكيف نفض الغبار عن المفاهيم السياسية للإسلام التى يختزنها هذا المشروع.

لقد حمل الإمام مشروع" الإسلام المحمدى الأصيل" كما عبر عنه هو نفسه, ليكون منهجاً حياتياً للمجتمع الإسلامى ليس فى إيران فحسب, بل إن دعوته وخطابه المستخدم فى الدعوة الإسلامية وتطبيقه العملى تجاوزت حدود الجغرافيا لتحاكى كل المسلمين فى العالم, حكومات وأنظمة وشعوباً.

بل أكثر من ذلك لقد تجاوزت الحواجز الطائفية والدينية فى كثير من الأحيان لتخاطب الإنسان فى العالم, كما نجد فى خطاباته الموجهة إلى "البابا" والى "غورباتشوف" والى "مستضعفى العالم" عندما يقول: (لقد أعلنا مراراً أن سياستنا الإسلامية الخارجية والدولية, تسعى جادة لتوسيع تأثير الإسلام فى العالم, وتقليص سلطة ناهبى الشعوب)٤.

---

٣ . الإسلام المحمدي الأصيل عبارة لازمت كل حديث أو خطاب أو كتابة للإمام عن الإسلام, وذلك لتمييزه عن إسلام المذاهب والطوائف والتيارات الإسلامية المشوّهة أو التي أدخلت إلى الإسلام ما ليس منه, راجع مختارات من أقوال الإمام الخميني ترجمة محمد جواد المهري . اصدار وزارة الإرشاد الإسلامي الطبعة الأولى . طهران 1982م.

٤ . الإمام الخميني, خطاب بمناسبة مرور عام على مجزرة مكة . مجلة التوحيد, العدد 36 ص35, 1988م.

وهو يؤكد طرح الإسلام الشامل للإنسانية فى العالم: (فثورة إيران لا تختص بإيران, لأن الإسلام لا يقتصر على شعب معين فالإسلام جاء إلى البشرية كافة, والنهضة الإسلامية لا تستطيع أن تكون محدودة ببلد ولا بالعالم الإسلامى أيضاً, لأنها امتداد لنهضة الأنبياء)٥ .

إن معالجة الفكر السياسى للإمام الخمينى, يقتضى من الباحث التعرف على الفكر السياسى الشيعى ومفهوم الإمامة, وروحية الرفض التى عُرف بها أئمة الشيعة وعلمائهم والذين غالباً ما كانوا فى مواقع المعارضة للحكم القائم من خلال الحقبات التاريخية التى قام بها حكم الإسلام، والتى غالباً ما قامت وفقاً للفكر السياسى لأهل السنة من المسلمين.

كما يحتاج الأمر أيضاً إلى بذل جهود كبيرة واستثنائية لجمع آثار الإمام وخطاباته والمنشورات التى تضمنتها ليتسنى له الإطلاع والإحاطة برؤى الإمام فى مختلف الموضوعات, حيث لم يفرد الإمام فى كتاباته عناوين الفكر السياسى, بل تركزت الكتابات فى موضوعات الفقه والأخلاق والعرفان والتفسير.

وفيما عدا كتاب الحكومة الإسلامية المتضمن مجموعة من خطب ودروس له, نجد أن النص السياسى للإمام جاء فى خطابات وأحاديث نشرت فى صحف ومجلات وجمعت أحياناً مع نصوص أخرى فى مجموعة واحدة, أو جاءت مندكة فى بحوث أخلاقية أو فقيهة, مما يستدعى التقاطها من مصادر متعددة والبحث عنها فى مجمل خطبه وأحاديثه فى مناسبات شتى.

ولقد قادتنى الرغبة الشديدة فى معرفة حقيقة الفكر السياسى للإمام وسر نجاح نهضته إلى المضى فى هذه المحاولة, فوجدت نفسى بعد القراءة الأولية للمعطيات أمام عنوانين أساسين يشكلان المدخل الطبيعى لقراءة فكر الإمام السياسى, هما: التجديد والاستنهاض.

ذلك أن الاستنهاض الذى أحدثه الإمام وفكره السياسى كان يرتكز على العلمية: وهى تشكل المستند النظرى والفكرى الواضح والصريح، كما سنرى فى قراءة فكر الإمام السياسى، لعملية الاستنهاض والثورة التى باشرها وواكب مسيرها حتى تأسيس الدولة وتثبيت نهجها الإسلامى.

---

٥ الإمام الخميني، الإسلام طريق العزة والكرامة والكمال الإنساني, كراس من مطبوعات منظمة الإعلام الإسلامي, طهران . 1982م، ص2625, (من حديثه إلى الطلبة السعوديين المقيمين في إيران سنة 1400 هـ).

ولقد اشتمل البحث على قسمين, يعالج أحدهما الإشكالية النظرية أى التجديد فى الفكر السياسى للإمام الخمينى "قده", ويعالج الآخر الإشكالية العلمية أى النهضة الإسلامية وأثر حركة التجديد فيها.

وبرغم أن حركة التجديد لم تك سابقة لحركة الاستنهاض, بل كانا يسيران جنباً إلى جنب فى كثير من الأحيان عند الإمام, فإن الدقة العلمية اقتضت أن نفرد لكل منهما قسماً خاصاً به, فالاستنهاض يأتى عادة مرتكزاً على التجديد فى الفكر والرؤية والتخطيط والبرمجة.

وقد جاء البحث فى قسمين رئيسيين يحوى كل منهما عدة فصول:

القسم الأول: من البحث يحوى أربعة فصول:

الفصل الأول : فى ظروف تكوّن شخصية الإمام ورؤيته التجديدية.

الفصل الثانى: فى معالجة مفهوم التجديد.

الفصل الثالث: فى الفقه السياسى الشيعى والدور السياسى للعلماء والحوزات.

الفصل الرابع: الفكر السياسى عند الإمام الخمينى.

أما القسم الثانى: من البحث فيحوى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: معالجة مفهوم النهضة الإسلامية وجذورها التاريخية.

الفصل الثانى: الواقع السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى إيران قبل انتصار الثورة الإسلامية.

الفصل الثالث: تصور الإمام لحركة النهضة وبرنامجه الاستنهاضى لتغيير الواقع.

إضافة إلى نماذج عملية كالموقف من الصراع مع الصهيونية, ودور رجال الدين فى النهضة, ودور الجامعات فيها.

أما الخاتمة فخلصنا فيها إلى نتائج حركة التجديد والاستنهاض فى الإسلام السياسى والآثار التى تركتها فى الساحة الفكرية والسياسية على مستوى الأمة فى حاضرها, والتوقعات التى يمكن أن تتركها هذه الحركة على المستقبل.

القسم الأول

التجديد فى الفكر السياسى للإمام الخمينى

الفصل الأول: ظروف تكون شخصية الإمام ورؤيته التجديدية.

الفصل الثانى: فى معالجة مفهوم التجديد.

الفصل الثالث: فى الفقه السياسى الشيعى والدور السياسى للطغاة والحوزات.

الفصل الرابع: الفكر السياسى عند الإمام الخمينى"قده".

الفصل الأول

ظروف تكوّن شخصية الإمام "قده" ورؤيته التجديدية

الولادة والنشأة

فى العام (1902) أطل روح الله الخمينى "قده" على العالم فى بيت من بيوت العلم والإيمان, ومن عائلة تنسب إلى سلالة الرسول محمد "ص" فى مدينة خمين فى إيران, عاش يتيم الأب محروماً من حنان الأبوة منذ الشهور الأولى من حياته, عندما قتل الباشوات المدعومين من السلطة آنذاک أباه آية الله السيد مصطفى الموسوى"قده" الذى كان يحتل مركزاً مرموقاً علمياً واجتماعياً فى بلدته.

وقد أمضى طفولته فى رعاية والدته السيدة هاجر سليلة عائلة المرحوم آية الله خونسارى, تساعدها فى تربيته عمته, وقبل أن يكمل سن الخامسة عشر فقد عمته وأمه, فغدا بذلک يتيم الأبوين ليدخل روح الله مرحلة الشباب فى ظروف عائلية قاسية.

بدأ الفتى روح الله رحلته العلمية الدراسية فى سن مبكرة, فدرس آداب اللغة العربية والمنطق والفقه والأصول, متخطياً المراحل الأولى بسرعة وتفوق على أيدى علماء منطقته, لا سيما أخيه الأكبر آية الله

السيد مرتضى بسنديده ٦ منتقلاً من خمين إلى أراک, ثم إلى حوزة قم بعد أن طوى مراحل دراسته للمقدمات والسطوح٧.

وفى العشرين من عمره بدأ فى قم إكمال دراسته وتحصيله للعلوم الإسلامية, ودفعته روحه الوثابة إلى عدم الاكتفاء بدراسة الفقه والأصول والتعمق بهما فدرس علم المعانى والبيان, وكذا الرياضيات والهيئة والفلسفة والعرفان, إضافة للعروض والقوافى والفلسفة الغربية والأخلاق, كل ذلک على أيدى كبار العلماء كالقزوينى واليزدى والأصفهانى والتبريزى والحائرى والبروجردى٨.

وسرعان ما كوّن لنفسه كياناً علمياً ومجالاً عملياً مستقلاً، وأصبح من أبرز علماء قم المجتهدين, وشاع عنه الزهد والتواضع والتعبد والتقوى، وبدأت الحوزة بطلابها وأساتذتها تنجذب إليه, فبرز بين أقرانه مدرساً مميزاً فى آرائه فى الفقه والأصول والفلسفة والعرفان والأخلاق ومنظماً لشؤون حياته الشخصية تنظيماً دقيقاً وشاملاً, وعرف عنه اهتمامه بالوقت واستثماره لكل لحظة منه.

وبرغم كثرة مريديه من العلماء والطلبة للمرجعية, وامتلاكه لآراء متميزة عن سائر المجتهدين لم يسع لتبوّئ هذا المنصب, محافظاً على احترامه الكبير للمراجع وكان يردد دائماً: (إننى كأحد خدام العلماء الأعلام والشعب المسلم، حاضر للتنازل لأصغر الأفراد من أجل المصالح الإسلامية الكبرى ناهيک عن العلماء الأعلام والمراجع العظام كثر الله أمثالهم)[٩].

وقد درّس الإمام فى الحوزة المئات من الطلاب فى قم والنجف, وينقل بعض طلابه أن حوزة الإمام الخمينى فى قم كانت تعد من أفضل المراكز التعليمية، وقد قارب عدد من يحضرون درسه فى الدورات

---

٦ . لقب عُرف به السيد مرتضى, ويعني بالعربية: صاحب الرأي السديد.

٧ . مصطلح يطلق على المرحلة الأولى في الدراسة الدينية في الحوزة, وتشمل: علوم الفقه، الصرف والنحو، والمنطق, وأوليات الفتاوى الفقهية ومبادئ أصول الفقه .

٨ . حديث الأنصاري, حديث الانطلاق "نظرة في الحياة العلمية والسياسية للإمام الخميني " الوحدة الثقافية . بيروت, ط1, 1995م, ص16

٩ الإمام الخميني . مواعظ وعكم من كلامه, الوحدة الثقافية . بيروت , ط1, 1995م, ص307.

الدراسية أكثر من ألف طالب، وخرَج من بينهم العشرات من المجتهدين المعروفين والمعترف باجتهادهم كالشهيد المطهرى و د. بهشتى, وغيرهما من أعلام الثورة والجهاد١٠.

الظروف المحيطة بالنشأة

عايش الإمام الخمينى منذ طفولته أحداثاً جساماً فى بلده إيران والبلاد المجاورة لها, وما رافقها من القضاء على المظهر السياسى للدولة الإسلامية المتمثلة آنذاك بالخلافة العثمانية، فضلاً عن التأثيرات المباشرة للحرب العالمية الأولى على إيران.

وبالتالى فإن شخصية روح الله أخذت تنشأ فى ظل تعدديات سياسية وعسكرية محلية وخارجية، فهو يتذكر ما كان يدور حوله من احداث فى سن السادسة عشرة فيقول: (إننى فى حرب منذ طفولتى, فقد كنا نتعرض لهجمات من قبل أمثال زلقى ورجب على (طائفتين من الأشرار والإقطاعيين) وكنا نمتلك بندقية, وأذكر أنى كنت أقارب البلوغ آنذاك, فكنت أذهب مع البقية لاتخاذ مواقعنا فى الخنادق المعدّة للدفاع ضد هجوم أولئک الذين كانوا يغيرون علينا, نعم كنا نذهب هناک ونتفقد الخنادق).[١١]

فى ظل هذه الأجواء المشحونة بالتحدى والمقاومة للظلم, عايش الإمام أجواء الحرب والاجتياح لبلده فى الحربين العالميتين الأولى والثانية, وهو ممن حملوا فى ذاكرتهم أهوال تلک الحروب فيقول : (إننى أتذكر كلتا الحربين العالميتين.. كنت صغيراً, إلا أنى كنت أذهب إلى المدرسة , وقد رأيت الجنود الروس فى المركز الذى كان فى (خمين) رأيتهم هناک وأذكر كيف تعرضت بلادنا للاجتياح فى الحرب العالمية الأولى). [١٢]

وهكذا بدأ يومى الواقع المتردى الذى يعيشه وطنه فى ظل الاحتلال الروسى لإيران, وقد حمل السلاح واستخدمه وهو فى سن الثامنة عشرة, ودافع عن مدينة (خمين) حيث يقول : (كنت لم اناهز الثامنة عشرة بعد, وكنت أتدرب على البندقية وأحملها, نعم كنا نذهب للتحصن فى الخنادق ونواجه هؤلاء الأشرار الذين

---

١٠ . حميد الأنصاري حديث الانطلاق, مصدر سابق , ص261.

١١ . الإمام الخميني , صحيفة النور (مجموعة خطابات وأحاديث ومقالات الإمام الخميني) وزارة الارشاد الإسلامي . طهران, 1368 هـ. ش, ج10 . ص163, (ترجمة عن اللغة الفارسية).

١٢ . الإمام الخميني, صحيفة النور, المصدر نفسه، ج16, ص92.

كانوا يغيرون علينا لقد كان الوضع متسماً بالفوضى والهرج والمرج, ولم يكن لدى الحكومة المركزية قدرة السيطرة على الأوضاع.. وفجأة سيطروا على خمين فهبّ الناس لمواجهتهم وحملوا السلاح وكنت من بين من حملوا السلاح)[١٣].

وقد عاصر الإمام انقلاب سنة 1924م الذى أسس فيه الملك رضا خان الحكومة الملكية مدعوماً من قبل الإنكليز "حيث تصدت العوائل الاقطاعية تحت مظلة العائلة البهلوية لتأدية دور الباشوات والخوانين الغابرين" ١٤.

بداية العمل السياسى

كان الإمام الخمينى "قده" مولعاً بمتابعة المسائل السياسية والاجتماعية, وشارك فى التصدى للأوامر التى أصدرها الملك رضا خان خلال سنة (1927 م) لتعطيل مراسم العزاء والخطابة الدينية, عندما بادر العلماء إلى الهجرة الجماعية إلى قم, وإقامة اعتصام استمر مئة وخمسة أيام, انتهى بتراجع رضا خان وتعهده بالاستجابة لشروط المعتصمين.

كما شهد الإمام المواجهات التى حصلت فى قم بين العلماء ورجال الشرطة, وعايش ما كان يحصل فى المجالس التشريعية التى كان يعلن فيها العالم المعروف آية الله حسن المدرس, وهو عضو فى المجلس الوطنى, مواقف رافضة لقرارات الحكم الملكى.

تركت هذه الأحداث والمعايشات آثارها الواضحة فى سلوك الإمام, وأكسبته تجربة سياسية, خاصة فى المعارضة للسياسات الملكية, لذا نجده انبرى لمواجهة أوامر الملك رضا خان فى فرض الامتحانات على طلاب العلوم الدينية فى الحوزة العلمية فى قم, وفضح خلفيات هذه الخطوة الهادفة إلى القضاء على الحوزة, برغم أن بعض العلماء استحسن هذه الخطوة أو سكت عنها.

لقد أدرك الإمام مكامن الخلل والخطر على شعبه من خلال إطلاعه على حساسية الظروف السياسية التى كانت تمر بها البلاد, والأوضاع التى تعيشها الحوزة العلمية , وطبيعة حركة التاريخ التى كان يستلهمها

---

١٣ حميد الأنصاري, حديث الانطلاق، مصدر سابق، ص92 .

١٤ . الإمام الخميني، صحيفة النور، المصدر نفسه، ج12, ص136.

من مطالعته المستمرة لكتب التاريخ المعاصر والمجلات والصحف الدورية الصادرة فى ذلك الوقت, ومن خلال ما كان يقوم به من زيارات متوالية إلى طهران لحضور جلسات مجلس الشورى الوطنى فى عهد رضا خان, حيث اطلع على النقاشات والتحالفات السياسية التى كانت تحصل فى المجلس, فاكتسب بذلك معرفة فى المجال والنقاش فى المواضيع السياسية والقانونية التى كانت تجرى داخل المجلس التشريعى.

وزاد من اكتساب الإمام لمزايا سياسية وفكرية معاصرته للعديد من الأحداث التى مرّت بها إيران كالاحتلال من قبل جيوش الحلفاء سنة (1941م) وتراجع الجيش الإيرانى أمام الطلقات الأولى التى أطلقها جيش الحلفاء, وتنازل رضا خان عن العرش ومغادرته البلاد, وصدور قرار تعيين الملك محمد رضا خان من السفارة البريطانية فى طهران، وعايش سنوات حكمه المليئة بالعذابات والعناء والمرارة, فى حين كانت الحوزة العلمية التى ينتمى إليها عاجزة عن تحمل مسؤولياتها الاجتماعية, نتيجة حملات القمع التى شنها عليها رضا خان.

ولكن الإمام الذى كان يعيش الغربة على مستوى الداخل فى الحوزة , إذ كان يعانى من عدم تفهم العلماء والمراجع لضرورة الوقوف والتصدى لما يجرى وتحمل المسؤولية أمام المجتمع، كان يعيش فى الوقت نفسه المعاناة الكبرى وهو يرى الظلم والاستبداد اللاحقين بالمجتمع جرّاء تحكم العائلة الملكية وحاشيتها بالبلاد وتبعيتهم للغرب.

استثمر الإمام تلك الفترة لكتابة ونشر كتابه (كشف الأسرار) سنة 1994م؟؟؟؟؟ الذى تعرض فيه لذكر المآسى التى تميزت بها فترة الحكم البهلوى, والتى استمرت مدة عقدين من الزمن, ودافع فيه عن الحوزة والمؤسسة العلمائية وأزال الشبهات التى أثارها المنحرفين ونوّه فى كتابه هذا بالحكومة الإسلامية وضرورة النهضة لإقامتها.

وفى عام (1944م) أصدر الإمام ما يمكن اعتباره أول بيان سياسى يطالب فيه العلماء, بكل صراحة, والأمة بالثورة العارمة، وبرغم أنه لم يجد تشجيعاً كافياً فى أوساط الحوزة, إلاّ أنه بدأ فى اجتذاب بعض الطلاب من خلال تميز خطابه السياسى ومطالبته بالثورة وهو فى الوقت نفسه كان يظهر حرصاً شديداً على

موقع المرجعيات والحوزات العلمية, ويبذل جهداً فى الدفاع عنها ويحذر من دخول العناصر المنحرفة والمترفة إلى أوساط الحوزات العلمية.

كما سعى لإقامة الاتصالات بالشخصيات السياسية المعارضة فى طهران أمثال آية الله الكاشانى (الذى انتخب ممثلاً عن أهالى طهران فى الدورة السادسة عشرة لمجلس الشورى الوطنى), وواكب الإمام التحالف الذى قام بين آية الله كاشانى والجبهة الوطنية بقيادة مصدق والذى أدى إلى إيصال الدكتور مصدّق لرئاسة الحكومة وقيادة البلاد فى عام (1952م).

ولم تمض فترة طويلة حتى ظهرت ملامح عدم الانسجام داخل الائتلاف, حيث رفض آية الله الكاشانى اقتراح دفع نسبة أو ضريبة للإنكليز, فى حين أن حكومة "مصدق" كانت تميل إلى الموافقة على ذلك, ونتيجة لعوامل أخرى لا مجال لذكرها, استطاع الملك بمساعدة أمريكية أن يقوم بانقلاب ناجح فى آب (1953), ليعود ويمسک بزمام السلطة ويبعد المعارضين.

ويستنتج من خطابات الإمام وكلماته التى قالها حول أحداث الانتفاضة الوطنية, أنه كان مطلعاً على ضعف الائتلاف القائم حينها, وقد شكلت مواكبته لهذه الإحداث تجربة راكمت خبرته فى المجال السياسى, وساعدت أكثر على تكوّن شخصية الإمام ورؤيته للواقع السياسى, فضلاً عن تطور مستواه العلمى فى مجال الدراسات الدينية وصولاً إلى مرتبة المرجعية.

ولم تكن تلک الرؤية محصورة فى الداخل الإيرانى, إنما تعدّتها إلى الوضع الإسلامى فى البلاد المجاورة لتكتسب شخصية الإمام بعدها الإسلامى, كما فى اهتمامه المباشر بالقضية الفلسطينية والصراع مع "إسرائيل" باعتباره صراعاً إسلامياً يهودياً يستوجب تقديم العون والدعم للفلسطينيين, والتنبيه الدائم من الخطر الإسرائيلى المتنامى والممتد إلى داخل إيران أيضاً.

الشرارة الأولى للثورة

فى العام 1962م بدأت بوادر الثورة الشعبية الإسلامية ضد نظام الشاه فى إيران بقيادة الإمام الخمينى, عندما ارتكبت سلطة الشاه فى ذلک العام مجزرة دموية بحق الطلبة فى المدرسة الفيضية فى قم أثناء

احتفالهم بذكرى وفاة الإمام جعفر الصادق "ع", فهاجم عناصر الأمن الرسمى المدرسة بالأسلحة الرشاشة وقتلوا وجرحوا العشرات من طلاب الحوزة واعتقلوا المئات.

فوقف الإمام بصلابة ليحمّل الملک شخصياً وبصراحة المسؤولية الكاملة عن تلک الجرائم وعن التحالف مع إسرائيل, وانتقد الإمام بشدة سكوت علماء قم والنجف وسائر البلاد الإسلامية إزاء جرائم الملک قائلاً: (إن السكوت اليوم بمعنى التضامن مع النظام المتجبر)[١٥] , وأصدر الإمام بيانه الشهير تحت عنوان (محبة الملک تعنى التدمير) وهو من اشد بياناته السياسية صراحة فى معارضة السلطة, واضعاً الملک فى قفص الاتهام, ومؤكداً فى ختام البيان تحريم " التقية " فى مثل هذه الظروف, وإن إظهار الحقائق واجب " ولو بلغ ما بلغ".

وكتب الإمام الخمينى بيانه مخاطباً الملک ورجال السلطة: (لقد أعددت اليوم قلبى لتلقى طعنات حراب أزلام الملک راضياً بذلک, ولكنى لن أرضى بقبول الظلم، ولن أرضى بالخضوع أمام تجبر النظام)[١٦].

ثم جاءت صرخته فى العام نفسه ـ وفى ذكرى أربعين المذبحة الفيضية ـ بتحريم مراسم الاحتفال بعيد (النوروز) ورفضه التدخلات الأمريكية فى شؤون إيران الداخلية, واستنكاره التحالف بين الملک واسرائيل, لتهيّئ الأجواء أمام انتفاضة عاشوراء (5 حزيران 1963) العارمة فى طهران والعديد من المدن الأخرى, رداً على اعتقال الإمام الخمينى من قبل السلطة الملكية, التى رفع فيها المتضاهرون شعار (الموت أو الخمينى).

وتعتبر هذه الحادثة بداية الثورة التى قادها الإمام منذ ذلک الحين, والتى اعتقل على أثرها الإمام ثم أطلق سراحه ونفى بعدها إلى تركيا, وكان قد سقط فى هذه الانتفاضة حوالى (15) ألف شهيد من المتظاهرين المستنكرين اعتقال الإمام الخمينى من قبل السلطة وهو ما صار يعرف بـ(مجزرة 15 خرداد).

لقد تركت هذه الحادثة أثراً بالغاً فى حركة الإمام الاستنهاضية, فهى تمثل البداية العملية للثورة وإعلان الحرب على نظام الشاه وعدم قبول المهادنة معه, كما شكلت بالنسبة للإمام بداية رحلة الصراع المفتوح مع النظام الشاهنشانى.

---

١٥ . الإمام الخميني, موسوعة الكوثر, مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني , طهران , ط1 1371 هـ . ش ج1, ص67.

١٦ . الإمام الخميني , صحيفة النور، مصدر سابق, ج1, ص29.

فقد اختزن الإمام روح الثورة والنهضة عبر مشاهداته للوقائع والتجارب المرة التى واكبها وعايشها فى العقود الأولى من عمره, وها هو يبلغ الستين من العمر فتتضح وتتبلور حركة الوعى للواقع عنده, ويختار طريقه للنهضة بعد امتلاك حصيلة ضخمة من التجارب السياسية والمواقف الجهادية, إلى جانب الدراسة والبحث العلميين فى الحوزة.

تبلور الشخصية القيادية

لقد اعتنى الإمام الخمينى ببناء النفس وتهذيبها، وكتب الفضائل المعنوية والمعارف الحقيقية بسطوحها العالية, ومارس الجهاد الأكبر[١٧] انطلاقاً من اعتقاده الراسخ بأن بناء النفس والجهاد الباطنى معها مقدم على الجهاد الخارجى, (فما لم نصلح أنفسنا, لن نتمكن من إصلاح بلدنا)[١٨].

وهذا ترجمة للآية القرآنية {إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم}[١٩]، وطبقاً لهذه المعادلة القرآنية شقّ الطريق بادئاً بنفسه, ليكون كلامه مؤثراً وفاعلاً فى الغير (وإنما يكون الكلام مؤثراً فى الغير إذا خرج من قلب مهذب وطاهر)[٢٠].

وإذا كانت الخطوة الأولى عند الإمام فى ميدان النفس, فهى المقدمة الصحيحة للقيادة الناجحة مصداقاً لقول الإمام على "ع" " (من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتنظيم نفسه قبل تعليم غيره)[٢١].

هنا يكمن أحد أهم أسرار النجاح والتمييز فى شخصية الإمام الخمينى, فلم يحدثنا التاريخ المعاصر عن شخصية اهتمت بتربية النفس بالمستوى الذى كان عليه الإمام, وهو ما يظهره سلوكه وكتاباته فى بناء النفس وتهذيبها وممارسة الجهاد الأكبر (جهاد النفس) , ولم يكن العرفان عند الإمام الخمينى علماً نظرياً وترفاً

---

١٧ الجهاد الأكبر مصطلح للتعبير عن جهاد النفس ومحاربة الهوى والأنا (استخدمه الرسول محمد "ص") راجع كتاب الجهاد الأكبر للإمام الخميني , الدار الإسلامية, بيروت, 1980.

١٨ . الإمام الخميني الكلمات القصار , مصدر سابق , ص81.

١٩ . سورة الرعد , الآية 1.

٢٠ . الإمام الخميني , الكلمات القصار , المصدر نفسه, ص82.

٢١ . الإمام علي"ع" , نهج البلاغة (تحقيق د. صبحي الصالح), دار الكتاب اللبناني , بيروت ط1, 1967م, ص480.

فكرياً, بل كان طريقاً عملياً فى تهذيب النفس للذوبان فى الخالق المعشوق وطمس الأنا وتجاوزها (وإذا تجاوز الإنسان "الأنا" وأبدلها بـ "هو" يمكنه عندئذ إصلاح كل شيء)[٢٢].

لقد بدأ ثورته من الداخل, مؤكداً أن (علينا أن نفجر ثورة فى داخلنا, أن نثور على أنفسنا, فإذا كانت أنفسنا لا تزال تحت سلطة الشيطان والطاغوت, فلا بد لنا من الثورة فى الداخل)[٢٣], وحتى العلوم والمعارف قد تتحول إلى طريق للهلاك إذا لم تقترن بتهذيب النفس (فقد يؤدى علم التوحيد أو العرفان أو الفقه أو الأخلاق بالإنسان إلى جهنم أحياناً، فالعلم وحده ليس كافياً ولا بد من التزكية)[٢٤].

لقد غدا الإمام الخمينى، من خلال سلوكه طريق العرفان والتقوى والذوبان فى عشق المحبوب والهيام به رجلاً إلهياً، تجلت الحكمة على لسانه بعد أن انفتحت فى قلبه الملىء بالإيمان.

لقد جسّد الإمام حقيقة العالم الربانى الذى جعله الله خليفة وحجة, لانه مثال حديث الإمام الصادق "ع": (وأما من كان من العلماء صائناً لنفسه حافظاً لدينه, مخالفاً لهواه, مطيعاً لأمر مولاه, فعلى العوام أن يقلدوه). ٢٥

ولم يكن العرفان ومجاهدة النفس ومقارعتها عند الإمام معزولاً عن الحياة وساحات المقارعة للظالمين فيها, ولعل فى تلك المجاهدة الداخلية يكمن السر فى صلابة إرادته فى المجاهدة الخارجية للأعداء, فبرغم الاعتقال والإبعاد والنفى والحصار والضغط, ثم سقوط الشهداء والمرارات التى تكبدها فى سيرة حياته فى الداخل الإيرانى وفى المحيط الحوزوى وفى الخارج فى سنوات الإبعاد والنفى وبرغم ثقل المسؤولية بعد الانتصار وشن الحرب المفروضة على الجمهورية الوليدة ومحاصرتها اقتصادياً وسياسياً, والسهام التى وجهت إليه وإلى ثورته من كل حدب وصوب, بقى الإمام ثابتاً فى رفضه للتبعية ورفضه للخضوع والخنوع ومهادنة الأعداء, متجاوزاً كل طروحات (الحل الوسط) أو التسويات التى كانت تعرض فى الكواليس والقنوات السرية.

---

٢٢ . الإمام الخميني , الكلمات القصار, المصدر نفسه, ص83.

٢٣ . الحر العاملي, وسائل الشيعة , دار إحياء التراث العربي, بيروت, 1971, ج18, ص95.

٢٤ . نفس المصدر.

٢٥ . نفس المصدر.

كل ذلک وسواه كان يلح عليه للاستجابة والحصول على الهدوء والراحة الظاهرية, لكنه كان يجيب: (هيهات منى الركون إلى الباطل وقد نهيت عنه, هيهات منى السكوت على الضلال وقد أمرت بمقارعته, هيهات منى ترک المجاهدة والنضال وقد ألزمنى ربى بهما, هيهات منى الركون إلى رغائب الدنيا وأطايبها ولى أمة محرومة مستضعفة، هيهات منى أن أنشد لنفسى الراحة والدعة وأمتى لا تذوق طعمها, هيهات منى أن أذلّ للطغاة المتجبرين, أو أن أعطى بيدى للغاوين المارقين, أو أن أمد, غير مضطر بقهر المصلحة الأعلى, يد المسالمة والمصالحة للجناة الظالمين, أو أن أشترى الهوان والخضوع وأبيع الكرامة والاستقلال والشرف بعرض الدنيا وزخارفها ومغرياتها وبهارجها)٢٦.

ولم تقتصر شخصية الإمام الخمينى على نيل جانب من جوانب الكمال الإنسانى, بل حوت كل الجوانب الإنسانية والفضائل السامية التى تعطى لشخصيته صفة القدوة والمثالية الإنسانية, ولعل المقام لا يسع للتفصيل أكثر, ولكن لا بدّ من ذكر بعض تلک الصفات من باب الإشارة والتنويه فقط.

ففى التقوى (وهى طاعة الله وعدم مخالفة أوامره السماوية) نجده فى مقاماتها الرفيعة, يرى الله بعين قلبه, فإذا آمن الإنسان بالله تعالى ويراه بعين القلب كما يرى الشمس ببصره فلا يمكنه بعد ذلک أن يرتكب أى ذنب ٢٧. ونراه يتساءل: (هل من الممكن أن تصدر المعصية من شخص معتقد بحضور الله ومراقبته).

والزهد فى حياة الإمام معلم بارز (إن الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيّغ بالفقير فقره)٢٨. وهكذا نرى الزهد فى ملابسه ومشربه وطعامه ومسكنه, فهو يكتفى من كل هذا بأدنى ما يحتاجه ضعاف الناس وفقراؤهم, ولم يسجل أنه كان يملک منزلاً أو أثاثاً مميزاً أو يجلس إلى مائدة عامرة, أو غير ذلک مما هو طبيعى فى حياة الزعماء ورجالات الأمة وقادتها, ولقد رأى العالم كله ما ترک الإمام بعد وفاته فى غرفته المتواضعة ومنزله الصغير المستأجر.

---

٢٦ . السيد فاضل النوري، الإمام الخميني تجسيد الخلق الإسلامي, منظمة الإعلام الإسلامي , ط1, 1990, ص23.

٢٧ . الإمام الخميني , في إحدى حاضراته العامة نقلاً عن السيد فاضل النوري , الإمام الخميني تجسيد الخلق الإسلامي, مصدر سابق.

٢٨ . الإمام علي"ع" , نهج البلاغة : مصدر سابق ص325.

إلى جانب ذلک فقد كان مثالاً للمتوكل على الله الواثق بوعده والمفوض أمره إليه, يخوض فى غمرات الأهوال والكروب, وفظاعات الآلام والخطوب, ويواجهها بعزم وشجاعة وإقدام, ولقد كان بالغ عزمه وشجاعته وإقدامه من بالغ توكله على الله.

وقد تجسدت فى شخصيته أعلى مراتب التواضع والحلم والصبر, حتى اجتمعت فيها مثالية الصفات الإنسانية وتكاملها.

لقد حاكت شخصية الإمام فى صفاتها وشمائلها صفات الأنبياء والأئمة المعصومين, فكانت تجسيداً فريداً للشخصية الإسلامية المعاصرة والمتكاملة فى جميع أبعادها فى ما هى الشخصيات الاستثنائية ذات الخصب والعمق التى تتعدد فيها الجوانب بتناغم قلّ نظيره.

وقد تميز الإمام بذلک عن جميع رموز الاجتهاد والنهضة والتجديد الإسلامى فى العصر الحديث, فهو أستاذ الفقه والأصول والفلسفة والأخلاق والعرفان, وهو المفكر والأديب والشاعر والخطيب, وهو العارف العابد الزاهد والعاشق السالک, ثم إضافة إلى ذلک كله هو أبرع من فهم السياسة ومارسها جزءاً لا يتجزأ عن الدين, وبعداً حيوياً يحقق أهداف الشريعة ومقاصدها فى استنقاذ البلاد والعباد ومقارعة الظلم والطغيان، وإحداث التجديد والنهضة بعد تحديد مصادر الخلل ومكامنه فى الفكر والمجتمع, وبعد انتقاء الأساليب الأنجح للعلاج.

هكذا جمع الإمام فى شخصه؛ مرجع التقليد ورجل الاجتهاد الإسلامى الذى يستوعب الزمان والمكان, والمجدد الذى يرتقبه المسلمون فى بداية كل قرن٢٩، وقائد حركة الاستنهاض فى الأمة التى انطلقت لتقاوم الطغاة وتهز الواقع بعنف, فلقد أحدثت حركته دوّياً هائلاً تجاوز حدود إيران وهدد مصالح الأعداء وقضّ مضاجعهم, فثورته " أحدثت زلزالاً فى إسرائيل", كما قال رئيس وزرائها الأسبق مناحيم بيغن.

٢٩ . ورد عن أبي هريرة عن رسول الله "ص" أنه قال: " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها", وقد ذكر هذا الحديث الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة, ص121 وعزاه لابي داوود والطبراني في الأوسط, وقال : " سنده صحيح ورجاله كلهم ثقات".

وبأنفاسه الثورية دخل المسلمون عصراً جديداً من اليقظة والحيوية والمقاومة, وصار الإسلام هو الراية التى تظلل الكثير من الثوار فى العالم, والشجى الذى يعترض فى حلوق المستكبرين جميعاً ويهدد أحلامهم وأطماعهم.

الفصل الثانى:

فى معالجة مفهوم التجديد

التجديد لغةً واصطلاحاً

الجدَّة هى مصدر الجديد، والجمع أَجِدّة وجُدُد.

جاء فى لسان العرب : (الجدّة هى نقيض البلى, ويقال شيء جديد, وتجدد الشيء صار جديداً وهو نقيض الخلق, وجدّ الثوب يجِدُّ (بالكسر) صار جديداً, والجديد ما لا عهد لک به)٣٠.

مما تقدم نجد أن التجديد يعنى إعادة ترميم الشيء البالى (نقيض البالى) , وليس خلق شيء لم يكن موجوداً (نقيض الخلق)، وبهذا المعنى فإن التجديد فى مجال الفكر أو فى مجال الأشياء على السواء هو أن تعيد الفكرة أو الشيء الذى بلى أو قدم أو تراكمت عليه من السمات والمظاهر ما طمس جوهره , وأن تعيده إلى حالته الأولى يوم كان أول مرة, فتجدد الشيء أن تعيده (جديداً) وكذلک الفكر٣١.

وعليه فإن اختيار كلمة (التجديد) لاستخدامها على ما نحن فيه فى موضوع التجديد فى الفكر والأسلوب والقراءة للنص المقدس يأتى منطبقاً على المطلب, حيث إن الإمام لم يكن ليدعى أنه اختلق فكراً جديداً أو طرح أيديولوجية أو عقيدة جديدة, بل هو نفض الغبار عن شيء بالٍ هو الأحكام الإسلامية (لا من حيث هى هى, بل من حيث حضورها وتجسدها وتداولها بين الفقهاء, والسياسيين والناس عموماً).

وهو استخرج ما كان محجوراً عليه من أحكام ونظريات وأفكار فى بطون الكتب ورفوف المكتبات, ليعيده إلى طاولة الدرس والبحث ثم إلى عقول الرأى العام, وليصل فيه إلى التجسيد العملى عبر إقامة حكم اسلامى يعتمد النص المقدس والتفسير المتجدد والتحديث فى الأسلوب والخطاب.

ولأن من شروط البحث العلمى تحليل مفاهيم المصطلحات المحورية فى البحث, فإننا نورد هنا بعضاً مما توصلنا إليه فى استخدام هذا المصطلح ودلالاته, فإن ما يورده برهان غليون حول مفهوم التجديد بأنه

---

٣٠ . ابن منظور، لسان العرب , طبعة دار المعارف, مصر , ج1, ص562.563.

٣١ . برهان غليون, الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر, مركز دراسات العالم الإسلامي, مالطا, ط1, 1991, ص72.

يجب أن يرتبط ـ كما هو بالفعل, بمفهوم الإبداع الفكرى أى بما يسمح لمنظومة فكرية أن تستعيد فاعليتها وقدرتها على الانتاج المبدع للمعانى الجديدة أو المتجددة ٣٢ , يتفق مع ما نهدف إليه فى تفسير حركة التجديد عند الإمام.

ولرفع اللبس الذى قد يقع فى طرح موضوع التجديد للفكر الإسلامى وتداخل الأمر مع موضوع سماوية الأديان, ومع وجود صفة الجزم والتأكيد والأبدية للقرآن ككتاب سماوى ختم الوحى بالرسالة المحمدية, يتساءل الدكتور حسن الترابى عن التجديد فيقول: الفكر الإسلامى هل يتجدد؟ أليس الدين هدياً أزلياً خالداً لا مكان فيه للتجديد؟

ويجيب : (بلى, الذى يتجدد ويبلى إنما هو الفكر الإسلامى، والفكر الإسلامى إنما هو التفاعل بين عقل المسلمين وأحكام الدين الأزلية الخالدة, أما عقل الجيل من المسلمين الذى يضطلع بالتفكير فى الإسلام فهو يتكيف بنوع وكمية المعارف العقلية والتجارب التى يحصلها فى كل زمان, إذا ضاقت هذه المعارف ضاق وإذا اتسعت اتسع. وأنه يتكيف وينفعل بالظروف الراهنة التى تحيط به, وبالحاجبات التى يحسها الناس وبالوسائل التى تتبعها له ظروف الحياة.

فالفكر الإسلامى هو التفاعل بين عقلنا المتكيف بهذه العلوم, المنفعل بهذه الظروف مع الهدى الأزلى الخالد الذى يتضمن الوحى والذى بيّنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ٣٣.

أما د. على شريعتى فأجاب عن الإشكالية المطروحة بتعبير آخر حيث قال : (حيث لا إصلاح دينى فى الإسلام بمعنى إعادة النظر فى الدين, بل إعادة النظر فى رؤيتنا وفهمنا الدينى والعودة إلى الإسلام الحقيقى والوقوف على الروح الحقيقية للإسلام الأول)٣٤.

وكذا كل المفكرين المجددين فى الإسلام أمثال الدكتور إقبال والسيد جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ومرتضى المطهرى أجمعوا على أن منهجية التجديد فى الفكر الإسلامى لا تطال الدين أو الشريعة المقدسة

---

٣٢ . برهان غليون, الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر , مصدر سابق, ص74.

٣٣ . حسن الترابي, الفكر الإسلامي, هل يتجدد ؟ , مكتبة الجديد , تونس , ص23.

٣٤ . علي شريعتي, الأمة والامامة , مؤسسة الكتاب الثقافية, طهران, ص9.

التى هى وحى ربانى أنزل على الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم), وهى متجسدة فى النص المقدس الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه, والذى لا يجوز أن يضاف إليه شيء أو ينتقص منه شيء.

فالزيادة فى الدين حرام لأنها غلوّ والغلوّ حرام, وقد استشهد بعضهم بما جرى فى العالم المسيحى حيث كان الغلو فى الدين سبباً مباشراً لانتهاء سيطرة الكنيسة وتحول الناس إلى الأبعاد, وحين تراجعت الكنيسة تحت ضغط الظروف عن إضافاتها اللامعقولة إلى الدين, عاد العالم الغربى إلى المسيحية٣٥.

إذاً فالتجديد المعقول هو التجديد فى الفكر الإسلامى وليس فى الدين (كنص مقدس) وهو تجديد لإحياء الدين, وإعمار الأرض بتجسيد تعاليم الدين.

بين التجدد والتجديد

إن التجدد والتجديد فى قضايا الفكر كما هو التغير والتغيير فى قضايا الاجتماع, فكما أن المجتمع يتغير مع حركة الزمن حتى لو لم يكن هناك منهج للتغيير يبرمج ويخطط ويهندس حركة المجتمع نحو أهداف بعيدة أو قريبة جزئية أو شاملة, فكذلك الفكر تحصل فيه تجددات حتى مع غياب منهج التجديد, هذا يعنى أن الفكر له حركته فى النمو كما هى الحال فى المجتمع, والفكر لا يتجدد بعيداً عن تجددات المجتمع والعكس صحيح.

وهكذا نصل إلى أن التجدد هو ما يطرأ على الفكر من تحولات ومتغيرات نتيجة تفاعلات بين الفكر والمجتمع, وهذه المتغيرات تفتقد إلى المنهجية والتخطيط وقد تكون على صواب أو خطأ, بينما موضوع بحثنا هو التجديد وليس التجدد (الذى قد يحصل تلقائياً ومن دون منهج).

والتجديد هو الفاعلية الواعية التى يقوم بها المجتمع من أجل توجيه هذا التحول التاريخى أو استغلاله أو توظيفه لهدف أو لآخر.

(إن التجديد إذاً خطة واعية فردية أو جماعية لوضع هذا التجدد ضمن منظور معقول ومنسق, وبالتالى إعادة تنظيمه فكرياً ومن الداخل حتى يبقى فاعلاً)٣٦.

---

٣٥ محمد تقي المدرسي , المنطق الإسلامي, اصوله ومناهجه, دار الجبل, بيروت, ط2, 1981م.

٣٦ . د. برهان غليون, الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر , مصدر سابق, ص73.

ومن مظاهر هذا التطور فى الفكر ما طرأ على مفهوم الحكم أو الشريعة أو الجهاد أو الأمة أو الجماعة فى ثقافتنا من تبدل فى المعنى منذ بداية الإسلام حتى الآن, فمن المعروف أن كلمة الحكم كانت تعنى القضاء والفصل فى الأمور الدينية وغير الدينية, ومنها الحكمة والحكيم والاحتكام والتحكيم, وهى تعنى اليوم: الحكم السياسى والحكومة والحاكمية وغير ذلک من المعانى الجديدة.

وإن الإحساس بالحاجة إلى التجديد كان ينمو داخل البلاد الإسلامية نمواً طبيعياً كرد فعل على الصدمة التى خلفها الغزو الأوربى للبلاد الإسلامية, وحالة التقهقر والانحطاط التى عاشتها هذه البلاد بفعل السيطرة الاستعمارية.

(إن لهذا التجديد ناحية أعظم شأناً من مجرد الملاءمة مع أوضاع الحياة العصرية وأحوالها, وإن العالم الإسلامى وهو مزود بتفكير عميق نفاذ وتجارب جديدة, ينبغى عليه أن يقدم فى شجاعة على إتمام التجديد الذى ينتظره)٣٧.

بين الاجتهاد والتجديد

الاجتهاد فى الإسلام فى جوهره وأصالته كان شاملاً بشمولية الإسلام للحياة بمختلف أبعادها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية.. الخ.

وكما يقول السيد محمد باقر الصدر (1935ـ1980) : (أظن أننا متفقون على خط عريض للهدف الذى تتوخاه حركة الاجتهاد والتأثر به, وهو تمكين المسلمين من تطبيق النظرية الإسلامية للحياة, ولكى ندرک أبعاد الهدف بوضوح يجب أن نميز بين مجالين أحدهما: تطبيق النظرية فى المجال الفردى بالقدر الذى يتصل بسلوک الفرد, والآخر: تطبيق النظرية فى المجال الاجتماعى وإقامة حياة الجماعة على أساسها, بما يتطلبه ذلک من علاقات اجتماعية واقتصادية وسياسية). ٣٨

الاجتهاد بهذا الفهم يتضمن ويستوعب كل دلالات وخلفيات التجديد, بينما التجديد ليست لديه هذه القدرة المتضمنة فى الاجتهاد.

---

٣٧ محمد إقبال, تجديد التفكير الديني في السالم, ترجمة عباس محمود القاهرة, مطبعة لجنة التأليف والترجمة , 1986.

٣٨ . محمد باقر الصدر, من مقدمة كتابه (الفتاوى الواضحة) , مطبعة الآداب, النجف. 1972.

والتجديد إنما يكتسب أصالته ودقته وضبطه من الاجتهاد فى الإسلام, حيث تبلورت قواعد وأصول وضوابط التشريع الإسلامى.

من هنا, فإن التجديد لا بد له من أن يبقى سائراً على إيقاع يرسمه الاجتهاد, ويبلور حدوده وحركته فى الجزئيات والكليات, حتى لا ينقلب التجديد إلى خروج عن الجادة الحنيفة للشرع والدين, وعن كلياتها الثابتة.

يبقى أن نشير إلى تداخل مصطلح التجديد مع الاجتهاد تداخل الجزء مع الكل وليس العكس, ونحن لا نتفق مع من يقول: (إن التجديد كان يطرح بديلاً فكرياً معاصراً لمصطلح الاجتهاد بدلاً من أن يكون مرادفاً له أو وجهاً من وجوهه, وإن بروز مصطلح التجديد فى الفكر الإسلامى الحديث والمعاصر قد واكب مرحلة فكرية معرفية, تجعلنا مدعوين إلى إعادة النظر فيه أو تنويع الرؤية له على ضوء تلك المرحلة وخلفياتها, فقد شاع المصطلح فى مرحلة بدأت فيها المنهجية العلمانية تتسرب إلى قطاعات واسعة فى حياتنا الفكرية والقيمية والمعرفية والفنية)٣٩.

ولا نجد لهذا الرأى مصداقية فى دراسات وبحوث العلماء والمفكرين الإسلاميين, نعم إن حركة الاجتهاد قد انكمشت عبر حقبات زمنية متتالية خصوصاً فى الفكر الإسلامى الشيعى, وتراجعت لتنحصر فى جوانب محددة ترتبط فى أحد جوانب الفقه.

ومرد هذا الانكماش (بحسب رأى السيد محمد باقر الصدر) يعود إلى أن حركة الاجتهاد من حيث المبدأ ومن الناحية النظرية وإن كانت تستهدف مجالى التطبيق الفردى والاجتماعى, لأنهما سواء فى حساب العقيدة, ولكنها فى خطها التاريخى الذى عاشته على الصعيد الشيعى كانت تتجه فى هدفها على الأكثر نحو المجال الأول فحسب (الفردى) , فالمجتهد خلال عملية الاستنباط يتمثل فى ذهنه صورة الفرد المسلم الذى يريد أن يطبق النظرية الإسلامية للحياة على سلوكه, ولا يتمثل صورة المجتمع الذى يحاول أن يُنشئ حياته وعلاقته على أساس الإسلام.

---

٣٩ . جمال سلطان, تجديد الفكر الإسلامي, الرياض, دار الوطن، ص61.

وهذا التخصيص والانكماش فى الهدف له ظروفه الموضوعية وملابساته التاريخية, فإن حركة الاجتهاد عند الشيعة قاست منذ ولدت تقريباً عزلاً سياسياً عن المجالات الاجتماعية للفقه الإسلامى نتيجة لارتباط الحكم فى العصور الإسلامية المختلفة وفى أكثر البقاع بحركة الاجتهاد عند السنة.

وهكذا ارتبط الاجتهاد بصورة الفرد المسلم فى ذهن الفقيه الشيعى لا بصورة المجتمع المسلم وهذا السبب الموضوعى تحول مع مرور الزمن إلى سبب ذاتى فى تشكيل العقل الاجتهادى الشيعى حيث بات ينظر إلى الشريعة الإسلامية من زاويتها الفردية باعتباره المجال الممكن تطبيق الشريعة عليه[٤٠].

وسنتناول فى الصفحات القادمة من البحث ما تميز به الإمام فى عقله الاجتهادى عن غيره من معاصريه من المجتهدين الشيعة, حيث ركز أبحاثه الفقهية والاجتهادية على الجوانب الاجتماعية والسياسية فضلاً عن الفردية.

وبالخلاصة نصل إلى أن التجديد وان كان لا ينفصل عن الاجتهاد، إلا أننا فى حقل الفكر والثقافة نكون أكثر دقة فى استخدام مصطلح التجديد بعد أن ارتبط الاجتهاد بقضايا الفقه وأصوله.

٤٠ . انظر مقالة " الاجتهاد في الإسلام, الشيخ محمد مهدي شمس الدين, مجلة الاجتهاد , السنة الثالثة , العدد التاسع . خريف 1990.

الفصل الثالث

الفقه السياسى الشيعى

اعتاد الفقهاء على إدراج ثلاث أطر عامة لتشخيص التشريع الإسلامى هى :

1ـ تشريعات للفرد المسلم.

2ـ تشريعات للأسرة المسلمة.

3ـ تشريعات للجماعة والمجتمع المسلم.

ولذا فإن استخدام مصطلح (الفقه السياسى) يُعد استخداماً مجازياً أى نظرياً وهو ما يُقصد به تلك الأحكام والتشريعات التى تتصل بالجماعة والمجتمع المسلم رغم انه لا يمكن إيجاد حد فاصل وقاطع بينه وبين بقية التشريعات؛ لأن معظم التشريعات والأحكام الإسلامية يتداخل فيها الفردى والمجتمعى بشكل مباشر أو غير مباشر.

وهو ما يوافق عليه الشيخ شمس الدين فى قوله: (ومن الواضح أن المعيار الموضوعى لتقسيم الفقه لا ينطبق على المعيار الشكلى الذى اعتمده الفقهاء, ومن هنا اضطربت كلماتهم (الفقهاء) فى تعداد العبادات وحصرها فى عدد مخصوص مع البون الشاسع فى الاختلاف بين اعتبارها خمسة فقط أو عشرة، وبين رفعها إلى ما زاد عن الخمسين)٤١.

إن تقسيم الفقه الإسلامى وتبويبه لا يعبّر عن واقع كون الإسلام (كلاً واحداً) مترابطاً وإنما هو ما تقتضيه ضرورة البحث الفقهى النظرى الذى دأب الفقهاء عليه من خلال تبويب الفقه الإسلامى (التشريع) إلى أبواب متعددة؛ ليتسنى لهم تناول هذه الأبواب بشكل متدرج.

ولا يغفل على الدارس حقيقة كون الإسلام عقيدة وشريعة كلاً واحداً لا يستقل بعض منه عن بعض ولا يمكن فصل تشريع عن آخر, والوحدة هنا ليست وحدة ارتباط بمعنى أن امتثال تكليف تشريعى لا يمكن أن يتم إلا بامتثال سائر التكاليف الأخرى, بل يعنى أن الغاية والحكمة من التشريع لا تتحقق على مستوى الأمة والمجتمع إلا بالنظر إلى التشريع الإسلامى (الفقه) على أنه (كلّ واحد)، وتطبيقه على الحياة وصياغة الحياة على أساسه وفقاً لهذه النظرة.

٤١ . محمد مهدي شمس الدين, في الاجتماع السياسي الإسلامي, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر . بيروت، ط1992, ص30.

ودرج بعض الفقهاء على تقسيم الفتاوى المصنفة فى كتبهم الصادرة لاستخدامات عامة إلى قسمين رئيسيين هما: (العبادات, والمعاملات)، ويقصد بالعبادات غالباً الأحكام الفردية, وبالمعاملات الأحكام ذات البعد الاجتماعى, ولكن بالرجوع إلى كل منهما نجد الكثير من الفتاوى فى كل من القسمين يتعلق بالتشريعات العائدة للجماعة والمجتمع المسلم.

فمثلاً نجد التشريعات المتعلقة بالخمس والزكاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مندرجة فى قسم العبادات رغم كونها تتقاطع بشكل مباشر فى المصالح العامة للمجتمع, وإن كانت تنطلق من تكليف الفرد.

وعليه نخلص إلى القول بعدم وجود قطع حاد بين الفقه السياسى والفقه غير السياسى عند المسلمين, حيث التداخل بين الفقه الفردى والاجتماعى كبير لاسيما فى التصنيفات المعتمدة لدى الفقهاء.

وإذا كان المطلوب أن نلج إلى تقديم صورة أولية حول الفقه السياسى عند الشيعة والذى يشكل المدخل لملامسة التجديد الفقهى عند الإمام الخمينى وأبرز ما تميزت به طروحاته وفكره السياسى، فلا بد من التركيز على مفهوم الإمامة والخلافة باعتبارهما العنوانين الأبرز فى تجسيد الفقه السياسى الإسلامى, كما فى غيره من المجتمعات، وعلاقة هذا الرأس بالمجتمع وأفراده وتياراته وتشكلاته الاجتماعية.

ولا نجد ضيراً من الالتفات إلى أن الخلاف فى الفقه السياسى بين الشيعة والسنة يرتكزان أيضاً إلى هذين العنوانين, حيث يستخدم الشيعة مفهوم الإمامة للدلالة على الحاكمية الشرعية للمجتمع الإسلامى بينما يطلق السنة مصطلح الخلافة على هذه الحاكمية.

إن جوهر الخلاف بين أهل السنة وأهل الشيعة يكمن فى النظرة إلى شرعية رئاسة الدولة وولى الأمر فيها (الإمامة ـ الخلافة)، وهى تعود بتاريخها إلى الأحداث التى وقعت بعد وفاة النبى "ص" وإبان انعقاد (السقيفة).

ففى حين يرى الشيعة أن الله قد أكمل الدين وأتمّ النعمة بتسمية الرسول "ص" (وقبل موته) لولى عهده وخليفته من بعده, وبيّن للأمة طريقة انتقال ولاية الأمر (الإمامة) , عبر العديد من النصوص القرآنية

والأحاديث الشريفة ومنها الآية {إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون}٤٢, وهى بحسب إجماع المفسرين نزلت فى حق على بن أبى طالب٤٣.

وكذا الحديث المروى عن الرسول "ص" فى مصادر أهل السنة والشيعة: "إنى تارك فيكم الثقلين, كتاب الله وعترتى أهل بيتى وإنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض"٤٤.

وهكذا يعتبر الشيعة أن الإمام يتعين بالنص من النبى ولا يجوز على نبى إغفال النص على خليفته ـ لأن الأمر يخالف العقل ـ وتفويض الأمر للأمة, كما لا بد للإمام أن يكون معصوماً عن الكبائر والصغائر.

بينما يرى أهل السنة بأن الخليفة يمكن أن يُسمّى عن طريق الشورى, كما حدث فى سقيفة بنى ساعدة, فأبو بكر كمسلم سمى عمر أو أبا عبيدة ولكن عمر رفض تسمية أبى عبيدة وسمّى أبا بكر, ثم بايعه الناس٤٥.

وهم أيضاً لا يرون ضيراً فى أن يتفرد الخليفة بتسمية خليفته وهو ما فعله أبو بكر عندما سمّى عمر خليفة له, ونفس الأمر فعله عمر فى تسمية عثمان بشكل غير مباشر (عبر شورى شكلية), إضافة إلى ما اعتمد فى خلافة بنى أمية وبنى العباس وبنى عثمان٤٦, حيث تحولت الخلافة عموماً إلى آلية وراثية صرفة وهو ما يؤسس عليه ابن خلدون فى قوله: (إن الإمام ينظر للناس فى حال حياته, وتبع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته ويقيم لهم من يتولى أمورهم)٤٧.

أما فى الجانب التاريخى فإن جذور التشيع تمتد إلى عهد الرسول عندما كان يؤكد على تميّز على بن أبى طالب ويوصى المسلمين بالتزام طاعته من بعده كما حدث فى أكثر من موقع كان آخرها واكثرها

---

٤٢ . سورة المائدة , الآية 5.

٤٣ . الإمام شرف الدين, المراجعات, مصدر سابق, ص187.

٤٤ . أخرجه الحاكم في المستدرك , ج3, ص148, ثم قال: هذا حديث صحيح الاسناد على طريق الشيخين ولم يخرجاه, وأخرجه الذهبي في تلخيصه معترفاً بصحته على شرط الشيخين (راجع أحمد حسين يعقوب , النظام السياسي في الإسلام, بدون دار ومطبعة, عمان , 1989م, ص85).

٤٥ ابن قتيبة، الامامة والسياسة, دار الاضواء . بيروت, 1990, ص26.

٤٦ . راجع أحمد حسن يعقوب , النظام السياسي في الإسلام, مصدر سابق, ص33.

٤٧ . ابن خلدون المقدمة , مؤسسة الاعلمي للمطبوعات . بيروت, ص192.

صراحة ما قاله فى حجة الوداع, (من كنت مولاه فهذا عى مولاه اللهم والى من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره... الخ)٤٨.

ونزلت بعدها الآية الكريمة على الرسول وفيها كانت خاتمة الوحى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا)٤٩, إلا أن نزعة التشيع لم تظهر بشكل واضح فى عصر الخليفتين أبو بكر وعمر بن الخطاب لأنه ليس فى سيرة الشيخين ما يبعث النقمة والاستياء ويدعو إلى الثورة, رغم امتناع على ومن معه عن البيعة فى بادئ الأمر فقد التزموا السكينة والهدوء للمحافظة على الإسلام والصالح العام٥٠.

ويرى السيد محمد باقر الصدر: (أن الشيعة ولدوا منذ وفاة الرسول7وقد تجسد الاتجاه الشيعى منذ اللحظة الأولى فى إنكار ما اتجهت إليه السقيفة من تجميد لأطروحة زعامة الإمام على (عليه السلام) وإسناد السلطة لغيره)٥١.

وقد ورد نفس المعنى فى قاموس الإسلام (إن أول تاريخ لظهور الشيعة السياسية أو بتعبير أدق (شيعة على (عليه السلام)) أو حزب على, هو وقت وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهناك رواية تقول بأن الشيعة الأولى كانت مكونة من ثلاثة رجال هم : سلمان الفارسى, أبو ذر, المقداد بن الأسود الكندى, وهناك أيضاً روايات كثيرة عن وجود غيرهم, وهؤلاء الثلاثة هم أول من نادى بانتقال الخلافة إلى على, وإن ذلك هو الإيمان القويم)٥٢.

---

٤٨ الإمام عبد الحسين شرف الدين, المراجعات, مصدر سابق, ص15.

٤٩ . سورة المائدة, الآية 3.

٥٠ . محمد جواد مغنية, الشيعة والحاكمون, دار الهلال . بيروت ط5, 189, ص23.

٥١ . محمد باقر الصدر, التشيع والإسلام, دار الغدير بيروت, ط4 1973, ص49.

٥٢ . Encyclopedie Del Islam (Paris, Librairie C.klicksieck,1984 p:362

بينما يذكر الدكتور على شريعتى (أن التشيع لعلى (عليه السلام) وأهل بيت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن وليد حادثة أو واقعة أو ظاهرة, فقد بدأ التشيع عندما استقرت اليد الصغرى لعلى (8سنوات) فى يد محمد الكبيرة لتغير مجرى التاريخ)٥٣.

وقد ظهر التشيع جلياً وواضحاً فى عهد عثمان الذى كثرت عليه المآخذ والمطاعن حتى أودت بحياته, ثم اشتدت نزعة التشيع وانتشرت أكثر فأكثر بعدما اشتدت مظالم الحاكمين من الأمويين والعباسيين وغيرهم٥٤.

وكان الفقه السياسى الشيعى المرتكز إلى مبدأ الإمامة يتبلور تبعاً للمراحل الزمنية التى تمر بها حركة التشيع فى عهود الأئمة (الاثنى عشر) الذين واكبوا الحكم الأموى ثم العباسى حتى سقوطه, وخلال تلك الفترة كان زعماء الشيعة يؤكدون على أن العقيدة بالإمامة لم تكن امتداداً لحقائق نقلية فقط عبر النصوص والروايات الكثيرة التى كانت تنقل عبر الصحابة والرواة الثقاة بل هى أيضاً مدعمة بحقائق عقلية عبر المجادلات الفلسفية التى ترشد الفرد إلى الحقائق النقلية والأخذ بها, وقد نهج المسلمون منهجاً عقلياً كذلك فى تفكيرهم خاصة بعد اتصالهم بالشعوب الأخرى التى غزا بلادها المسلمون٥٥.

ولا بد من التوقف هنا عند حقيقة تاريخية هى أن الحاكمية الفعلية كانت غالباً فى يد أهل السنة بينما كان أتباع التشيع يشكلون (المعارضة) للسلطة, وهذا الأمر كان طوال فترة الحكم الأموى ثم العباسى ثم العثمانى, وقد انعكس ذلك على دائرة الاهتمام الاجتهادى والفقهى عند العلماء الشيعة الذين صبوا جل اهتماماتهم على الفقه الفردى بعيداً عن البحث والاهتمام بنفس المستوى بالفقه الاجتماعى الذى لم يكن "مورد ابتلاء" لهم, فبقيت الأبحاث الفقهية والاجتهادية فى الدائرة الفردية غالباً على أبحاثهم فى الدائرة الاجتماعية.

---

٥٣ د. علي شريعتي :إسلام شناسي ج1(مشهد . إيران . جابخانه طوس 1347 هـ . ش) ص488.

٥٤ . محمد جواد مغنية, الشيعة والحاكمون , الهلال, بيروت ط5 , ص23.

٥٥ . حسن عباس حسن , الفكر السياسي الشيعي, الدار العالية . بيروت ط1, 1988, ص140.

ولعل ما يميز الإمام الخمينى عن أسلافه من الفقهاء الشيعة هو اتجاهه إلى ملامسة الدائرة الاجتماعية فى الفقه الإسلامى بمؤازاة الدائرة الفردية, وهذا الأمر لم يكن مألوفاً فى الحوزات العلمية ولدى المجتهدين السابقين والمعاصرين له.

ومن أبرز الطروحات التى لامسها البحث الفقهى عند الإمام هى اطروحة "ولاية الفقيه" التى تعالج النظرة إلى رأس الهرم الاجتماعى والسياسى فى المجتمع الإسلامى, والتى تعتبر أن ولاية الفقيه امتداداً للإمامة بل ونيابة عنها (فى عصر الغيبة), وهذه الأطروحة لم يخترعها الإمام الخمينى ولم يأت بها من عندياته, بل هى متجذرة فى الفقه الشيعى منذ بدايات عهد الغيبة الكبرى عام 329 هـ فقد فوض الإمام(عجل الله فرجه) ولاية أمور الأمة بموجب تفويض عام للفقيه الولى بناءً على مواصفات دقيقة على امتداد الزمان فى الحديث المشهور عند الشيعة٥٦, الذى نقله رابع السفراء وآخرهم على بن محمد السمرى حين دنت منيّته بكتاب عنه وبتوقيعه.

وقد قام الفقهاء العدول من السلف الصالح بالنيابة منذ زمن الشيخ المفيد الذى حدد له الإمام (عجل الله فرجه) مهامه بالقول: (عليكم الفتيا وعلينا التسديد).

إلا أن الظروف الموضوعية التى حالت دون ممارسة الفقهاء الشيعة للفتيا فى الجوانب الاجتماعية والسياسية هى التى أبعدت أطروحة ولاية الفقيه فى حقبات زمنية طويلة ومتتالية, وحفظتها فى بطون الكتب الفقهية بعيداً عن التداول العلمى والبحث فى الحوزات العلمية, وسنورد فقرة خاصة للإطلالة على الحوزة عند الشيعة وتطور المراحل التى مرت بها.

إن مجموعة الدروس الفقهية التى أعطاها الإمام الخمينى لطلابه فى النجف سنة (1389ه ـ 1964م) والتى كانت تحت عنوان الحكومة الإسلامية, أحدثت هزة نوعية فى البحوث الحوزوية لدى المراجع والعلماء الشيعة آنذاك, وأسست فى الوقت نفسه لتيار جديد بين العلماء يرفض الرضوخ والاستسلام للواقع القائم بالابتعاد عن الفقه السياسى وتداوله فى البحوث العلمية, والاقتصار على الفقه الفردى التعبدى.

---

٥٦ . نص الحديث المشهور : (فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه, حافظاً لدينه , مخالفاً لهواه, مطيعاً لأمر مولاه , فللعوام أن يقلدوه) راجع الطبرسي، الاحتجاج مجلد 2, مطبعة النعمان . النجف 1968, ص263.

وانطلاقاً من تلك الدروس القائمة على شرح نظرية ولاية الفقيه استطاع الإمام الخمينى أن يعيد للفقه السياسى الشيعى (لاسيما ما يتعلق منه بالحكومة وتشكيلها) حضوراً فاعلاً ومؤثراً ليس فقط فى الحياة العلمية الحوزوية بل أيضاً فى الساحة الإسلامية عموماً وإيران خصوصا.

ولسنا هنا فى مقام التفصيل فى نظرية ولاية الفقيه حيث كتبت فيها بحثاً أكاديمياً تحت عنوان "ولاية الفقيه بين الدينى والسياسى" يمكن الرجوع إليه.

دور الحوزة والعلماء عند الشيعة تاريخياً

ولكى تكتمل الصورة حول الفقه السياسى الشيعى لابد من الإطلالة على دور الفقيه الشيعى والمؤسسة التى يعمل من خلالها (الحوزة العلمية) ضمن المجتمع الإسلامى العام, وعلاقة هذه المؤسسة وأصحابها بالسلطة عبر الحقبات الزمنية منذ تأسيس المذهب.

لمحة تاريخية

لقد شكلت الحوزة العلمية الدينية عبر التاريخ الشيعى الامامى موقعاً بارزاً ورياديا أهّلها للمساهمة فى صنع قرارات المجتمع الإسلامى الشيعى, ومارست دوراً تغييراً فى الواقع الذى تنخرط به عبر ارتباط وثيق بخصوصياته, وهى أثرت وتأثرت بهذا الواقع بنسب متفاوتة, كما مثّلت الكيان الذى يعبر عن رأى الطائفة الإمامية وينطق باسمها رسمياً.

وقد دأبت الحوزة العلمية خلال مسيرتها الطويلة على حفظ الثروة العلمية الإسلامية المتدفقة, لاسيما فى مجال التشريع والاجتهاد وصيانة المنابع الأساسية للتشريع, والاهتمام بالوقائع والمعطيات والمظاهر التى اكتشفت الرسالة الإسلامية فى مختلف أدوارها والاعتزاز بها والمحافظة عليها٥٧.

وقد تنقّل مركز الحوزة العلمية بين المدينة المنورة والكوفة فى عهود أئمة أهل البيت, وشهدت حالات من الضغط والتعسف من قبل بعض أمراء الحكم الأموى, وازدهرت فى عهد الإمام الباقر (عليه السلام) فى المدينة, وفى عهد الإمام الصادق (عليه السلام) فى الكوفة.

٥٧ . د. جعفر الباقري, ثوابت ومتغيرات الحوزة العلمية, دار الصفوة , بيروت , ط1, 1994, ص11.

ومع بدايات عصر الغيبة للإمام المهدى آخر أئمة أهل البيت المعصومين بدأت خصوصيات هذا الكيان العلمى ومعالم المدرسة الفقهية تتبلور بشكل أكثر وضوحاً من السابق, ووجد علماء الشيعة فى مدينتى قم والرى فى إيران فى ظل حكومة آل بويه الموالية للتشيع أرضية صالحة لنشر الفقه الإسلامى, وترويج دعائم الفكر الشيعى خلال تلك الحقبة التى برز فيها علماء ما زالت أسماؤهم وآثارهم بارزة فى تراث الفقه الشيعى, أمثال الكلينى٥٨ والصدوق٥٩.

وقد انتقلت الحوزة بعد هذه المرحلة فى القرن الخامس الهجرى إلى بغداد, وأخذت ملامح هذا الكيان تحمل طابع الاستقلالية والنضج والكمال, لما تهيأت لها من أجواء فكرية وسياسية ملائمة, فأنجبت مجموعة شامخة من العقول الشيعية فى طليعتها الشيخ المفيد٦٠ والسيد المرتضى٦١ والشيخ الطوسى٦٢.

وخلال هذه المرحلة بدأ علم أصول الفقه بالتبلور أكثر فأكثر من خلال إدخال فن الصناعة إلى علم الفقه, واستنتاج أحكام شرعية خارج ألفاظ الحديث, وعدم الجمود على ظاهر نصه والاكتفاء به.

---

٥٨ . ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني (329هـ) صاحب كتاب الكافي, وقد صنفه في عشرين سنة وقد قال عنه الشهيد الأول: (الذي لم يعمل في الامامية مثله), المجلسي , بحار الأنوار, دار إحياء التراث العربي, بيروت 1985م , ج107, ص190.

٥٩ . محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المشتهر بالصدوق وكتابه "من لا يحضره الفقيه" قال في حقه العلامة المجلسي: إنه ثقة الاصحاب لما حكموا بصحة جميع اختيار كتابه, يعني صحة جميع ما قد صح عنه من غير تأمل,. بل هو ركن من أركان الدين.

٦٠ . الشيخ محمد بن النعمان المفيد (413هـ) ويعد من أجل مشايخ الشيعة ورئيسهم واستاذهم, أوثق أهل زمانه وأعلمهم, انتهت إليه رئاسة الامامية في وقته, له ما يقارب مئتي مصنف, أشهرها : الاركان في دعائم الدين, الايضاح في الإمامة , الارشاد.

٦١ أبوالقاسم علي ابن السيد أحمد, ينتسب إلى الإمام علي بن أبي طالب, ولقبه المرتضى (355هـ .435هـ), كان أوحد زمانه فضلاً وعلماً وكلاماً وحديثاً وشعراً وخطابة, وتتملذ على يد الشيخ المفيد, له مصنفات كثيرة بلغت (90) كتاباً, وبلغت محفوظاته ومقروآته كما ذكر الشوقي ثمانين ألف مجلد, أشهرها ديوانه المعروف.

٦٢ . شيخ الطائفة محمد بن الحسن بن علي الطوسي (385. 460هـ) وهو ثقة عين الصدوق, تتملذ على يد الشيخ المفيد (413)، ثم بعد وفاته على السيد السيد المرتضى, وله كتب عديدة, أشهرها تفسير التبيان في عشرة مجلدات, وقد صنف في كل فنون الإسلام وهو المهذب للعقائد والأصول والفروع, والجامع لكمالات النفس في العلم والعمل, احرقت مكتبته في بغداد وداره وهرب إلى النجف الاشرف واستقر بها حتى مات, يعتبر أول من أنشأ الحوزة العلمية في النجف الأشرف, وكان يحضر درسه (300) مجتهد. التراجم للعلماء, أخذت من كتاب تاريخ العلماء للشيخ الحكيمي, مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . بيروت 1983.

ونظراً لحسن العلاقة مع الدولة البويهية فى بغداد, فقد كان لعلماء الحوزة العلمية فى ظلها دور اجتماعى وفكرى متميز ودور سياسى, حيث امتد نفوذهم بشكل فاعل وقوى فى الدولة وأجهزتها.

إلى جانب ذلک نشطت الحركة الثقافية عبر دخول علماء الشيعة فى غمار (المباراة العلمية التى كانت قائمة آنذاک بين المذاهب الفقهية, وخاضوا لججها الغامرة وخرجوا منها بنظريات فكرية وإبداعات فقهية وتصورات مفاهيمية فى منتهى العمق والثراء والأصالة)٦٣.

كما نشطت فى هذه الفترة الذهبية للحوزة حركة التأليف والكتابة, وأخذت طابع الشمولية والمنهجية أكثر من المراحل السابقة, وامتلأت الحوزة العلمية بنفائس الكتب القيمة فى مختلف المعارف والفنون الإسلامية.

فقد أحصى السيد الأمين فى "أعيان الشيعة" للشيخ المفيد (300) كتاب ورسالة فى الفقه والكلام والحديث, وللسيد المرتضى (90) مجلداً من مؤلفاته ومخطوطاته, وذكر المؤرخ آغا بزرک الطهرانى اسم (47) مؤلفاً للشيخ الطوسى مما وصل إليه من أسماء مصنفاته٦٤.

وقد أفلت الحركة العلمية فى بغداد بعد دخول الجيوش المغولية وإحراق مكتباتها التى كانت تضم عشرات الآلاف من الكتب, ونهب دار الشيخ الطوسى وحرق منبره, فانتقلت الحوزة إلى مدينتى (الحلة والنجف فى العراق) على بعد (80 ـ 150) كيلو جنوب بغداد, وأخذت هذه الحركة طابعاً أعمق من السابق وأكثر رشداً ونضجاً, فنظمت أبواب الفقه, وعرضت بأسلوب منهجى وموضوعى, وتم تدوين (الفقه المقارن) وابرازه فى موضوعات ضخمة وشاملة, وتمثل ذلک فى كتاب (شرائع الإسلام) للمحقق الحلى (676هـ) حيث بقى هذا الكتاب منهجاً ناضجاً وحيوياً يتعاطاه طلبة العلوم الدينية فى الحوزة حتى وقتنا الحاضر٦٥.

وقد رست حركة العلم فى النجف بعد انتقال شيخ الطائفة الطوسى إليها, وغدت الجامعة الكبرى للشيعة الإمامية وعاصمة المذهب الجعفرى, يتخرج منها المئات من المجتهدين والعلماء فى كل جيل طيلة الألف عام, ومرت بظروف مختلفة قوة وضعفاً لكنها حافظت على محوريتها فى الحركة الفقهية الحوزوية عند الشيعة.

---

٦٣ . محمد مهدي الآصفي, الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية, النجف, ط1, 1389 هـ ص55.

٦٤ . المصدر نفسه, ص57. 60.

٦٥ . د. جعفر الباقري , ثوابت ومتغيرات الحوزة العلمية , مصدر سابق, ص21.

وفى العقيدين الأخيرين (80 ـ 1990م), وبعد انتصار الثورة الإسلامية فى إيران واهتمام الدولة الإسلامية الوحدية بالحوزة فى قم, ونظراً للأحداث الدامية التى خلّفتها الحرب العراقية ـ الإيرانية بدأت مرحلة جديدة لمعت فيها مدينة قم كحاضنة للحوزة العلمية على حساب التراجع الحاصل فى حوزة النجف.

وقد حظيت الحوزة العلمية فى مختلف مراحلها بالدور التوجيهى المتميز الذى هيمن روحياً وفكرياً وسياسياً إلى حدّ ما على كل حيثيات الوجود الشيعى, والقرار الفاصل للشيعة فى مختلف القضايا المصيرية الكبرى التى تتعرض لها الأمة بشكل عام, ويرجع ذلك إلى ما كانت تضمّه الحوزة من النخب المرجعية والعلماء دائماً.

وإذا ما تخطينا الدور الفكرى والفقهى للحوزة فى مواجهة التيارات الفكرية والمذهبية وتقويم دعائم المذهب والحفاظ عليه والتجديد فى منهجية الاستنباط الفقهى ودراسته, فإن الحوزة شاركت الأمة همومها وآلامها عبر تسجيل حضورها فى ساحة المواجهة مع التحديات السياسية فى نقاط ومفاصل مضيئة من تاريخها, كما أدت دوراً مهماً فى تقويم الالتزام الدينى لدى الناس.

ولأن المقام ليس مقام السرد التاريخى, بل لتبيان دور العلماء والحوزات الاجتماعى والسياسى فى المجتمع الإسلامى الشيعى خصوصاً, فسوف نقتصر على ذكر أبرز المحطات التى كان للعلماء والحوزات فيها دور فاعل فى مواجهة التحديات السياسية والاجتماعية للأمة فى العصر الحديث.

فمن الميرزا الشيرازى٦٦ الذى رفض استقلال مللك إيران ناصر الدين شاه عند مدخل مدينة النجف, ورفض هديته المالية تأكيداً على استقلالية الحوزة والمرجعية, إلى مواجهته للملك نفسه بما سمى (ثورة التنباك) وإصداره الفتوى الشهيرة التى اضطرت الملك إلى أن يلغى قراره بمنح الامتياز لشكة التنباك الانكليزية (1891م).

إلى فتوى الشيخ الآخوند الخراسانى (1329هـ) التى كان لها أثر كبير فى إلزام السلطة فى إيران بـ (النظام الدستورى) وتشكيل القانون الاساسى (المشروطة), وفتواه أيضاً بمحاربة الروس فى إيران التى

٦٦ . محمد حسن الشيرازي المعروف بالميرزا الشيرازي الكبير المجدد امتدت مرجعيته 23 عاماً

استجابت لها العشائر العراقية, فخرج على رأسها ومعه العديد من العلماء والمجتهدين بينهم السيد محمد كاظم اليزدى (1337هـ).

إلى فتوى السيد كاظم اليزدى بالجهاد ضد الانكليز فى البصرة بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى (1914م), وفتوى الميرزا محمد تقى الشيرازى (1338هـ) بوجوب محاربة الإنكليز فى سامراء وإرسال ابنه على رأس كتائب المجاهدين, كما شارك فى حركة الجهاد أيضاً الشيخ مهدى الخالصى(1343هـ) ومجموعة أخرى من علماء الحوزة ومجتهديها,

إضافة إلى فتوى السيد محمد سعيد الحيوى (1333هـ) الذى تحرك إلى جنوب العراق, وتحرك بعده شيخ الشريعة الاصفهانى (1339هـ) والشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء وآخرون.

وقد قاد العلماء ثورة العشرين (1920م) المعروفة فى العراق ضد الإنكليز, ثم وقفوا فى وجه الملك فيصل الذى دعا إلى انتخاب المجلس التأسيسى كمواجهة للانتداب البريطانى, وقاطعوا الانتخابات.

وتعددت اهتمامات علماء الشيعة السياسية فى مناطق نفوذهم فى العراق وإيران٦٧ , فأصدر علماء الشيعة فتاوى الجهاد والدفاع عن بلاد المسلمين عندما تعرضت طرابلس الغرب للغزو من قبل ايطاليا, وأصدر السيد محسن الحكيم فتاوى بدعم العمل المقاوم لليهود فى فلسطين والدفاع عن المقدسات الإسلامية فى القدس.

وموقف الإمام الخمينى فى هذه القضية كان مبكراً منذ بدايات تحركه السياسى فى الحوزة (1963م) , وكان موقفاً مميزاً بين أقرانه, المراجع والمجتهدين, وتجاوز التعاطف مع القضية ليصل إلى مساندة المجاهدين مالياً من خلال الحقوق الشرعية.

وكذلك نقف عند المصاديق البارزة لمواجهة التحديات فى الشأن السياسى عند صرخة الشهيد السيد محمد باقر الصدر(1400هـ) وإفتائه بحرمة الانتساب إلى حزب البعث فى العراق, والتصدى لظلم الحزب الحاكم حتى دفع حياته ثمناً لهذا الموقف, وموقف المرجع السيد الخوئى (1413هـ) فى انتفاضة (15) شعبان فى العراق (1411هـ) الذى تصدى لهداية وتوجيه الانتفاضة.

---

٦٧ . راجع د. الباقري, ثوابت ومتغيرات الحوزة العلمية, مصدر سابق.

ونصل إلى خلاصة مفادها: (إن الحوزات العلمية والعلماء كانوا طيلة تاريخ الإسلام والتشيع أهم قواعد الإسلام الحصينة فى مواجهة الهجمات والانحرافات)٦٨.

ولعل هذه المصاديق تشكل تمهيداً طبيعياً لانطلاق الثورة الإسلامية فى إيران على يد الإمام الخمينى (1410هـ), التى كان للعلماء والحوزة دور أساسى محرك وفاعل فى صناعة انتصارها, وبرغم هذا الدور للعلماء والحوزات فى تاريخ الإسلام والتشيع, فإن ما جاء به الإمام الخمينى يعتبر تتويجاً لتلك الجهود والنضالات.

إن بقاء الحوزات العلمية عند الشيعة وبقاء طلابها ومراجعها خارج دائرة التقنين الرسمى للحكومات فى العهود المتتالية, كان له أرفع الأثر فى استقلالية قرارها وبقائها خارج تأثير السلطة المباشر. وإن وجود مصادر مالية شرعية (الخمس)٦٩ لتغذية مصاريف الحوزات ورواتب الطلبة الدارسين فيها ساعد على استمرار هذه الاستقلالية فى القرار والنهج.

والملاحظة أن الحوزة العلمية فى النجف وقم انخرطتا فى الصراع ضد المستعمر لكنها لم تدخل فى معركة الصراع فى السياسة الداخلية فى الدولة الوطنية الحديثة إلا مؤخراً (1963م بداية حركة الإمام) فى قم و (1980م حركة الشهيد الصدر) فى العراق الأمر الذى أبقاها بمنأى عن ضغوط السلطة وتدخلاتها, ولعل الأمر يرجع أيضاً إلى الدور الانكفائى سياسياً لعلماء الشيعة تاريخياً.

٦٨ . الإمام الخميني . البيان التارخي الموجه إلى الحوزات والعلماء, من منشورات مجلة بقية الله, الوحدة الثقافية لحزب الله . بيروت, 1992م, ص2.

٦٩ . الخمس: ضريبة تطال مداخيل الفرد في ما يزيد عن قوت السنة (مصروفه السنوي) وتدفع للمراجع الدينية للتصرف بها في موارد مقررة في الشريعة.

الفصل الرابع

الفكر السياسى عند الإمام الخمينى

فى منهج التفكير السياسى

إن الحديث عن نظريات التغيير والاصلاح فى المجتمع الإنسانى لا يختص بالمسلمين فقط, بل هو حال النظريات والأفكار لدى مختلف المصلحين ودعاة التغيير فى كل زمان ومكان.

لكن الاختلافات بين هؤلاء تعود إلى المنطلقات الفكرية والعقائدية التى يستلهمون منها آراءهم ونظرياتهم.

فقد يتفق الإمام الخمينى مع العديد من المصلحين ودعاة التغيير الإسلاميين فى الاستناد إلى الإسلام كفكر وعقيدة من حيث المبدأ والشعار, وحتى فى الخطوط العريضة التى تقول بضرورة تحكيم الإسلام فى الحياة واتخاذه منهجاً للتغيير نحو الأفضل وحل المشكلات القائمة, انطلاقاً من إيمانه بـ(أن الإسلام هو الرسالة الوحيدة المؤهلة لهداية المجتمع والارتقاء به, وإن العالم إذا أراد التخلص من آلاف المشاكل التى يواجهها اليوم وتوفير الحياة الإنسانية فإن عليه التوجه نحو الإسلام)٧٠.

ولكن هذا الاتفاق لا يعنى بالضرورة تطابقاً مع الآخرين فى طريقة التفكير ومنهجية العمل وأساليبه للوصول إلى تحقيق هذا الهدف.

من هنا نجد التمايز بين المصلحين وقادة التغيير الإسلاميين فى الخطوط التفصيلية والطروحات العلمية والخطاب التغييرى, ولعل هذا ما يفسر نجاح البعض واخفاق البعض الآخر, واقتراب البعض فى خطابهم من هموم الناس وآلامهم وآمالهم ومحاكاتهم بلغة تجعلهم أكثر قدرة على الاستقطاب وقيادة المجتمع نحو التغيير.

٧٠ . الإمام الخميني , الكلمات القصار, مصدر سابق, ص25.

بخلاف الذين اختاروا الأساليب والخطاب غير الملامس بشكل مباشر لتلك الهموم والآلام فبقوا فى دائرة التنظير النخبوى, وكان الاخفاق نصيبهم فى محاولاتهم التغييرية وإن تركوا فى الأمة أثراً نسبياً على المدى البعيد, أو خلقوا وراءهم مجموعة من الأفكار والنظريات التغييرية.

ولعل ما يتميز به الإمام الخمينى عن غيره من المصلحين ودعاة التغيير الإسلاميين هو منهجه فى التفكير السياسى الذى يستند إلى مجموعة من مرتكزات أبرزها:

أولاً: حاكمية القانون الإلهى

انطلاقاً من اعتباره أن (العقيدة الإسلامية هى عقيدة صياغة الإنسان)[٧١], فبالتالى ليس من حاجة إلى مرجعية عقيدية أخرى فى تكوين منهجية التفكير عند الإنسان, لاسيما (وإن لدى الإسلام كل شىء لهذا الإنسان أى أنه لديه أطروحة متكاملة فى كل مراتبه بدءاً من مرتبة الطبيعة والى ما وراء الطبيعة, بل وحتى عالم الألوهية)[٧٢].

هذه الشمولية التى يجدها الإمام فى الإسلام تدفعه إلى اعتبار أن (قوانين الإسلام جامعة وشاملة إلى درجة تجعل من يطلع عليها يعترف أنها تفوق حدود الفكر البشرى ولا يمكن أن تكون نتائج القدرة العلمية والفكرية للإنسان).[٧٣]

ولأنها قوانين جامعة وشاملة وإلهية فى الوقت نفسه فإنه (ليس فى الإسلام حاكمية سوى لقانون واحد هو القانون الإلهى)[٧٤], وهذا ما يحسم فى منهجية التفكير السياسى عند الإمام "الحاكمية" التى يعيدها للقانون الإلهى أو "النص المقدس" المتمثل بالقرآن الكريم.

ومن هنا نجده ينظر إلى ولاية الحاكم الإسلامى (فى نظرية ولاية الفقيه) باعتبار ولايته امتداد لولاية الإمام المعصوم والنبى المرسل المعتمدة إلى ولاية الله ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا...﴾٧٥.

---

٧١ . الإمام الخميني , الكلمات القصار, مصدر سابق, ص23.

٧٢ . المصدر نفسه, ص24.

٧٣ . المصدر نفسه, ص25.

٧٤ . نفس المصدر .

٧٥ . سورة المائدة, الآية 55.

ثانياً: مبدأ أداء التكليف الشرعى

ينطلق الإمام فى حركته التغييرية بدءاً من النوعية والتبليغ, مروراً بالخطاب السياسى الاستنهاضى للأمة, وصولاً إلى الثورة الدموية وإقامة الحكومة الإسلامية من مبدأ أن الإنسان مأمور إلهياً ببذل الجهد الممكن والمستطاع فى احقاق الحق ومحاربة الباطل فى كل المراتب والمستويات.

وهذا الأمر هو تكليف الهى لكل إنسان بحسب قدرته وامكاناته دون النظر إلى تحقيق النتائج, أو الخوف من الخسارة وهو يجسد بذلك أعلى مراتب الالتزام الشرعى الإلهى من جهة, وأعلى مراتب التوكل على الله من جهة اخرى, معتبراً أننا (مأمورون بأداء التكليف والواجب ولسنا مأمورين بتحقيق النتائج, وإذا عملنا بالتكليف الذى عينه الله سبحانه وتعالى لنا فلن نخاف حينها من تعرضنا للهزيمة)[٧٦].

مضيفاً (لنؤدى واجبنا فقط فالله سبحانه وتعالى لا يكلف نفساً إلاّ وسعها)[٧٧], ولا يخفى ما لهذه الثقافة من أثر فى توليد روحية المبادرة والاقتحام فى ساحة الصراع عند المكلّف.

ثالثا: الدور المركزى للأمة (الشعب)

بعد تحديد الاطروحة الفكرية فى عمله السياسى والمحافز للعمل التغييرى عبر أداء التكليف الشرعى, يرى الإمام أن الدور الرئيسى فى التغيير يكمن فى تحرك الناس معتبراً أن (كل القوى تعجز عن الصمود أمام قدرة الشعب العظيمة, وعندما يريد الشعب شيئاً فلن يتمكن أحد من معارضته, وأن علينا أن نتيقن بأن الشعوب إذا أرادت أمراً ما فإنه سيتحقق)[٧٨].

من هنا نلحظ أن المنهج السياسى الذى اعتمده الإمام الخمينى فى حركته ارتكز على اعتبار دور الأمة دوراً مركزياً وفاعلاً أساسياً فى حركة النهضة وإحداث التغيير السياسى المنشود.

وبذلك نكون لامسنا المرتكزات الأساسية لمنهج الفكر السياسى عن الإمام والذى يرمى بضلاله على كل الموضوعات التى عالجها الإمام فى خطاباته وكتاباته السياسية.

---

٧٦ . الإمام الخميني, الكلمات القصار , مصدر سابق, ص59.

٧٧ . المصدر نفسه

٧٨ . المصدر نفسه.

وسنرى فى الصفحات القادمة كيف تجسد هذا المنهج فى التفكير السياسى للإمام الخمينى من خلال رؤيته لكل من موضوعات الفكر وقضايا الحياة.

رابعاً: وحدة وتكامل النظرة إلى الشريعة

وتبقى الإشارة إلى ميزة هامة وهى اهتمامه فى كل جوانب الشريعة فيما يمكن أن نسميه وحدة وتكامل النظرة إلى الشريعة.

وقد امتاز منهج الإمام عن العديد من المناهج الأخرى بأنه اهتم بكل جوانب الشريعة, ولم يرجح اهتمامه فى جانب على حساب الآخر, فلم يهمل العبادات (الجوانب الروحية والدينية والتربوية الفردية) لمصلحة المعاملات (الجوانب الاجتماعية والسياسية... الخ) ولا العكس أيضاً.

فيما نجد أن بعض الحركات الإسلامية طغى عليها اهتمام بالفكر السياسى الإسلامى والمنهج العقلى فى التعامل مع المفاهيم والحقائق, فى حين ضمرت لدى هذه الحركات روح التدين والعبادة فاهتمت فى السعى لتحكيم الإسلام فى الدولة والمجتمع عبر السعى لاستلام السلطة والامساك بمفاصل القوة فى الدولة, ظناً منها أن هذا هو الطريق الأقصر والأنجح لنشر الإسلام وتعاليمه, وخلق المجتمع الإسلامى الذى يمارس الإسلام عقيدة وعملاً.

وهؤلاء تحركوا فى المجال السياسى من غير إعطاء اهتمام يذكر للتعبئة الروحية فى تكوين الشخصية الإسلامية, بينما ذهب البعض الآخر من التيارات والحركات الإسلامية باتجاه منحى الاهتمام بروح التدين والعبادة وتهذيب النفس, واهتم بالتالى بنشر الدعوة فى أوساط المجتمع عبر إثارة الاهتمام بتلاوة القرآن وكتب الحديث, فى حين ضمرت لدى هذه الحركات الاهتمامات بالوعى السياسى والمفاهيم العقلية والعمل لتغيير الواقع, لمصلحة تحكيم الإسلام فى الحياة الاجتماعية العامة.

ولم يقتصر تأثير كلا التيارين على العالمين والمنخرطين فى صفوفهما وأنصارهما, بل كاد المسلمون عموماً يتوزعون فى النزعة إلى أحد هذين التيارين عن قصد أو من غير قصد.

بينما نجد أن الإمام كان شمولياً فى هذا الجانب وذاك, ووازن بين العمل الدعوى والتربية الروحية والعبادية من جهة, وبين العمل السياسى والسعى للثورة والوصول إلى النظام والسلطة لتحكيم الإسلام فى الجوانب الاجتماعية والسياسية للمجتمع من جهة أخرى.

ولعله كان أكثر استيعاباً ووعياً لحركة الإسلام الشمولية التى لا تهمل أى جانب من جوانب الحياة فى منهجها التوحيدى, بل لعله كان يرى أن الخلل الذى تعانى منه الأمة الإسلامية يكمن فى تغليب الاهتمام بجانب دون الآخر, أو التركيز على جانب على حساب الآخر عند من سبقه من المجددين والمصلحين الإسلاميين.

فتراه يرسم منهج التوازن الذى لا تنفصل فيه حركة الدعوة الروحية العبادية عن حركة الاستنهاض السياسية, فيقول لطلابه فيا لحوزة (علينا من الآن أن نسعى لوضع الحجر الأساس للدولة الإسلامية الشرعية, فندعو ونثبت الأفكار, ونصدر تعليماتنا ونكسب المساندين والمؤيدين للجماهير, ليحصل رد فعل جماعى تكون على أثره جموع المسلمين الواعية المتمسكة بدينها على أتم الاستعداد للنهوض بأعباء تشكيل الحكومة الإسلامية, وعلى الفقهاء بيان المسائل والأحكام والأنظمة الإسلامية وتقريبها إلى الناس من أجل إيجاد تربة صالحة تعيش على سطحها النظم والقوانين الإسلامية)٧٩.

وقبل أن نلج إلى استعراض قضايا وموضوعات الفكر السياسى عند الإمام لابد لنا من الإشارة إلى أحد أساليب التجديد فى الفكر السياسى لديه, هو فى اعتماده منهج الثقافة الشعبية والخطاب الجماهيرى فى إيصال الفكر السياسى إلى الناس, بعيداً عن التنظير الفكرى أو مخاطبة النخبة فقط بمصطلحات نخبوية.

فمن يقرأ الإمام فى تراثه المكتوب لا يجد أثراً للتنظيرات الفكرية التى اعتدنا أن نجدها عند غيره من المفكرين وأصحاب المشاريع النهضوية أو التجديدية, بل نجد كماً هائلاً من الخطب والبيانات والدروس كتبت أو ألقيت فى مناسبات عديدة منذ البدايات الأولى لتحركه فى الأوساط الدينية (الحوزوية) والشعبية, وكلها تتضمن آراءه ومواقفه من القضايا الفكرية والسياسية وحتى معالجة طريقة ومنهج التفكير عند الإنسان,

٧٩ . الإمام الخميني ,الحكومة الإسلامية , منشورات المكتبة الإسلامية الكبرى, طهران . 1980م. ص120.

ولكنها تعتمد اللغة البسيطة وغير المعقدة التى لا تحمل المصطلحات الغريبة عن ثقافة عامة الناس, فهى تخاطب الناس بلغتهم وتستخدم المصطلحات القرآنية بشكل كثيف.

ولعل هذا المنهج التجديدى عند الإمام فى تلاحظ الفكر السياسى الإسلامى كان له أثره الايجابى فى تعميق حركة التواصل بين الإمام وفئات المجتمع الإيرانى كافة, بل والإسلامى عامة.

ولا بد من الإشارة إلى أن هذا الأمر لا يعنى أن الإمام لم يكتب بلغة النخبة, فمعظم كتاباته فى مجالات العرفان وأصول الفقه والفلسفة لا يرقى إليها إلا أصحاب الثقافة والمعرفة العالية, فقد كتب الإمام فى هذه الموضوعات العلمية التى يدرسها الطلبة والباحثون المتخصصين بلغة غير مبسطة تقتضيها تناول هذه الموضوعات المتخصصة.

وهو عندما يعتمد هذا المنهج فى طرح فكره السياسى, فهو ينطلق من كون الفكر السياسى هو طريقة فهم الناس لما يجرى حولهم, ووعى الناس لقضاياهم فى الحياة, ولذلك فلا بد لتكوّن هذا الفهم وإدراك ذاك الوعى من أن يتم الخطاب بلغة الناس, وأن يكون الخطاب منسجماً مع أوليات العقيدة الإسلامية التى يؤمن بها الناس, لا أن يمارس الخطاب معهم نوعاً من الإسقاط لمفاهيم ومصطلحات غريبة عنهم أو ليست من ثقافتهم.

وباعتبار أن السياسة فى فهم الإمام هى (المنظم للعلاقة بين الحاكم والشعب ونمط الروابط بين الحاكم وسائر الحكومات الأخرى, ومن ضمنها مكافحة الفساد, وكل هذه القضايا تندرج فى إطار السياسة, وأن أحكام الإسلام السياسية أكثر من أحكامه العبادية)٨٠, فلابد للغة السياسة من أن تكون منسجمة مع الموضوع المتعلق بها, وهو فى أحد أطرافه الأساسية يخص عامة الناس.

أبرز موضوعات التجديد فى الفكر السياسى عند الإمام الخمينى

يرتكز الفكر السياسى للإمام على أساس أن الإسلام دين الحياة بكل تفاصيلها, وهو طرح شامل لجميع شؤون وقضايا الحياة والمجتمع, وأن الفقه الإسلامى نظرية واقعية متكاملة لإدارة الإنسان والمجتمع من المهد إلى اللحد.

---

٨٠ . الإمام الخميني , حديث الشمس, منظمة الاعلام الإسلامي , ط1, طهران , 1992, ص17.

(وإن الحكومة (فى نظر المجتهد الواقعى) هى تجسيد للفلسفة العلمية لتمام الفقه فى جميع جوانب الحياة, والحكومة هى انعكاس البعد العملى للفقه فى تعامله مع جميع المعضلات الاجتماعية والسياسية والفكرية والثقافية, وأن الهدف الأساسى هو كيف نبغى تطبيق الأصول الثابتة للفقه فى عمل الفرد والمجتمع ونتمكن من الحصول على جواب للمعضلات؟)٨١.

فالحكومة التى هى السلطة التنفيذية فى الدولة تمثل ضرورة فقهية عند الإمام لتجسيد البعد العملى للفقه الإسلامى, وهو يستند فى طرحه إلى محاكاة الأنبياء الذى بعثوا بالكتب السماوية لإقامة حكم الله فى الأرض, ولتنظيم وهداية الإنسان إلى ما فيه خيره وصلاحه فى الدنيا والآخرة, ولم تقتصر دعوتهم على الجانب التبليغى النظرى, بل هم سعوا لامتلاك الأداة التنفيذية لتطبيق النظرية التى جاءت بها الشريعة.

فإذا كانت الكتب السماوية متضمنة لمجموعة من القوانين النظرية لإدارة المجتمع والحياة, (فمجموعة القوانين لا تكفى لإصلاح المجتمع, ولكى يكون القانون مادة لإصلاح وإسعاد البشرية, فإنه يحتاج إلى السلطة التنفيذية, فالرسول 7 كان يترأس جميع أجهزة التنفيذ فى إدارة المجتمع الإسلامى, إضافة إلى مهام التبليغ وبيان تفصيل الأحكام والأنظمة, وكان قد اهتم بتنفيذها حتى أخرج دولة الإسلام إلى حيز الوجود). ٨٢

هكذا يرى الإمام الإسلام أنه دين ودولة متلازمان, فقه يبين التفاصيل النظرية للأحكام والقوانين, وسلطة تنفيذية لتطبيق تلك الأنظمة والأحكام والقوانين النظرية.

من هنا فلابد من استعراض إبرز الموضوعات التى جسدت الفكر السياسى للإمام الخمينى وهى:

1ـ وحدة الدين والسياسة:

يرى الإمام أن المشكلة المنهجية الأساسية التى يعانى منها المسلمون فى تفكيرهم السياسى تكمن فى تسرب مفهوم فصل الدين عن السياسة إلى أذهان المسلمين وعلمائهم, من هنا فإن عدم الفصل بين الدين

٨١ . الإمام الخميني, الخطاب التاريخي الموجه إلى العلماء والحوزات 15, رجب 1409هـ. اصدار مجلة بقية الله, بيروت 1990م.

٨٢ . الإمام الخميني , الحكومة الإسلامية, مصدر سابق ,ص23.

والسياسة يشكل أحد الأسس الثابتة فى أفكار الإمام الخمينى, وهو يرى فى الدين المفصول عن السياسة "ديناً أمريكياً".

(فالدين الذى يصبح وسيلة لسلب القوى المادية والمعنوية للبلدان الإسلامية وغير الإسلامية, ويضعها تحت تصرف القوى الكبرى وباقى القوى العالمية وينادى بفصل الدين عن السياسة هو أفيون المجتمع, ولكن مثل هذا الدين ليس ديناً واقعياً بل هو دين يسميه شعبنا ديناً أمريكياً). ٨٣

لقد تناول الإمام الخمينى معالجة هذه الإشكالية منذ انطلاقة حركته الأولى فى الحوزة, وفى دروسه الدينية التى ألقاها على طلابه ومريديه, واستمر فى الإشارة إليها والتركيز عليها فى جميع خطبه ودروسه ومحاضراته وكتاباته حتى فى وصيته التى فتحت بعد ارتحاله والتى حملت عنوان (الوصية السياسية الإلهية), فقد ضمّنها الإمام فقرات كاملة فى هذا الموضوع.

فهو يرفض الإدعاء بأن الإسلام لا يستطيع أن يجيب عن كل متطلبات الحياة وساحاتها المتعددة, ويؤكد أن الدين الإسلامى والشرع الحنيف يحوى قوانين لتنظيم جميع شؤون الحياة, و(أحكام الشرع تحوى قوانين متنوعة لنظام اجتماعى متكامل, وتحت هذا النظام تنسد جميع حاجات الإنسان, بدءاً من علاقات الجوار وعلاقات الأولاد والعشيرة وأبناء الوطن وجميع جوانب الحياة العائلية الزوجية, وانتهاءاً بالتشريعات التى تخص الحرب والسلم والعلاقات الدولية والقوانين الجزائية والحقوق التجارية والصناعية والزراعية..

فى جميع هذا يملك الإسلام قوانين وأنظمة من أجل تربية إنسان متكامل وفاضل يجسد القانون ويحييه وينفذه ويعمل ذاتياً لأجله, ومعلوم إلى أى حد اهتم الإسلام بالعلاقات السياسية والاقتصادية للمجتمع, سعياً وراء إيجاد إنسان مهذب وفاضل)[٨٤].

كما أنه يستدل على ضرورة قيام الحكومة الإسلامية بوجود مثل هذه الأنظمة والقوانين التى لا سبيل إلى تطبيقها إلا بوجود سلطة تنفيذية, (وعند إمعان النظر فى ماهية أحكام الشرع, يثبت لدينا أن لا سبيل إلى

---

٨٣ الإمام الخميني , مقطع من رسالته إلى غورباتشوف, 1990.

٨٤ . الإمام الخميني . الحكومة الإسلامية . مصدر سابق, ص20.

وضعها موضع التنفيذ إلا بواسطة حكومة ذات أجهزة مقتدرة)[٨٥], ثم يعدد أمثلة تفصيلية لهذه الأحكام, كالأحكام المالية وأحكام الدفاع والحدود والقصاص وغيرها.

ومن الواضح أن ما يريده الإمام من عدم الفصل بين الدين والسياسة, ومن تأكيد شمولية الإسلام لجميع شؤون وقضايا الحياة والمجتمع, هو عودة الإسلام للحياة ولأخذ دوره فى إدارة المجتمع كما كان فى عهد الرسول 7 والخلفاء, (ففى عصر النبى "ص" هل كان الدين بمعزل عن السياسة؟ وفى زمن الخلفاء وفى زمن على (عليه السلام) هل فصلت السياسة عن الدين؟ هل كان يوجد جهاز للدين وجهاز آخر للسياسة؟)٨٦.

ومن المعلوم أن الإمام كان يطرح هذه التساؤلات الاستنكارية ويجيب عنها فى دروسه الحوزوية فى النجف الاشرف على طلابه أى فى الأعوام (1956ـ 1987), وكان يرى أن عودة الإسلام إلى الحياة فى المجتمعات الإسلامية تحتاج إلى وقت ولن يكون الأمر سريعاً, ولكنه يطلب إلى تلامذته أن يبدؤوا بالتعرف على الإسلام الشمولى, وأن ينشروا بين الناس هذا المفهوم الصحيح عن الإسلام.

(إن على من يريد معرفة الإسلام أن يعرفه بهذا الكل, فيعمل بالآيات والأحكام الواردة بشأن النواحى المعنوية, ويعمل كذلك بالآيات والأحكام التى جاءت لتنظيم أمور المجتمع وتدبير شؤونه السياسية والحكومية)٨٧.

وهذا ما حث عليه القرآن عندما حذر من اتباع جانب من جوانب الشرع, وترک جوانب أخرى فى الآية القرآنية ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلک منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾٨٨, وهى نزلت بقوم خالفوا بعض أحكام الشرع فى ما يخص الأسرى وطريقة التعامل معهم.

---

٨٥ . المصدر نفسه, ص28.

٨٦ . الإمام الخميني . الحكومة الإسلامية . مصدر سابق, ص30.

٨٧ . الإمام الخميني, حديث الشمس , مصدر سابق، ص23.

٨٨ سورة البقرة, الآية 85.

وإذا كان هذا المفهوم للدين قد غاب عن المسلمين أو جلهم لعصور وفترات زمنية طويلة بفعل الثقافة الاستعمارية, فإن عودته قد تحتاج إلى وقت طويل أيضاً, لذا نجد أن الإمام يلحظ ذلک ولكنه يحث طلابه على الانطلاق من الصفر لنشر هذا المفهوم وإعادته إلى أذهان الناس ورفع الالتباس القائم.

(فالمستعمرون قبل أكثر من ثلاثة قرون أعدوا أنفسهم وبدأوا من نقطة الصفر فنالوا ما أرادوا, لنبدأ نحن الآن من الصفر, لا تمكنوا الغربيين وأتباعهم من أنفسكم, عرّفوا الناس بحقيقة الإسلام كى لا يظن جيل الشباب أن أهل العلم فى زوايا النجف وقم يرون فصل الدين عن السياسة, وإنهم لا يمارسون سوى دراسة الحيض والنفاس ولا شأن لهم بالسياسة)[٨٩].

ونلحظ هنا تركيزه على عنصر الشباب باعتبار أنه الفئة المتعلمة والمثقفة التى قد تكون أكثر عرضة للغزو من قبل الثقافة الغربية تحت لافتة التقدم والتطور, ولكى (لا يظن أن قصورنا عن ذلک إنما يعود إلى ديننا, وأن لا سبيل إلى مثل هذا التقدم إلا فى اعتزال الدين وقوانينه.. وعلى هذا فلا ينبغى لنا بمجرد أن نرى أحداً يذهب إلى القمر أو يصنع شيئاً نطرح ديننا وقوانيننا التى تتصل اتصالاً مباشراً بحياة الإنسان, وتحمل نواة إصلاح البشر وإسعادهم فى الدنيا والآخرة)[٩٠].

وهو لا ينسى أن يحمّل عوامل الضعف الداخلية شراكة المسؤولية هى التى ترسخ مفهوم الفصل بين الدين والسياسة فى مجتمعنا (فهذه مخططات الاستعمار التخريبية, وإذا أضفنا إليها عوامل الضعف الداخلية لدى بعض أفرادنا, نتج عن ذلک أن هذا البعض أخذ يتضاءل ويحتقر نفسه فى مقابل التقدم المادى لدى الأعداء)٩١.

وبدل أن يكون العلاج فى العودة إلى الدين والى منابعه الأصلية وتعاليمه, لما لجأ هذا البعض إلى تحميل الدين مسؤولية التخلف وعدم مواكبة التطور والتقدم.

---

٨٩ . الإمام الخميني , الحكومة الإسلامية , مصدر سابق, ص17. 20. 21.

٩٠ . نفس المصدر.

٩١ . نفس المصدر.

3ـ دور العلماء والحوزات فى قيادة المجتمع

إن لموقعية الفقيه عند المسلمين الشيعة أثر أكبر فى المجتمع والرأى العام من موقعيته عند المذاهب الإسلامية الأخرى, ويعود ذلک لأنه يمثل عندهم القيادة الفعلية على مستوى إيصال الأحكام الشرعية وتعليمها, وباعتباره ـ على ضوء نظرية ولاية الفقيه[٩٢]ـ هو المتصدى لإدارة شؤون الأمة والقيادة السياسية, وهذا ما لا تلحظه الحركات الإسلامية على ساحة المسلمين السنة, لأن دور العالم بعد إغلاق باب الاجتهاد بات ثانوياً ما دام باستطاعة الفرد أن يحصّل الحكم الشرعى من الكتب الفقهية المقررة للمذاهب.

وبعد وقوع العالم الإسلامى تحت سيطرة القوى الكبرى أصبحت المعاهد الشرعية والحوزات العلمية هدفاً للاستعمار الذى جهد من أجل الإمساک بها وإخضاعها لتوجهاته أو خنق صوتها المعارض له, واستمر الأمر ذاته مع الدول والحكومات بعد استقلالها, لأنها أخذت بالنظم العلمانية الغربية فى إدارتها السياسية, وفى إبعاد أو تدجين الدين.

من هنا كان الفرز الذى نراه اليوم بين مدارس مرتبطة بوزارة الأوقاف والتربية ومديرياتها, مثل الجامع الأزهر وجامعة القرويين, ومدارس ليس لها ارتباط بأجهزة الدولة مثل النجف وقم على سبيل المثال, فإن الإمام الخمينى تصدى لإحدى محاولات شاه إيران فى إخضاع الحوزات العلمية لسلطة الدولة, وذلک عندما قرر إنشاء جامعة إسلامية يتخرج منها أئمة المساجد وخطباؤها, فأصدر الإمام الذى كان فى المنفى (النجف) فتوى تحريم الانتساب إليها واعتبرها خطوة ماكرة (كرفع المصاحف فى يوم صفين) فهم يقصدون بتنفيذها تحطيم المعاقل المعادية للاستعمار وتبديلها بجهات تخدم الاستعمار والصهيونية.

وبكلمة موجزة : إحلال عملائهم محل العلماء وتنحية الخطباء الشرفاء وتنصيب العمائم المرتزقين ورجال مخابراتهم الفاسدين على منابر الإسلام ومنبر الرسول الأعظم[٩٣].

---

٩٢ . ولاية الفقيه , نظرية إسلامية تقوم على توسيع دائرة الولاية للمجتهد الفقيه إلى خارج ما تعارف عليه أكثر العلماء والمجتهدين (بالولاية على الفروج والأموال والايتام) لتشمل الولاية العامة على جميع شؤون المسلمين في المجالات كافة وهي زمن الغيبة, فيغدو للمجتهد الفقيه نفس صلاحيات الإمام المعصوم في غيابه.

راجع جعفر مرتضى العاملي, ولاية الفقيه, بحث فقهي استدلالي , 1403هـ.ق, قم.

٩٣ . الإمام الخميني , دروس في الجهاد والرفض, مصدر سابق, ص170.

وبرغم كل التاريخ الذى ذكرناه للعلماء والحوزات عند الشيعة, ودورها الريادى فى حفظ الشريعة وتطوير مناهج الفقه وتبويبه والتصدى لبعض التحديات فى الساحة الاجتماعية والسياسية, إلا أن الحوزات كانت تشكو من العديد من الثغرات التى تركت بصماتها على الحوزة وبعض علمائها, حتى تغلغلت إلى المفاهيم وخلقت جموداً وحجباً فى زاوية الواقع السياسى والاجتماعى عند الكثير من علمائها, ويلخصها الإمام بالتالى:

1ـ تغليب الاهتمام فى البحوث الفقهية على الأحكام الفردية والعبادية دون الاهتمام بالجوانب الاجتماعية والسياسية فى الفقه, ولعل هذا الأمر كان بسبب ابتعاد العلماء والحوزات من جهة، وإقصائهم عن مراكز السلطة والقرار من جهة أخرى.

بالإضافة إلى وجود العديد من الطلبة والعلماء الذين يحملون مفاهيم تقليدية حول دور العلماء والحوزات فى اقتصاره على الجوانب التبليغية والروحية والتدين الفردى, وتستند تلك المفاهيم التقليدية إلى رؤية فقهية تقول بعدم شرعية أى دولة أو سلطة فى زمان الغيبة (وهو ما يصطلح عليه بالانتظار السلبى للظهور).

وقد ترک هذا الأمر عند الإمام حرقة ولوعة, فهو ينعت هذا الصنف منهم "بالمتحجرين" ويعتبر (أن حجم المرارة والأسى الذى تجرعه أبوكم العجوز من هؤلاء المتحجرين لم يتلقَ مثله من ضغط وقساوة الآخرين, ولذلک عندما رفع شعار فصل الدين عن السياسة وأصبح الفقه فى منطق الجهلة هو الاستغراق فى الأحكام الفردية والعبادية, ولم يكن يسمح للفقيه بأن يخرج عن هذا الإطار ويتدخل فى السياسة وشؤون الحكم, فيما أصبح تعلم اللغات الاجنبية كفراً, وتعلم الفلسفة والعرفان ذنباً وشركاً, ولا شک فى أنه لو استمر هذا التيار لأصبح وضع العلماء والحوزات كوضع كنائس القرون الوسطى)[٩٤].

ولعل هذا الأمر كان الأخطر من بين المشكلات التى تعانى منها الحوزة والعلماء والتى واجهها الإمام بقوة وعمل على تغييرها, وبذل جهوداً حثيثة لإعادة الدور الريادى للعلماء والحوزات فى المجتمع الشيعى, لاسيما فى إيران.

---

٩٤ . الإمام الخميني, صحيفة نور, مصدر سابق, ص37.

2ـ لقد اعتادت الحوزة على حالة من اللانظام فى سير الحركة العلمية فيها, حيث لا يخضع الطلبة الدارسون لامتحانات أو ضوابط علمية أخرى, والأمر متروك فى هذا المجال إلى الحدود العرفية والأخلاقية.

فلا ضوابط لطريقة قبول الطالب سوى أن يجد ممن سبقه إلى الحوزة من هو مستعد لتدريسه, ولا ضوابط فى لبس الزى الدينى ولا فى ترك الدراسة أو حمل بعض الألقاب العلمية سوى ما يمكن أن يصدر عن العُرف والوسط والبيئة والمحيط السائد فى الحوزة, ويعبر الإمام عن هذا بقوله: (ولعل أطروحة (النظام فى عدم الانتظام) هى من اللقاءات المشؤومة لهؤلاء المخططين والمتآمرين)٩٥.

3ـ وجود أجواء التفرقة والخلاف بين تيارات الحوزة حتى بين أصحاب الروح الثورية فضلاً عن التقليديين, وهذا ما أدى دوماً إلى تشرذم وتشتت الجهود فى القضايا الأساسية وفى الاستحقاقات الكبرى, برغم أن معظم الاختلافات تستند إلى مسائل تفصيلية وغير أساسية.

لذا نجد الإمام يركز كثيراً على ضرورة الوحدة بين الطلبة والعلماء الثوريين, ويعتبر أن من (أولى الوظائف الشرعية والإلهية المحافظة على اتحاد ووحدة الطلبة والعلماء الثوريين, وإلا فإن الليل المظلم ينتظرنا وأمواج الفتن والبلايا أمامنا, ولا يوجد اليوم أى مبرر شرعى أو عقلى لأن يكون الاختلاف فى الأذواق والأفكار وحتى ضعف الإرادة سبباً لزوال الألفة ووحدة الطلبة والعلماء الملتزمين).٩٦

من خلال تشخيص الإمام للثغرات التى تعانى منها الحوزة وعلماؤها, دخل الإمام بفكره ليصلح ما أفسده الدهر فى ما يفترض أن يكون القلعة الحصينة للإسلام, وكان لزاماً أن يبدأ فى إصلاح النمط السائد فى التفكير لدى العلماء والطلبة حول دورهم فى الحوزات والمجتمع, ولكنه لم يتعاط بطريقة انقلابية يرفض فيها كل ما هو سائد أو موجود, بل سعى أولاً إلى الحفاظ على المرجعية فى العديد من القضايا.

فهو حين يتعامل مع مفردات الواقع يتعامل معها بموضوعية كاملة ويتفهم للجوانب السلبية والايجابية فى هذه المفردات, فهو لا يدعو مثلاً إلى إنشاء مؤسسة دينية جديدة منزهة عن العيوب, بل يطالب هذه

---

٩٥ . الإمام الخميني, البيان التاريخي الموجه إلى العلماء والحوزات, مصدر سابق.

٩٦ الإمام الخميني, البيان التاريخي الموجه إلى العلماء والحوزات , مصدر سابق.

المؤسسة القائمة والموجودة بالفعل بتصحيح الخلل الموجود فيها, والذى يمكن إصلاحه, بدليل وجود الكثير من العلماء الذين اهتدوا إلى الأفق الصحيح وسلكوه معه.

فحمل الإمام لواء الدفاع عن الحوزات وتاريخها, وحاول أن يُظهر دوماً أن هناك محطات مضيئة فى هذا التاريخ يجب التركيز عليها والاستفادة منها ومن تجاربها, ولكنه فى الوقت نفسه يصنف نوعاً من العلماء ويصفهم بالمتحجرين ويحذر الطلبة منهم, فهو يقول: (لا شک فى أن الحوزات العلمية والعلماء الملتزمين كانوا على طول تاريخ الإسلام والتشيع أهم قاعدة ثابتة للإسلام ضد الهجمات والانحرافات, وقد سعى علماء الإسلام العظام طيلة أعمارهم لترويج أحكام الحلال والحرام الإلهية من دون تحريف أو تصرف, وبحمد الله فإن الحوزات العلمية غنية ومتجددة بلحاظ منابع وطرق البحث العلمى والاجتهاد, ولا أعتقد أن هناک أسلوباً أنسب من أسلوب العلماء السالفين لدراسة العلوم الإسلامية دراسة عميقة وشاملة, ويشهد تاريخ أكثر من ألف عام تحقيق علماء الإسلام الصادقين ومتابعاتهم على ادعائنا فى إنماء بذرة الإسلام المقدسة وجعلها شجرة مثمرة).

ويضيف الإمام: (أى عزة أعظم من أن يتمكن العلماء مع ضحالة إمكانياتهم من أن يجعلوا من الفكر الإسلامى الخاص تياراً فى ساحة الفكر والثقافة الإسلامية, وبهذا أزهرت بذرة الفقه المقدسة فى روضة الحياة المعنوية لآلاف العلماء المحققين).

ولكنه يستدرک(ولا يعنى هذا إننا ندافع عن جميع العلماء, إذ إن علماء البلاط المزيفين والمتحجرين ليسوا قلة, ولن يكونوا قليلين, وفى الحوزات العلمية أشخاص يعلمون ضد الثورة وضد الإسلام المحمدى الأصيل, وبعضهم اليوم عبر التظاهر بالقداسة يعمل على اجتثاث جذور الدين, وكأنه لا مهمة له غير ذلک)[٩٧].

ويؤكد الإمام أن دور الفقهاء هو قيادة المجتمع ليس فقط فى تبيان أحكام الشريعة, بل أيضاً فى مجالات الجهاد والحرب والسياسة, وبهذا يحدد الدور الشمولى للفقهاء: (إن تحديد واجبات الفقهاء وعلماء الدين

٩٧ الإمام الخميني , الخطاب التاريخي الموجه إلى الحوزات والعلماء مصدر سابق. ص76.

بمراسم العبادات وبيان أحكامها وشرائطها من طهارة ونجاسة ودعاء ومناجاة فحسب هو من مخلفات سموم المستعمرين أعداء الإسلام.

إن أول واجبات الفقيه العارف بأحكام الشريعة الإسلامية هو النهضة والقيادة من أجل إعلاء كلمة الله فى الأرض والجهاد المستمر لتطهير أرض الله من أعدائه فى ميادين الجهاد المشرفة)٩٨.

وفى الوقت الذى يحدد فيه دور العلماء الشمولى فى قيادة الأمة, فهو يحمّلهم مسؤولية نوعية الجماهير وتحقيق النهضة العامة فى المجتمع وإقامة الحكومة الإسلامية, فيقول: (على الفقهاء أن يفضحوا بجهادهم وقيامهم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر, حكام الجور ويزلزلوهم, ويسعوا فى توعية الناس لكى تتحقق النهضة العامة للمسلمين الواعين, فتسقط الحكومات الجائرة وتقام الحكومة الإسلامية, وإن على علماء الإسلام مسؤولية تنبيه المسلمين كلّما أحسوا بالخطر يهدد الإسلام والقرآن, حتى لا يكونوا مسؤولين أمام الله)٩٩.

كما يدعو الحوزات والعلماء إلى مواكبة تطور الحياة وتلبية متطلباتها عبر الإجابة عن كل المستجدات فى المستقبل (فعلى الحوزات العلمية والعلماء أن يكونوا على إطلاع بنبض تفكير المجتمع واحتياجاته المستقبلية دوماً, وأن يكونوا على أهبة الاستعداد قبل وقوع الحوادث على الدوام لاتخاذ الموقف المناسب عند وقوعها).[١٠٠]

ولأجل الحفاظ على العلاقة الوطيدة بين الناس والعلماء, يوصى كلاً منهما بالآخر, فهو يسعى لأن تبقى الحوزات والعلماء موضع احترام لدى الناس, وفى الوقت نفسه يريد من العلماء والحوزات أن يتحلوا بمسلك الاستقامة والابتعاد عن كل ما يترك أثراً سلبياً فى صورتهم عند الناس, فيخاطب الناس: (احترموا الحوزات العلمية, ولا تستمعوا لمن يريد أن يفصلكم عن الحوزات العلمية وعن مراجع الدين, فإن العلماء

٩٨ . الإمام الخميني, موقف الإمام الخميني تجاه إسرائيل دار التوجيه الإسلامي, الكويت, ص121.

٩٩ . الإمام الخميني, الكلمات القصار, مصدر سابق, ص259.

١٠٠ المصدر نفسه, ص260.

هم الذين حفظوا الإسلام فى العصور السوداء, فدافعوا عن العلماء والحوزات العلمية فى أى مكان واجعلوا التقوى نصب أعينكم)[١٠١].

وبالمقابل يخاطب العلماء (إذا رأى الناس أن السادة العلماء قد غيروا أوضاعهم لا سمح الله فبنوا العمارات وأصبح لهم نشاط لا يتناسب مع شأن العلماء, وفقدوا من قلوبهم ما يربطهم بالعلماء فإن ذلک يعد بذاته ضياعاً للإسلام والجمهورية الإسلامية, فليس هناک آفة أخطر على العلماء وعلى دنياهم وآخرتهم من توجههم نحو الشرف والانسياق وراء الدنيا)[١٠٢].

إن علاقة الثقة المتبادلة التى يريد الإمام أن تُبنى بين القيادة العلمائية والقاعدة الشعبية تقوم على أساس أن (العلماء هم ورثة الأنبياء) وهم رجال علم وتقوى, يزهدون فى بساطة حياتهم ومتطلباتهم الخاصة, ويفنون عمرهم فى عمل دائب ومخلص فى سبيل أمتهم ودينهم.

وإن تحليهم بفضائل الأخلاق والورع والتقوى هو السبب الذى يخوّلهم أن ينالوا تلک الثقة من القاعدة, فهم القدوة والمثل الأعلى, وعندما يرى الناس المثل الصالح يتجسد فى العلماء, فحتماً سيلتقون حلوهم (إن ما ساعد فى تنامى موقع العلماء وحفظ مقامهم إلى اليوم, إنما هو حياتهم البسيطة)١٠٣.

منهج الفقه والاجتهاد عند الإمام

أما فى ما يتعلق بالفقه والاجتهاد ومواصفات المجتهد, فإن للإمام رأياً فى هذا المجال يستند إلى احترام الطريقة التقليدية لأسلوب البحث والتحقيق المعتمد لدى كبار الفقهاء الشيعة أمثال الطوسى والمفيد والحلى والصدوق وغيرهم ممن تركوا بصمات واضحة فى بلورة أساليب البحث الفقهى وأصوله, وقد اعتمدت الحوزات العلمية كتبهم فى التدريس.

---

١٠١ الإمام الخميني, مختارات من أقوال الإمام, مصدر سابق, ص32.

١٠٢ الإمام الخميني, الكلمات القصار , مصدر سابق ص262.

١٠٣ . الإمام الخميني, الكلمات القصار , ص263.

ففى هذا المجال يؤكد الإمام ضرورة المحافظة على طريقة السلف من العلماء, بل يطلب (أن لا يسمح العلماء والمدرسون المحترمون بانحراف الدراسة فى مجال الفقه والحوزات الفقهية والأصولية عن طريق المشايخ المعظمين, التى هى الطريق الوحيد لحفظ الإسلامى).

ويحثهم على "زيادة نسبة التدقيقات والأبحاث والنظريات والابتكارات والتحقيقات كل يوم, وليحرصوا على الفقه التقليدى الذى هو إرث السلف الصالح لأن الانحراف عنه إضعاف لأركان التحقيق والتدقيق). [١٠٤]

ولكنه فى الوقت نفسه يستدرک أن (هذا لا يعنى أن فقه الإسلام ليس فقهاً متحركاً, إن الزمان والمكان عنصران أساسيان فى الاجتهاد)[١٠٥].

وهنا يكمن أحد عناصر التميز عند الإمام فى الموضوع الفقهى, حيث إنه يريد صياغة الفقه صياغة تنسجم مع الواقع, وهو يهتم بكيفية تطبيق الفقه أكثر من مسألة طريقة البحث والتدقيق فى الاستنباط, ويعتبر أن ما هو مألوف فى منهجية طرق الاستنباط جيد ولا جديد عليه, ولكنه يلفت إلى ضرورة النظر أو المصطلحات التى استخدمت فى الفتوى, مثل أدوات القياس التى قد تختلف من زمن إلى زمن أو من بلد إلى بلد.

وعلى سبيل المثال فإن "الرطل" لدى أهل مكة هو ضعف "الرطل" عند أهل العراق, وهذا الأمر يدخل فى قياس كمية الماء "الكر" التى تعتمد فى باب الطهارة فى الفقه, أو كموضوع ملكية الأرض وشمول أو عدم شمول هذه الملكية الخاصة للأرض بواطن هذه الأرض وفضاءها الذى يصل إلى عنان السماء, حيث إن الإمام يعتبر أن الاكتشافات للنفط والمعادن وغيرها من بواطن الأرض تحتم إعادة النظر فى حجم الملكية الفردية للأرض, ويرى عدم شمولها للبواطن المكتشفة فى أعماقها, معتبراً أن هذه البواطن هى ملک عام للدولة, وليست ملكاً خاصاً لصاحب الأرض التى يكتشف فيها مثل هذه الكنوز أو المعادن, وهنا يتضح مقدار حضور الجانب السياسى والاجتماعى (أو منظومة الدولة) فى ذهن الإمام الفقهى.

---

١٠٤ . الإمام الخميني, الوصية الخالدة, مكتب وكلاء الإمام الخميني, بيروت , ط1, 1990, ص48.

١٠٥ . الإمام الخميني, الخطاب التاريخي الموجه للعلماء والحوزات , مصدر سابق, ص30 .

وهنا لا بد من التوقف إن الجديد عن الإمام فى الموضوع الفقهى هو الاهتمام فى كيفية تطبيق الفقه, وهذا ما يمكن تسميته (الفقه التطبيقى) غير المنفصل عن إمكانية تنفيذه فى هذا الواقع, ومع الاحتفاظ بالأصول والمبادئ الأساسية وحتى بطرق التحقيق والبحث المعتبرة عند السلفز

لابد من لحظ مستجدات الواقع التى تحتم إعادة النظر أحياناً فى الفتوى, فالمسألة التى كان لها حكم سابق يمكن أن تأخذ حكماً جديداً بسبب ما يتعلق بالعلاقات الحاكمة على سياسة واجتماع واقتصاد نظام ما, بمعنى أنه من خلال المعرفة الدقيقة للعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للموضوع الأول الذى لا يبدو فى الظاهر مختلفاً عن السابق, ولكنه أصبح جديداً فى الواقع, فلابد من أنه يحتاج إلى حكم جديد١٠٦.

إن لحركة التجديد الفقهى التى أرسى قواعدها الإمام الخمينى فى نظرته للفقه فى الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية, الأثر الأول فى حركية الفقه الإسلامى وتحرره من النمط التقليدى الذى كان سائداً لدى من سبقه من الفقهاء, الذى غالباً ما كانوا يستغرقون فى بحثهم الفقهى فى جوانبه الفردية والعبادية, من دون أن يكون حاضراً فى تفكيرهم وملحوظاً لديهم الجوانب العلمية فى الفقه الاجتماعى والسياسى, فالفقه عند الإمام (نظرية واقعية متكاملة لإدارة المجتمع الإنسانى من المهد إلى اللحد, الهدف الأساسى هو كيف ينبغى تطبيق الأصول الثابتة للفقه فى عمل الفرد والمجتمع, ونتمكن من الحصول على جواب للمعضلات, لأن جلّ خوف الاستكبار يرجع إلى هذه المسألة وهى أن يمتد للاجتهاد بعد عينى وعملى, وأن يخلق فى المسلمين روح التعامل والحركة)[١٠٧], والوصول إلى استحضار الجوانب السياسية والاجتماعية فى ذهن المجتهد, فلابد من إعادة النظر أيضاً فى مواصفات من يحمل هذا اللقب ويتحمل مسؤولية استنباط الأحكام من مصادرها المقررة فى الشريعة.

١٠٦ . الإمام الخميني, الخطاب التاريخي الموجه للعملاء والحوزات, مصدر سابق, ص30.

١٠٧ . الإمام الخميني, الخطاب التاريخي الموجه للعلماء والحوزات, مصدر سابق, ص31.

وبناءً على ذلک, فإن المجتهد فى النظرة التجديدية للإمام يحتاج إلى (أن يكون محيطاً بأمور زمانه, وليس من المقبول للناس والشباب وحتى العوام أن يقول مرجعهم ومجتهدهم: إننى لا أعطى رأياً فى الأمور السياسية.

ومن خصائص المجتهد الجامع أن يكون محيطاً بطرق مواجهة حيل وتزويرات الثقافة المهيمنة على العالم, ومعرفة السياسات والسياسيين والقواعد التى يملونها, وإدراک نقاط الضعف والقوة فى القطبين الرأسمالى والشيوعى وهو ما يرسم فى الواقع استراتيجية حكم العالم, كما ينبغى للمجتهد أن يتحلى بصفات النباهة والذكاء والفطنة وهو يمارس عملية قيادة المجتمع الإسلامى وحتى غير الإسلامى, فضلاً عن الإخلاص والتقوى والزهد التى هى من الشؤون الذاتية له, ينبغى أن يكون مديراً ومدبراً)١٠٨.

هنا نرى أن الإمام ينظر إلى المجتهد المرجع نظرته إلى القائد السياسى والدينى الذى لا تنفصل السياسة عنده عن الدين, بل هى ممزوجة فيه, وهو أكثر من رئيس لبلد أو لنظام فى جغرافية محددة, بل إن قيادته يجب أن تكون مؤهلة لتتسع للمجتمع غير الإسلامى أيضاً, وفى هذا تأكيد أيضاً للبعد العالمى والكونى للإسلام وقيادته المفترضة.

ونقرأ فى المواصفات التى يحددها الإمام للمجتهد التحديات الحضارية مع القطبين اللذين كانا يتقاسمان حكم العالم, وعليه أن يثبت قدرته فى هذه المواجهة من خلال دراسة ومعرفة نقاط الضعف والقوة لدى كل منهما ولا ننسى هنا أن الصورة التى يستحضرها الإمام فى ذهنه دوماً هى صورة الأنبياء والأئمة الذين انطلقوا بالرسالة إلى الناس كافة, وسيرتهم الحياتية التى مارسوا فيها دوراً قيادياً شاملاً على الأمة, وحاولوا أن يخضعوا العالم كله فى الدعوة إلى الإسلام وحكمه.

وإذا كان ما يطرحه الإمام فى هذه النظرة التجديدية للمجتهد حساساً وبالغ الأهمية أو مغايراً لما ورد عند أسلافه فى صفات المجتهد, فإن هذا الأمر فتح الباب واسعاً أمام الفقهاء للحديث عن صحة هذا الاشتراط, وقد صار الموضوع مدار نقاش واسع فى القاعات الحوزوية, التى رأت فيه صعوبة ناشئة من

---

١٠٨ . المصدر نفسه, ص30.

تاريخ طويل أغفل هذه النقطة وأسقطها من البحث, الأمر الذى جعل طرحها بل إحياءها محفوفاً بصعوبات وعلامات استفهام لابد من أن يأتى اليوم الذى تزول فيه, ويصبح الموضوع من البديهيات.

لأن المراجع الذين عرفهم التاريخ فى عصر غيبة الإمام الصغرى كانوا متميزين بتوافر هذه الشرط, فضلاً عن أن تجربة الدولة الإسلامية فى إيران خلال عقدين من الزمن ستعطى دفعاً علمياً لهذا الأمر, وستثبت الحاجة العملية المتنامية ضرورته, والإمام يعتبر هذا الأمر أساسياً فى المعركة الحضارية للإسلام وفى دعوته إلى ساحة المواجهة فى العالم.

و(خلاصة القول هى أنه ينبغى لنا أن نسعى لتحقيق الفقه العملى للإسلام من دون أن نلتفت إلى الغرب الماكر والشرق المعتدى والدبلوماسية الفارغة التى تحكم العالم, والا فما دام الفقه مخفياً فى الكتب وفى صدور العلماء فلا ضرر يتوجه منه إلى الاستكبار, وما دام العلماء لا يسجلون حضوراً فاعلاً فى جميع القضايا والمشكلات, فلن يدركوا أن الاجتهاد المتعارف لا يكفى لإدارة المجتمع)[١٠٩].

وينطلق الإمام ليدعو الحوزات والعلماء إلى مواكبة العصر واحتياجاته التشريعية فى القضايا المستجدة والمستحدثة, وفى استشعار ما يمكن أن يتطلبه المستقبل أيضاً, (فعلى الحوزات والعلماء أن يتحسسوا دائما نبضات أفكار المجتمع ويكونوا بمستوى احتياجاته المستقبلية, وأن يستبقوا الأحداث دائماً حتى يتمكنوا من الرد المناسب, فلربما تغيرت أساليب الإدارة الرائجة فى السنوات القادمة واحتاجت المجتمعات البشرية فى حل مشكلاتها إلى المسائل المستحدثة فى الإسلام)[١١٠].

رفض التبعية

يجرى التمييز عادة بين التبعية كعلاقة وبين التبعية كمجموعة من الأبنية, ويقر أحد منظرى التبعية (دوسانتوس) هذا التمييز ليقدم تعريفين للتبعية هما:

1ـ التبعية: هى الموقف الذى تكون فيه اقتصاديات مجموعة معينة من الدول مشروطة بنمو وتوسع اقتصاد آخر تخضع له.

---

١٠٩ . الإمام الخميني, الخطاب التاريخي الموجه إلى العلماء والحوزات, مصدر سابق, ص34.

١١٠ . المصدر نفسه, ص34.

2ـ إن التبعية تتعلق بتكليف البناء الداخلى لمجتمع معين بحيث يُعاد تشكيله وفقاً للإمكانيات البنيوية لاقتصاديات قومية محددة[١١١].

لا شک بأن الرؤية الإسلامية للتبعية تختلف عن ما ذكره دوسانتوس من تعريف اقتصادى أو بنيوى لها, وقد أشار الإمام فى حديثه عن التبعية بأنها حالة شاملة فى المجتمع تبدأ فى شخصية الفرد ونفسيته ومنهج التفكير عنده وفقدان الثقة بنفسه, وتتغلغل إلى البناء الاجتماعى فى التشكل العلاقاتى والمسلكى والأخلاقى, وترتقى إلى الثقافة والفكر ثم السياسة والاقتصاد.. الخ.

وهى عملية متداخلة ومتشابكة بجزئياتها ولا يمكن أحداث قطع حاد بين أصنافها وأشكالها, نظراً لتداخل عناصر البناء المجتمعى المختلفة.

وهو ما يعبر عنه الشهيد الصدر فى مقدمة كتابه (اقتصادنا) حيث يقول: (وقد عبرت التبعية فى العالم الإسلامى لتجربة الإنسان الأوروبى للحاضرة الحديثة, عن نفسه بأشكال ثلاثة زمنياً, ولا تزال هذه الأشكال الثلاثة متعاصرة فى أجزاء مختلفة من العالم الإسلامى:

الأول: التبعية السياسية.

الثانى: التبعية الاقتصادية.

والثالث: التبعية فى المنهج)[١١٢].

ويحتل مفهوم رفض التبعية حيزاً أساسياً فى فكر الإمام السياسى, ويمتد أفقياً مع بدايات تحرک الإمام السياسى وطرح أفكاره الثورية فى الحوزة العلمية وأوساط المجتمع الإيرانى, ويستمر حضوراً فى خطاب الإمام السياسى والنهضوى فى منفاه فى العراق, وكذا يتكلف هذا المفهوم حضوراً فى خطاب الثورة وبعد انتصارها كما يسجل حضوراً بارزاً فى خطاب الإمام بعد قيام الدولة, ولا يخرج هذا المفهوم من خطابه حتى فى الوصية السياسية التى تركها بعد وفاته.

---

١١١ . د. أسامة الغزالي حرب, الأحزاب السياسية في العالم الثالث, القاهرة, ص59,66.

١١٢ . محمد باقر الصدر, اقتصادنا, دار التعارف للمطبوعات, بيروت . 1981 م. ص9.

كما يمتد حضور هذا المفهوم عمودياً فى خطاب الإمام وفكره السياسى فلا يقتصر على رفض نوع واحد من أنواع التبعية, وإنما رفضها بكل أشكالها بدءاً بالتبعية الثقافية مروراً بالتبعية السياسية وانتهاء بالتبعية الاقتصادية, بكل تفاصيلها وأبعادها المختلفة, ويستخدم الإمام فى تركيز هذا المفهوم عبر خطابه السياسى والفكرى فى تعبيرات متعددة ما يمكن تلخيصها بالأكثر تكراراً فى خطابه ونصه:

العودة إلى الشخصية الإسلامية وأصالتها (رفض التبعية الثقافية).

سياسية اللاشرقية واللاغربية (رفض التبعية السياسية).

التنمية المستقلة, والسعى للاكتفاء الذاتى (رفض التبعية الاقتصادية).

فرفض التبعية والخروج من هيمنة المعسكرين الشرقى والغربى ضرورة للاستقلال بشتى نواحيه, وهو واحد من الشعارات الأساسية للثورة التى رددتها حناجر الملايين من الشعب الإيرانى (استقلال, حرية, جمهورية إسلامية) فى مظاهراتها المليونية ضد نظام الشاه الذى كان غارقاً فى التبعية حتى أذنيه, حيث كانت التبعية إحدى العيوب الأساسية التى يشير إليها الإمام فى تعبئته الجماهيرية ضد نظام الشاه, فعلاقة الشاه بالغرب واسرائيل كانت مفضوحة.

ولعل إحدى ميزات ثورة الإمام الخمينى هى فى كونها استطاعت أن تنتصر دون الاتكاء على أى من الدول الكبرى, كما هو الحال عادةً فى الكثير من الثورات ودوله, وهو ما يلفت إليه الإمام الخمينى فى قوله: (إنكم ترون أن ثورتنا فريدة بين الثورات التى حدثت فى العالم فى قلة خسائرها وكثرة معطياتها, وعطاء هذه الثورة يتجسد فى الخروج من سيطرة الشرق والغرب, وهذا ليس بقليل, فلم يحدث فى العالم أن يتحرر بلد من جميع القوى, وإنما الذى يحدث هو التحرر من قوة والاتجاه نحو قوة أخرى, لكننا اليوم لا نحتاج إلى قوة كبرى بل ندفع عجلة بلدنا مع بعضنا بالتعاون مع بعضنا)١١٣.

١١٣ . الإمام الخميني الاستقلال الثقافي في طريق الثورة نحو الاصالة الإسلامية , مصدر سابق.

العودة إلى الشخصية الإسلامية (رفض التبعية الثقافية)

إن رفض التبعية وتحصيل الاستقلال فى الفكر السياسى عند الإمام يبدأ فى الإنسان فى بنية وتكوين الشخصية الإسلامية الأصيلة المسلكية, والتى تعى هويتها, فلا تتكئ فى انبنائها على قاعدة رفض العبودية لغير الله, وتبحث عن ذاتها عبر هذا الخط الإسلامى لتتعرف على دورها فى الحياة ومسؤوليتها (فالاعتماد على النفس ـ بعد الله ـ هو منشأ الخيرات)[١١٤], والتى لا تشعر بالدونية أمام الآخرين (علينا أن نعتقد أننا كل شىء وأننا لسنا أقل من سوانا, فنحن مطالبون بالعثور على هويتنا التى قد أضعناها)[١١٥] والتى لا تهاب أى قوة أخرى(فمن كان الله معه فإنه لا يخاف من اية قوة سواه)[١١٦].

وهكذا يركز الإمام على ضرورة التحرر الفكرى والعقلى من التبعية لأنهما شرط الاستقلال (فأول شرط لتحقيق الاستقلال هو الاستقلال الفكرى والعقلى)[١١٧].

ولأن الهزيمة التى أصيبت بها الأمة كان سببها الانهزام فى الشخصية وفقدان الهوية, الذى عمل الاستكبار عليه وخطط له لتسهل السيطرة على مقدرات الأمة وخياراتها, فقد شخّص الإمام هذا الداء القاتل وحاول أن يبدأ العلاج فى رفضه للتبعية الفكرية والثقافية, وفى إعادة بناء الشخصية الإسلامية التى غابت عن مسرح المواجهة فسقطت الأمة أمام الغزو وبدون مقاومة تذكر: (هزيمتنا فى شخصيتنا هى أكبر هزائمنا أمام القوى الكبرى, لقد سعت هذه القوى إلى تحطيم شخصيتنا الإسلامية ـ الإيرانية , وإبدالها بشخصية أوروبية تابعة شرقية أو غربية, وتمثلت هذه الهزيمة بإحساسنا بعدم قدرتنا على عمل أى شىء, أو شعورنا بأن كل شىء ينبغى أن يستورد من الخارج حتى التهاب الزائدة الدودية, ينبغى أن يعالجه طبيب خارجى, وهذا أدى بطبيعته إلى إحساس أطبائنا بالضعف, ولم تكن هذه المسألة عفوية, بل إنها مدروسة وقائمة على تخطيط يستهدف القضاء على الشخصية فى هذا البلد)[١١٨].

---

١١٤ . الإمام الخميني , الكلمات القصار, مصدر سابق , ص150،91،90.

١١٥ . نفس المصدر.

١١٦ . نفس المصدر.

١١٧ . نفس المصدر.

١١٨ . الإمام الخميني , الاستقلال الثقافي طريق الثورة نحو الاصالة الإسلامية, مصدر سابق, ص37.

ولأن الثقافة هى التى تبنى الشخصية فى أى مجتمع فإن التبعية الثقافية هى الأخطر والأكثر سوءاً فى المجتمعات الإسلامية فى نظر الإمام:

(إن ثقافة كل مجتمع تعبر أساسياً عن هوية ووجود هذا المجتمع, ومهما كان هذا المجتمع قوياً من النواحى الاقتصادية والسياسية والصناعية والعسكرية فإن الانحراف الثقافى سيحوّله إلى كيان خاوٍ وفارغٍ من أى اعتبار, وقريب من السقوط وإذا كان المجتمع مرتزقاً من الناحية الثقافية وتابعاً للثقافة العدوّة, فسيكون مجبوراً على أن ينجرّ إلى جانب الأعداء من ناحية الأبعاد الأخرى للمجتمع, وسوف يُستهلك أخيراً ويضيع شرفه من جميع الأبعاد والنواحى)[١١٩].

وفى هذا المجال يتفق العديد من المفكرين المسلمين فى تشخيص محور التغيير المنشود الذى يكمن فى الإنسان, فعندما ينطلق التغيير لابد له أن يبدأ من الإنسان, (فلا تستطيع الثورة الوصول إلى أهدافها إذا لم تتمكن من تغيير الإنسان بطريقة لا رجعة فيها من حيث سلوكه وأفكاره وكلماته)[١٢٠].

فالإنسان هو محو عملية التغيير وهو الأساس فى النصر أو الفشل, وهذا ما يؤكده الإمام: (إن جميع الانتصارات والهزائم تنطلق من الإنسان, الإنسان أساس النصر, أساس الفشل, ما يحمله الإنسان من أفكار وتصورات هو أساس كل شيء وهذا الإنسان هو نتاج بيئته والثقافة التى يتلقاها).

من هنا نفهم خطورة دور المدارس والجامعات ووسائل الإعلام والنشر وترويج الأنماط المسلكية لثقافة ما فى المجتمعات (فالثقافة التى يتم تصورها فى صيغة (بيداغوجية) هى كل هذا جميعاً, فهى تركيب متألف للأخلاق والجمال والمنطق العملى والفن الصياغى)١٢١.

وانطلاقاً من هذا الدور الخطير والحساس للثقافة والمناهج الفكرية, يبدأ الإمام فى رفضه للتبعية من رفض التبعية الثقافية والفكرية باعتبارها منشأ بقية أنواع التبعية, والتخلص منها يفتح الباب للتخلص من

---

١١٩ . الإمام الخميني, الاستقامة والثبات في شخصية الإمام الخميني , ترجمة الشيخ كاظم ياسين, مركز الإمام الخميني الثقافي, ط1, بيروت 1992م, ص76.

١٢٠ . مالك بن نبي, بين الرشاد والتيه, ترجمة عمر مسقاوي . دار الفكر. دمشق . 1978م, ص46.

١٢١ . مالك بن نبي, آفاق جزائرية, ترجمة الطيب الشريف, مكتبة النهضة . الجزائر, 1964م, ص145.

أشكال التبعية الأخرى, (فالتبعية الفكرية والذهنية والعقلية هى منشأ أغلب التعاسات التى مرت على شعبنا وسائر الشعوب, وإذا تمكنا من إنهاء التبعية الفكرية, فإننا سنتمكن من إنهاء سائر أنواع التبعية)١٢٢.

ولعل ما تقدم ينطبق مع القاعدة القرآنية فى أن التغيير الاجتماعى يبدأ فى التغير الداخلى عند الفرد ﴿إن الله لا يغير بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾١٢٣, فمسار الاستقلال ورفض التبعية يبدأ فى التحرر الفكرى والثقافى عند الفرد المسلم, وهو يشكل عملية مزدوجة ترفض التبعية للأفكار الخارجية من جهة للتمسك بهويتها, ويقود إلى أصالتها الإسلامية التى تشكل البديل الطبيعى, من جهة أخرى.

وعندما يتخلى الفرد والمجتمع عن هويته الثقافية الأصيلة يقع فى الفراغ والضياع, ويصبح أكثر قابلية لتلقى الثقافات الخارجية التى تجد طريقها بسهولة إلى مناطق الفراغ والضياع الفكرى والعقيدى والثقافى فيه.

ولعل هذا ما حصل فعلاً فى المجتمعات الإسلامية خلال القرون الأخيرة, عندما هجر المسلمون ما تبقى من هويتهم وثقافتهم ظناً منهم بأنها سبب تخلفهم وهزيمتهم, وسعوا إلى أتباع الثقافات الأخرى (شرقاً وغرباً) على أمل أن يجدوا فيها عوامل الانتصار والتقدم, فوقعوا فى فخ التبعية الثقافية والفكرية, التى جلبت لهم ولمجتمعاتهم وأوطانهم باقى أشكال التبعية, حتى أحكمت التبعية طوقها على حياتهم بشكل كامل, فسلبتهم القدرة على الاستقلال والنهوض واتخاذ القرار بأى شأن من الشؤون العامة.

لذا كان لزاماً أن يرفض الإمام التبعية الثقافية, كمدخل للتخلص من بقية التبعات التى غرق فيها المجتمع الإسلامى فى إيران والبلاد الإسلامية عامة, والتى ساعد عليها أنماط الحكم القائمة فى هذه البلاد التى استقت مناهجها العلمانية من الغرب أو الشرق تحت تأثير الانبهار بالتقدم والنهضة الصناعية والعلمية التى شهدها الغرب خلال القرون الأخيرة.

---

١٢٢ . الإمام الخميني, الكلمات القصار, مصدر سابق, ص147.

١٢٣ . سورة الرعد, الآية 11.

من هنا نفهم دعوة الإمام المتكررة للمسلمين بضرورة العودة إلى الإسلام ورفض التغرب الفكرى عندما يقول: (اعتمدوا على الفكر الإسلامى وحاربوا العرب والتغرب, وقفوا على أقدامكم واحملوا على المثقفين الموالين للغرب والشرق وجدوا هويتكم)[١٢٤].

وهو يرسم هدفاً واضحاً للثورة هو الاستقلال بكل أشكاله واستعادة الهوية الأصيلة (علينا أن نصنع من إيران بلداً مستقلاً سياسياً وعسكرياً وثقافياً واقتصادياً ومتحرراً من الاتكاء على أمريكا والاتحاد السوفيتى وبريطانيا.. هذه القوى الطامعة الدولية, وعلينا أن نعلن هويتنا الأصلية للعالم.

ومن المؤسف أن بعض المثقفين لا يستطيعون أن يتحرروا من تبعيتهم للشرق أو الغرب, ونأمل أن يعود هؤلاء المتبورون عن الأمة إلى رشدهم فى ظل التغيير الثقافى الإسلامى القائم وأن يستعيدوا اصالتهم)١٢٥.

كما نفهم حجم الاهتمام الذى أولاه الإمام قبل الثورة وتمهيداً لها بالحوزات والجامعات باعتبارها المعقل الثقافى للمجتمع, وكان حريصاً على ربط ثقافة المجتمع بالحوزة والعلماء والالفات بأن مناهج الجامعات الموجودة (فى عهد الشاه) هى مناهج غربية يجب التنبه لها.

---

١٢٤ .الإمام الخميني, الاستقامة والثبات عند الإمام, مصدر سابق, ص76.

١٢٥ . الإمام الخميني, الاستقلال الثقافي طريق الثورة نحو الاصالة الإسلامية, مصدر سابق, ص42.

وقد سعى الإمام لإيجاد حالة من التواصل بين الجامعات والحوزة وبين طلبة العلوم الدينية وطلبة الجامعات بهدف إيجاد حالة من التأثير الثقافى للحوزة على الجامعات وطلابها, ولعل بعض الأسماء اللامعة من طلبة الإمام وتلاميذه المميزين أمثال الشهيد الدكتور بهشتى والشهيد مطهرى والدكتور على شريعتى كانوا يصبون جل اهتماهم الثقافى فى أوساط الطلبة الجامعيين وتركوا أثراً بارزاً فى ثقافتهم, واستطاعوا أن يصنعوا نواة للطلبة الملتزمين بخط الثورة الإسلامية فى جامعات إيران والطلاب الإيرانيين فى الجامعات الأوروبية والأمريكية, وهو يقول: (يجب أن تتحد بقوى هاتين الطائفتين المتفكرتين) أى الجامعيون ورجال الدين.

ثم ينبه (احذروا التفرقة, إن اليوم هو يوم التلاحم بين الجامعى والطالب ورجل الدين فاستمروا فى هذا التلاحم وعلى المثقفين والكتاب أن يلحقوا بهاتين الطبقتين العزيزتين)[١٢٦].

والاهتمام المميز للإمام فى رفض التبعية الثقافية تجلى فى ما سمى بالثورة الثقافية التى أعلنها بعد قيام الدولة الإسلامية فى إيران عندما دعا لتشكيل مجلس أعلى للثورة الثقافية, شارك فيه نخبة من علماء الحوزة وأساتذة الجامعات الملتزمين, وكلف المجلس بإعادة النظر فى كل المناهج الدراسية والتعليمية والتربوية المعتمدة فى المدارس والجامعات فى إيران, وإجراء تعديلات جذرية عليها.

ورغم أن نظرة الإمام إلى أن (العالم كله جامعة واحدة, وجميع البشر طلبة فيجب أن يكون جميع العالم طبقتين: طبقة المعلم والأستاذ, وطبقة الطالب والمتعلم, الفئتان اللتان لو صلحتا لأصلحنا البلد والعكس صحيح, وواجب المعلم هداية المجتمع إلى الله, وواجب الطالب تعلم هذا الموضوع بأن يتكون مجتمع يتوجه كله إلى الله, والكل فى طريقه, وإذا كان الكل فى طريقه فستكون الثقافة إلهية والاقتصاد إلهياً والجيش إلهياً أيضاً)١٢٧.

ولكنه يعتبر الجامعة والحوزة والأجهزة التعليمية تتحمل المسؤولية الأساس فى صناعة المجتمع الصالح وتعميق وتجذير المفاهيم الإسلامية وهو يشبهها بالآلة التى يدخل فيها الأفراد الخام من ناحية ليخرجوا من

---

١٢٦ . الإمام الخميني , مختارات من أقوال الإمام , وزارة الارشاد الإسلامي, ط1, 1402هـ. طهران . ج1 . 158.

١٢٧ . الإمام الخميني, قبسات من الفكر التربوي للإمام الخميني , التعبئة الطلابية . بيروت 1987 , ص5150 .

الناحية الأخرى إما فاسدين وإما صالحين لما كانوا قدّموا هذه البلاد للمستعمرين حيث (إن الذين تخرجوا من هذه الجامعات ومن المعاهد التعليمية, لو كانوا يملكون تربية وتعليماً صالحين لما كانوا قدّموا هذه البلاد للمستعمرين على طبق من فضة)[١٢٨].

ويطلب إلى أعضاء مجلس الثورة الثقافية أن يجعلوا الجامعية إسلامية وإلهية ويقول: (إن الثورات والانقلابات وحالات الرفض تقوم على ثلاثة أمور: الأول يتضمن أساسها, والثانى مضمونها, والثالث يشتمل على محتواها, والثورات جميعها متشابهة غير أنها تختلف فى منطلقاتها, والأهداف والمضامين كلها مهمة, أحياناً تكون الأهداف جيدة ولكن المضامين ليست كذلک وأحياناً يكون العكس.

إن الثورة الثقافية هى أيضاً ثورة, وتحول من حالة إلى حالة أخرى, وفى الواقع لا مانع من تلقى العلوم المختلفة, فالإسلام يتقبل كل العلوم ما عدا بعض الأمور غير النافعة ولكن الشىء الذى ينفعنا أكثر من سواه فى الجامعات هو أن نجعلها إسلامية إلهية)[١٢٩].

ورغم أهمية الجامعة والحوزة فى بث الأصالة الفكرية والثقافية وترسيخها إلا أن دور السينما والتلفاز والمسرح ووسائل الإعلام الأخرى أساسى أيضاً لاسيما فى عصر الاتصالات والقرية الكونية, وهذه الوسائل كلها يجب أن تحشد فى معركة التأصيل الثقافى(وإذا كنا نعانى اليوم من نقص فى الطاقة الإنسانية (فى هذه الوسائل) فلأن الأفكار كانت قد اعتادت على التفكير بذلک النمط الذى كان مرسوماً لها, ولذلک فإن إقامة مسرح الاستقلال وفق الأخلاق الإنسانية والإسلامية يحتاج إلى جهود ومتاعب كثيرة, وكذلک السينما أيضاً فإنها تحتاج إلى وقت طويل)[١٣٠].

وفى الخلاصة فإن عملية إعادة البناء الثقافى هى المرتكز والأساس فى طريق رفض التبعية ونيل الاستقلال, ولابد من بذل جهود مستمرة ويقظة دائمة لتحقيق هذه المهمة, وهذا ما يطلبه الإمام من الشعب

---

١٢٨ . المصدر نفسه, ص20.

١٢٩ . الإمام الخميني, مجلة الشهيد, العدد 157 . طهران, ص5.

١٣٠ . الإمام الخميني, مجلة رسالة الثورة في حديث أثناء لقائه وزير الارشاد الإسلامي عام 1404هـ., العدد 30,ص7.

والمسؤولين بعد انتصار الثورة: (ثقافتنا مهدمة, يجب أن نبدأ من جديد, الثقافة اليوم ثقافة استعمارية ويجب أن تتقلب)[١٣١], و(ثقافتنا يجب أن تتبدل وتحل الثقافة المستقلة محل الثقافة الاستعمارية)[١٣٢].

سياسة اللاشرقية واللاغربية (رفض التبعية السياسية)

لقد أرست اتفاقية (بالطا) التى وقّعت فى نهاية الحرب العالمية الثانية عام 1945م, نظام الاستقطاب الدولى من قبل مركزين رئيسيين هما: الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى, وقد قسم هذا النظام العالم إلى مناطق نفوذ وهيمنة, موزعة بين هذين القطبين الدوليين, وبدأ مع هذا التقسيم تصاعد حدة التنافس والصراع الدولى على مناطق النفوذ الاستراتيجية, لاسيما المناطق الإسلامية الغنية بالمواد الخام من جهة والتى تشكل أسواق استهلاكية من جهة أخرى, فضلاً عن مواقعها الجغرافية المهمة, وغدت التبعية لإحدى هذين المعسكرين المشكلة الأساس التى ساهمت فى تصدى البناء الحضارى وفقدان الهوية, فضلاً عن الإمعان فى التخلف والتقهقر على شتى الأصعدة.

وكان أن أدرك الإمام الخمينى (الذى واكب بوعيه هذه المرحلة من تاريخ الأمة الإسلامية خصوصاً إيران ومحيطها من دون المنطقة), خطر هذه المشكلة واستمرارها, وتداعياتها على المجتمع ومستقبله ومصيره, لذا كان شعار (اللاشرقية واللاغربية) من الشعارات المركزية لنهضته, وهو التجسيد السياسى لرفض التبعية والاستسلام السائد لها كأمر واقع فى المجتمعات الإسلامية.

وقد يتبادر إلى الذهن استيحاء هذا الشعار أو اقترابه من سياسة عدم الانحياز التى تلاشت عملياً مع وفاة مؤسسيها أمثال نهرو فى الهند وعبد الناصر فى مصر وتيتو فى يوغسلافيا, وهى سياسة تعرف بأنها (مستقلة فى اتخاذ قراراتها وتعبر عن رأيها فى أى موضوع دولى وفقاً لتقديراتها هى, ودون أى انحياز مسبق لأى كتلة أو لمصلحة أى دولة بعينها)١٣٣.

---

١٣١ . الإمام الخميني, توجيهات الإمام إلى المسلمين, ترجمة محمد جواد المهري, وزارة الارشاد الإسلامي, ط1, طهران, 1403هـ,ص5.

١٣٢ الإمام الخميني, خطاب الانتصار, الوحدة الاعلامية في حزب الله, ط1, 1992م, ص29.

١٣٣ . د. سليمان عواد, محاضرة في المؤتمر الثامن للفكر الإسلامي , طهران 1990.

فهى توحى بالوقوف خارج فلك التجاذب الدولى المشار إليه لكنها عملياً لم تفلح لأكثر من سبب كما شهدنا فى التاريخ المعاصر, ورغم اقتراب المفهومين إلا أن هناك فوراق دقيقة تظهر بينهما حال التأمل والتدقيق, فصحيح أن شعار اللاشرقية واللاغربية يدعو للخروج من دائرة الاستقطاب الدولى, بيد أنه يدعو إلى الخروج عليه أيضاً, كما يدعو إلى الاختيار والانتماء إلى هوية.

فالمصطلح التجديدى عند الإمام مستوحى من القرآن الكريم وبالتحديد من الآية: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾١٣٤.

والموقف هنا ليس مجرد موقف سلبى بعدم الانحياز بل اختيار وانتماء إلى تلك الشجرة المباركة, شجرة النور الإلهية, وهو ما يشكل المضمون الفعلى لهذا الشعار الأصيل, المتضمن إدراك الذات والهوية لدى الأفراد والأمة, وهذا الإدراك لا يتم من خلال الآخر, بل من خلال تجديد الانتماء التاريخى والثقافى لمبادئها ومعتقداتها.

ويؤكد الإمام أن جوهر مبدأ اللاشرقية واللاغربية إنما يقوم على كونه نوعاً من تجديد لميثاق الكفاح, وتمرين لتنظيم صفوف من أجل مواصلة الصراع ضد الكفر والشرك والوثنية ولا ينحصر أيضاً بالشعار, إذ هو بداية الإعلان عن ميثاق الكفاح وتعبئة جنود الله, أمام جنود إبليس وأتباع إبليس وهو يعتبر من الأصول الأولية للتوحيد١٣٥.

ويقترن هذا المفهوم المنتمى إلى التوحيد بمفهوم البراءة الذى يشكل الوجه الآخر للتوحيد (لا إله إلا الله) نفى الألوهية عن كل ما عدا الله, ونداء البراءة الذى قرنه الإمام مع سياسة اللاشرقية واللاغربية إنما

---

١٣٤ . سورة النور, الآية 35.

١٣٥ . الإمام الخميني , النداء التاريخي بمناسبة الحج عام 1407 هـ, مؤسسة الفكر الإسلامي ,ص7..

ينطلق ليؤكد أن (نداؤنا اليوم بالبراءة من المشركين والكافرين إنما هو صرخة أمة ضاق صدرها مما عانته من اعتداءات الشرق والغرب وعلى رأسهم أميركا وأذنابها, وسلبت أوطانها وثرواتها)١٣٦.

إن الترجمة العملية للمبدأ والشعار تقتضى التخلص والخوض من كل ما ينافيه, وبهذا الاعتبار فإن لهذا المبدأ فاعلية سلبية نافية, بالقدر الذى لديه أيضاً فاعلية ايجابية مثبتة, وهى فاعلية التحرر من كل القيود التى يمكن أن تكبل مسيرة الإنسان التوحيدية نحو الله سواء كانت قيوداً سياسية أو اقتصادية أو ثقافية أو غيرها.

وبالاستناد إلى إسلامية سياسة (اللاشرقية واللاغربية) يمكن القول إنه لا يمكن أن يقف الإمام عند حدود إيران, بل إن اهتماماته وهمومه تستوعب كل قضايا الإسلام والمسلمين فضلاً عن المستضعفين والمظلومين إلى أى دين انتموا, وهذا ما نلحظه فى نداءات الإمام إلى الشعوب المستضعفة فى العالم.

لذا فإن الإمام سعى إلى تصدير وتعميم هذه السياسة اللاشرقية واللاغربية, لكن ليس عن طريق القوة العسكرية أو الإرهاب كما وصفه أداءه, إنما عن طريق القناعة الذاتية واستنهاض الإرادة الحرة لهذه الشعوب نفسها, وهذا ما يقصده الإمام فى قوله بتصدير الثورة إلى كل مكان (وليس المقصود إفهام الآخرين بأننا دعاة فتح وتوسيع, لأننا نعتبر جميع البلدان الإسلامية من أنفسنا, ومكان كل من هذه الدول محفوظ, وكل ما نريده هو أن يحصل لهذه الدول وشعوبها ما حصل فى إيران, فيقطعوا تبعيتهم للقوى الكبرى, ويرفعوا أيدى هذه القوى الكبرى عن مصادر ثرواتهم.

هذا هو أملنا وهذا معنى تصدير الثورة, وهو أن تستيقظ جميع الشعوب والدول ويحرروا أنفسهم مما هم فيه من الفقر والفاقة ومن كون ذخائرهم كلها تذهب أدراج الرياح)[١٣٧].

وهنا يتضح أن آلية التصدير لا تتجاوز حدود النصح والتمنى والدعوة وتوجيه الانتباه من منطلق الحرص, ومن منطلق الإحساس بالمشكلة والمعاناة عند المسلمين والرغبة فى المساعدة (فإن مسؤولية

---

١٣٦ . المصدر نفسه, ص9.

١٣٧ . الإمام الخميني, مختارات من أقوال الإمام, مصدر سابق, ج2,ص156.

المسلمين الإسلامية تتمثل فى وجوب مساعدتهم لكل من يتعرض للظلم)١٣٨, (حيث إننا مكلفون بإنقاذ الشعوب المظلومة والمحرومة, وإن الاهتمام بأمور المسلمين من أوجب الواجبات.. ونحن لا نستطيع أن نفصل أنفسنا عن سائر المسلمين)١٣٩.

بل إن الإمام يؤكد على ضرورة عدم اتكال الشعوب على الخارج فى حل مشكلاتها وتحقيق حريتها واستقلالها (وصيتى إلى شعوب البلدان الإسلامية أن لا تنتظروا أن يأتيكم أحد من الخارج ليعينكم على الوصول إلى الهدف وهو الإسلام وتطبيق أحكامه, يجب عليكم أن تنتفضوا من أجل هذا الهدف الذى يحقق الاستقلال والحرية)١٤٠.

فالإمام يرفض فكرة التغيير من الخارج ويساند فكرة التغيير من الداخل, وعندما يطرح التجربة الثورية فى إيران أمام الشعوب فهو يطرحها كنموذج وقدوة تدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة, ولا تسعى لفرض نفوذها وسيطرتها بالقوة على الآخرين كما تفعل الدول الكبرى, وكما شهدنا فى عصرنا حرب الخليج, والصومال, وأفغانستان, وفلسطين وغيرها من أعمال الهيمنة العسكرية تحت شعارات مختلفة.

وهكذا نجد أن السياسة اللاشرقية واللاغربية تعنى فى مضمونها اعتماد العودة إلى السلام كمنهج للسياسة الداخلية والحكم, ورفض الانصياع لقوى الاستكبار فى السياسة الخارجية, مع الحفاظ على العلاقات الايجابية مع الدول والشعوب على قاعدة الاحترام المتبادل وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية.

(إننا نتعامل مع كل الدول باحترام شريطة التعامل معنا باحترام وعدم تدخلها فى شؤوننا الداخلية.. وإن لنا علاقات صداقة مع كل الشعوب, وإذا تصرفت الحكومات معنا باحترام, فسوف نبادلها الاحترام)[١٤١].

وهو ينطلق من أن الأمة الإسلامية تعتنق (مبدأ يمكن تلخيصه فى كلمتين: لا تَظلمون ولا تُظلمون, نحن نريد تطبيق هاتين الكلمتين: ألا نكون ظالمين ولا مظلومين. لقد كنا مظلومين طوال التاريخ كنا مظلومين

---

١٣٨ . الإمام الخميني, الكلمات القصار, مصدر سابق, ص188.

١٣٩ . المصدر نفسه, ص189.

١٤٠ . الإمام الخميني, الوصية السياسية الإلهية, مصدر سابق, ص137.

١٤١ . الإمام الخميني, الكلمات القصار, مصدر سابق, ص187.

من جميع الجهات ونريد اليوم ألا نكون مظلومين, ولا نريد الاعتداء على أى بلد طبقاً لما ألزمنا به الإسلام, ولا نريد الاعتداء على أحد ولا ينبغى لنا ذلك)[١٤٢].

التنمية المستقلة والسعى للاكتفاء الذاتى (رفض التبعية الاقتصادية)

إذا كانت التبعية الثقافية والسياسية تشكل المدخل لبناء شخصية الفرد والمجتمع بما يخدم أهداف الاستكبار, فإن التبعية الاقتصادية هى الثمرة العملية التى وضعها الغرب والاستكبار نصب عينيه, ووصل إليها عبر اعتماد الوسائل الثقافية والسياسية لاتباع الدول والشعوب الاقتصادية وتحويلها إلى مصادر للمواد الخام التى تخدم نهضته الصناعية وأسواق استهلاكية لتصريف نتاجه الصناعى انطلاقاً من تفكيره المادى القائم على مبدأ الرأسمالية.

(وقصة هذا المخطط مؤلمة وطويلة, والضربات التى وجهها إلينا هذا المخطط ما زالت مهلكة وقاصمة, والأكثر ألماً هو أنهما (الغرب والشرق) أبقيا على الشعوب المظلومة المستعبدة متخلفة فى جميع الأمور وجعلا بلدانها استهلاكية, وأوجدا فى أنفسنا حالة عميقة من الرهبة تجاه مظاهر تقدمها وقوامها الشيطانية, حتى لم تعد لنا الجرأة على المبادرة على أى ابداع, فعدنا مسلّمين لهما كل أمورنا حتى مقدرات بلداننا ومنقادين لهما انقياداً تاماً)١٤٣.

ونقرأ فى هذا النص مجموعة من آثار للتبعية:

1ـ الإرهاب النفسى الممارس لتعميق الإدراك المحصور بقناة الشرق أو الغرب, فخارج هذه القناة لن يكون هناك أى قوام أو نتاج.

2ـ تعطيل الإبداع والمبادرة بفعل السقوط أمام هيبة مظاهر التقدم.

3ـ التحول إلى مجتمعات استهلاك وبالتالى خسران كل الثروات الطبيعية والامكانات المادية والبقاء فى حالة الفقر والتخلف.

---

١٤٢ . الإمام الخميني, خطاب الانتصار, مصدر سابق, ص66.

١٤٣ . الإمام الخميني, الوصية السياسية الإلهية, مصدر سابق, ص54.

وقد رفض الإمام قبل نجاح الثورة, ومع أولى ارهاصاتها السياسة الاقتصادية للشاه واعتبرها تحمل شعارات خادعة ولا تبنى اقتصاداً وطنياً سليماً, فى مجالات الزراعة والصناعة, وشخّص الخلل الذى تشكوه, خصوصاً مرض التبعية فى هذه السياسات قائلاً:

(إن الهدف من مشروع الإصلاح الزراعى لنظام الشاه ليس إلا إيجاد سوق للدول الأجنبية, ولأمريكا بالذات, إما الإصلاح الزراعى الذى نشهده نحن فهو الذى يجعل الإنتاج للمزارعين ويحاسب الملك الذين خالفوا الشرع الإسلامى فى ممارستهم ويقضى على النظام الاقطاعى.

وبخصوص تصنيع البلاد فذاك هو مطلبنا ولكن بشرط أن يكون وطنياً ومستقلاً ويتماشى مع الزراية ويتممها من أجل مصلحة اقتصاد البلد الذى يخدم مصالح أبناء الشعب وليس تصنيعاً طفيلياً (مونتاج إعادة تركيب وتجميع) مرتبطاً بالأجنبى كالذى هو حاصل اليوم فى إيران)[١٤٤].

لقد أدرك الإمام الآثار الاقتصادية للتبعية السياسية والفكرية والثقافية وأولاها اهتماماً خاصاً وحارب هذه الآثار بالسعى لإعادة الثقة الضائعة بالنفس, وتحريک المبادرة وإطلاق الإبداع والتفكير بالإنتاج والاعتماد على النفس سعياً للتخلص من التبعية الاقتصادية, وللوصول إلى الاكتفاء الذاتى على المدى الطويل.

وهو يرى أن الطريق فى اتجاه هذا الهدف طويلة وصعبة, وتحتاج إلى تضحيات وتجاوز للكثير من العوائق والتملص من الكثير من المغريات التى تعرض أمامنا (إننا تعرضنا للحرمان من أى تقدم طوال التاريخ الحديث خاصة فى القرون الأخيرة وفى عهد رجال الحكم الخونة خصوصاً أسرة بهلوى, ومراكز الدعاية ضد منجزاتنا وكذلک عامل الشعور بالنقص, كل هذه العوامل حرمتنا من أى مسعى للتقدم, فاستيراد البضائع من كل نوع, والهاء الناس والرجال خصوصاً الشباب بالكماليات كمواد التجميل واللعب الصبيانية, وجرّ العوائل إلى التبارى فى مظاهر الروح الاستهلاكية, وهذا الأمر بحد ذاته يحكى قصصاً محزنة, وجرّ

١٤٤ . الإمام الخميني, دروس في الجهاد والرفض, مصدر سابق, ص318.

الشباب وهم العناصر الفاعلة إلى اللهو والضياع بإشاعة مراكز البغاء والفحشاء, وعشرات من أمثال هذه المصائب التى أوجدتها مخططات مدروسة بهدف الإبقاء على التخلف فى تلك البلدان)١٤٥.

وكلام الإمام هنا يلخص ما تعانى منه دول العالم الثالث وشعوبها, من مشاكل حادة تعترض نموها وتقدمها, فمن سيادة مظاهر الروح الاستهلاكية والسعى وراء الكماليات ـ فى حين أن هذه الشعوب تعانى من فقدان المقومات الرئيسية للحياة الكريمة ـ إلى إضعاف المناعة الأخلاقية لدى المجتمعات بفعل نشر مظاهر اللهو والمجون التى من شأنها إطاحة الشعور بالمسؤولية لدى الشباب, وبالتالى قتل روح المبادرة والسعى لإحداث التغيير أو التقدم إلى الأمام عند المجتمعات.

وفى سعيه لإصلاح هذه الحالة المأساوية التى تعيشها المجتمعات الإسلامية بفعل التبعية, وكى لا يبقى هناك ثمة تبعية على الصعيد الاقتصادى يقول الإمام: (انهضوا بإرادة مصممة, وفعالية ومثابرة لرفع أنواع التبعية واعلموا أن الجنس الآرى والعربى لا يقل عن جنس شعوب أوربا وأميركا وروسيا. وإذا اكتشف الإنسان ذاته وأبعد اليأس عن نفسه ولم يتطلع إلى غير ذاته, فإنه قادر على إنجاز أى عمل, وصناعة كل شىء على المدى البعيد, وبذلك ستصلون يوماً إلى ما وصل إليه أمثال هؤلاء شريطة التوكل على الله والاعتماد على النفس, وقطع التبعية للآخرين وتحمل الصعب من أجل تحقيق حياة كريمة والخلاص من تسلّط الأجنبى.

١٤٥ . الإمام الخميني , دروس في الجهاد, مصدر سابق, ص66.65.

وينبغى على الحكومات والمسؤولين فى الحاضر والمستقبل أن يكرموا خبراءهم ويشجعونهم على العمل بالدعم المادى والمعنوى, ويمنعوا استيراد البضائع المدمرة الموجدة للروح الاستهلاكية ويكتفوا بما عندهم حتى يتمكنوا بأنفسهم من صنع كل شيء.

وأطلب من الشباب الفتية والفتيات أن لا يبيعوا الاستقلال والحرية والقيم الإنسانية بما يعرضه عليهم الغرب وعملاؤه الخونة من الكماليات والتحلل والانغماس فى مراكز الفحشاء, ولو كلفهم ذلک تحمل المشقة والألم.

فالغرب وعملاؤه لا يريدون لكم سوى الضياع والغفلة عن مصير بلدكم لينهبوا ثرواتكم ويجروكم إلى ذل التبعية وقيد الاستعمار وتحويل شعبكم وبلدكم إلى سوق استهلاكية, وهم بما يعرضونه عليكم وبأمثاله إنما يريدون الإبقاء عليكم متخلفين وأنصاف وحوش على حد تعبيرهم)١٤٦.

كما حثّ الإمام أيضاً المجتمع الإيرانى بعد نجاح الثورة ـ سعياً للتخلص من التبعية الاقتصادية ـ على تنشيط العمل فى مجالى الزراعة والصناعة والاهتمام بالطاقات المبدعة والاختراعات, فأعطى تعليماته لتأسيس مؤسسة جهاد البناء التى أطلقت برامج تعبوية شعبية لتحسين وسائل الإنتاج الزراعى والحيوانى وساعدت المزارعين فى كل القرى والبلدات الإيرانية للنهوض وتحسين الإنتاج كماً ونوعاً, حتى (إن التقارير الرسمية تفيد أن الأعمال التى أنجزها جهاد البناء فى خلال السنتين (80 – 1981) ورغم كل مشاغل الحكومة, لم ينجز مثلها طوال خمسين عام من حكم الشاه)١٤٧.

واعتمدت سياسة جهاد البناء بشكل رئيسى على المتطوعين من طلبة الجامعات والمعاهد بالإضافة إلى المهندسين الزراعيين الملتزمين بخط الثورة, وبذلت نشاطاً مميزاً فى المناطق المحرومة بشكل خاص لقد أكد الإمام على أن(العامل والفلاح هم الأساس فى كل بلد, فالأساس الاقتصادى للبلد مرتبطة بالعامل والفلاح)[١٤٨].

---

١٤٦ ت الإمام الخميني, الوصية السياسية الإلهية, مصدر سابق, ص60.59

١٤٧ . الإمام الخميني, الاستقامة والثبات, مصدر سابق, ص208.

١٤٨ . الإمام الخميني, الكلمات القصار, مصدر سابق, ص301.

ورغم تعقيد عملية النهوض الاقتصادية لاسيما فى الظروف التى تعرض لها نظام الجمهورية الإسلامية فى الحرب مع العراق والحصار الاقتصادى والعزلة السياسية التى حاولت أميركا فرضها على الجمهورية الإسلامية, إلا أن الروح الثورية التى بثها الإمام فى أبناء الأمة فى إيران وحالة الثقة بالنفس والإصرار والعناد على إنجاح الثورة أدت جميعها إلى تحويل حالة الحصار إلى فرصة للبحث بجدية عن حلول ذاتية للأزمة الاقتصادية, وهو ما نقرأه فى نص الإمام (ترون أن الانفصال والانقطاع عن الشرق والغرب يُظهر بركاته, وقد انطلقت العقول المفكرة المحلية وهى تعمل باتجاه الاكتفاء الذاتى, وما كان يصوره الخبراء الخونة الغربيون والشرقيين لشعبنا محالاً, بدأ يتحقق اليوم بشكل ملحوظ بيد الشعب وفكره, وإن شاء الله يتحقق أكثر على المدى البعيد)[١٤٩].

لقد عالج الإمام الكثير من آثار التبعية الاقتصادية التى كان يعيشها المجتمع الإيرانى المسلم عبر علاج الأسباب المؤدية لهذه التبعية والكامنة فى استعادة الهوية والثقة بالنفس والشعور بالمسؤولية, والمشاركة العامة من كل فئات الشعب فى نهضة البناء الداخلية, وعبر التخفيف التدريجى لنمط الاستهلاك السائد, ورعاية واحتضان المفكرين والمخترعين فى مجالات الصناعة والزراعة والتكنولوجيا الحديثة, وعبر بث ثقافة التكليف والتكافل الاجتماعى.

وهو يؤكد على المسؤولين فى هذا المجال على (احترام الرساميل والجهود البناءة لتحقيق الحكومة والبلد للاكتفاء الذاتى وتنشيط الصناعات الخفيفة والثقيلة).

كما يوصى (الأثرياء وأصحاب رؤوس الأموال المشروعة أن يوظفوا ثرواتهم ويبادروا إلى النشاطات البناءة فى المزارع والقرى والمصانع, فإن هذا العمل بذاته عبادة قيمة).

(وأوصى الجميع بالسعى من أجل رفاهية الفئات المحرومة إذ أن خيركم دنياً وآخرة, هو فى الاهتمام بأوضاع محرومى المجتمع الذين عانوا الآلام والصعاب طوال التاريخ المظلم الملكى والإقطاعى)[١٥٠].

---

١٤٩ . المصدر نفسه, ص121.

١٥٠ . المصدر نفسه, ص121.

ورغم كل الإنجازات التى تحققت فى طريق الاكتفاء الذاتى والتخلص من التبعية الاقتصادية وهى وصلت إلى نسب عالية فى المجال الزراعى وحتى الصناعى, إلا أن الإمام يعتبر أن هنالک حاجة فى العلوم التقنية المتطورة, ولكنه يوجه المسؤولين إلى الطريقة التى يجب اعتمادها فى سد هذا النقص دون العودة للوقوع فى التبعية فيقول:

(إن احتياجاتنا اليوم, بعد كل هذا التخلف المفروض علينا, للصناعات الثقيلة فى البلدان الأجنبية هو واقع لا يمكن انكاره ولكن هذا لا يعنى أن ترتبط بأحد القطبين فى علوم التقنية المتطورة, بل على الحكومة والجيش أن يعملوا لإرسال الجامعيين المؤمنين إلى البلدان التى لا تمتلک صناعة متطورة دون أن تكون استعمارية أو مستغلة, ولتتجنب الحكومة والجيش إرسال البعثات إلى أمريكا وروسيا وسائر الدول السائرة فى فلک هذين القطبين, اللهم إلا أن يأتى ـ إن شاء الله ـ يوم تعترف فيه هاتان القوتان بخطئهما وتلتحقان بمسير الإنسانية وحب الإنسان واحترام حقوق الآخرين, أو أن يكبح جماحهما مستضعفوا العالم والشعوب الواعية والمسلمون المؤمنون على أمل مجيء يوم كهذا)[١٥١].

ولأن عملية النهوض من التبعية الاقتصادية تستدعى استنفاراً شاملاً لكل الطاقات المحلية والكفاءات العلمية, فإن الإمام لا يغفل عن الطلب إلى المتواجدين فى خارج إيران العودة لخدمة بلدهم (وعليهم أن يفكروا ويروا هل يسمح لهم ضميرهم الإنسانى أن يجلسوا فى بلاد الغربة)[١٥٢].

ولقد أفلحت المنهجية التى اعتمدها الإمام فى تشخيص مرض التبعية وأشكالها, وفى معالجات الأسباب المؤدية لها عبر تثوير الداخل الاجتماعى واستنفاره فى مواجهة هذا الاستحقاق الكبير, مما جعل الإمام يعبر عن ارتياحه إلى النتائج المحققة فى هذا المجال, مع الدعوة إلى استمرار حالة المراقبة والوعى واليقظة فى مواجهة أى محاولة جديدة للانجرار إلى أشكال التبعية, وها هو يذكر فى وصيته:

(أنا أوصى الشعب العزيز ومن منطلق الحرقة والخدمة, أنكم تخلصتم الآن إلى حد لافت جداً من كثير من هذه المصائد, وقد هبّ الجيل الحاضر المحروم إلى الفعالية والإبداع, ورأينا أن كثيراً من المعامل

---

١٥١ . الإمام الخميني, الوصية السياسية الإلهية, ص96.

١٥٢ . الإمام الخميني, حديث الانتصار, مصدر سابق, ص123.

والوسائل المتطورة كالطائرات وغيرها, التى لم يكن يظن أن المتخصصين الإيرانيين يمكنهم تشغيلها أو التعامل معها, وكنا من قبل نمد أيدينا إلى الشرق والغرب ليأتى خبراؤهم لتشغيلها, رأينا كيف أن الحصار الاقتصادى والحرب المفروضة جعلت شبابنا يصنعون القطع التى دعت الحاجة إليها وبكلفة أقل, وكيف تمت عبر شبابنا تلبية هذه الحاجة, وأثبتوا أننا إذا أردنا فإننا قادرون.

فيجب أن تراقبوا بوعى ويقظة, كى لا يجركم الساسة المتلاعبون المرتبطون بالشرق والغرب, بوسائلهم الشيطانية, نحو هؤلاء الناهبين الدوليين)[١٥٣].

١٥٣ . الإمام الخميني, الوصية السياسية الإلهية, مصدر سابق ص58.

القسم الثانى

(الاستنهاض)

النهضة الإسلامية وأثر حركة التجديد فيها

الفصل الأول: مفهوم النهضة وجذورها التاريخية.

الفصل الثانى: الواقع الاقتصادى والسياسى والاجتماعى فى إيران قبل الثورة.

الفصل الثالث: تصور الإمام لحركة النهضة وبرنامجه لتغيير الواقع.

الخاتمة: نتائج حركية التجديد والاستنهاض فى الإسلام السياسى.

الفصل الأول

مفهوم النهضة وجذورها التاريخية

النهضة والاستنهاض فى اللغة والاصطلاح

جاء فى "لسان العرب" أن النهوض هو البراح من الموضع والقيام عنه.

نهض ينهض نهضاً, ونهوضاً: قام عن مكانه, وارتفع عنه إلى العدو أسرع إليه يحاربه, وأنهضته أنا فانتهض وأنهضته: حركة للنهوض, واستنهضه لأمر كذا: إذا أمره بالنهوض له١٥٤.

وجاء فى (الرائد) نقلاً عن المنجد فى اللغة: نهض بمعنى قام, والنهضة: التجدد والانبعاث بعد تأخر وركود, وناهض مناهضة: قاوم. ١٥٥

ومن خلال المعنى اللغوى تتضح حركية النهوض وفعليته فى الأشياء سواء على الصعيد الفكرى والنفسى أو المادى, وفى كلا المعنيين هناك انتقال من حال إلى حال وتغيير فى الهيئة والموضع, وتحرك للحواس

١٥٤ . ابن منظرو, لسان العرب, مصدر سابق, المجلد6, ص456.

١٥٥ . جبران مسعد, الرائد, دار العلم للملايين, ط5, 1986, المجلد 2, ص163.

عند المرء واستحضار لطاقاته وقواه, نجد أن النهوض يرادف القيام وهو ما أورده القرآن بنفس المعنى فى الآية ﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى﴾١٥٦.

وقد ردد الإمام الخمينى هذه الآية فى الكثير من خطبه ومحاضراته, كشاهد على الأمر الإلهى بالنهوض لإحياء الدين وإقامة وتحكيم الشريعة الإسلامية الإلهية, كما استخدم الإمام مصطلح النهضة والنهوض كثيراً فى خطبه ودروسه مع استخدامه للمصطلح القرآنى المرادف(القيام) فى نفس المورد أيضاً, (إن النهضة الحالية فى إيران نموذجاً للنهضة التى حدثت فى عصر الإسلام)١٥٧.

وقد تكرر مصطلح القيام فى القرآن فى عدة مواضع مختلفة لكنها تعطى نفس الدلالة:

﴿وقوموا لله قانتين﴾(238البقرة).

﴿فأقم وجهک للدين حنيفاً﴾(28الروم).

﴿وان تقوموا لله بالقسط﴾(127النساء).

﴿وأقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾(13 الشورى).

﴿وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾(9الرحمن).

وغيرها من الآيات العديدة الأخرى.

وقد أطلق مصطلح (عصر النهضة) على فترة الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة فى أوروبا ويؤرخ لها بسقوط القسطنطينية (1453م), حيث نزح العلماء إلى ايطاليا, ونقلوا معهم تراث اليونان والرومان.

ويدل مصطلح عصر النهضة غالباً على التيارات الثقافية والفكرية التى بدأت فى البلاد الإيطالية وبلغت أوج ازدهارها فى القرنين (15ـ16) وامتدت منها إلى فرنسا وأسبانيا وألمانيا وإنكلترا وسائر أنحاء أوربا.

وعلى الرغم من أن النهضة الأوروبية تحققت بشكل خاص فى مضار الفنون, إلا أنها كانت أولاً وقبل كل شيء ثورة ثقافية, أى رؤيا جديدة للحياة والواقع, انعكست على الفنون والآداب والعلوم والأخلاق, فقد

---

١٥٦ . سورة سبأ, الآية 46.

١٥٧ . الإمام الخميني, نظرة سريعة على الثورة الإسلامية في إيران, مؤسسة مجاهدي الثورة الإسلامية ط1 . 1359هـ.ش, ص5.

تحقق تقدم سريع على مستوى النظرية وعلى مستوى التطبيق, أى على مستوى الفكر ومستوى التقنية, ففى عصر النهضة هذا ظهرت تباشير الدولة المركزية الحديثة١٥٨, ولمعت فيها شخصيات مميزة أمثال : ميكل أنجلو, وليوناردو دافنشى, وميكافيلى والعشرات غيرهم.

وإذا كانت النهضة الأوروبية فى القرنين السابع والثامن عشر قضت على مقومات التخلف واستحدثت النظريات العلمية وأقامت سلطة العقل والمنطق, فإن النهضة العربية الحديثة التى عرفت بين نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين قامت على إحياء اللغة العربية وبعث التراث العربى وإدخال مفاهيم العصر إلى المجتمعات العربية, إضافة إلى معارضة سياسة الحكام الأتراك الذين نالوا من حرية الشعوب العربية.

وقد أطلق المصطلح (عصر النهضة العربية) على الفترة التى بدأت بحملة نابليون على مصر فى أواخر القرن الثامن عشر وامتدت إلى أواخر القرن التاسع عشر وبداية العشرين, وما رافقها من اتصال ثقافى بين الشرق والغرب وأقول للدولة الإسلامية المتمثلة بالسلطة العثمانية وتفككها على يد الدول الكبرى ذات الفعالية السياسية آنذاك.

وقد برزت خلال تلك الفترة اتجاهات سياسية ـ اجتماعية جديدة فى صفوف المفكرين العرب وانضوى معظمهم تحت أطر الأحزاب والجمعيات واتخذت منبراً لها على صفحات المجلات والصحف وعبر المؤتمرات١٥٩, وعبّرت عن حركة الانبعاث والتجدد الفكرى والدعوة إلى التحرر, ومن أبرز هذه الاتجاهات ورجالاتها:

1ـ الاتجاه الليبرالى العثمانى والراديكالى والاشتراكى أحياناً, أمثال فرنسيس مراش, رزق الله حسون, فرح انطوان , أديب إسحاق و بطرس البستانى.

2ـ الاتجاه الإسلامى الإصلاحى, أمثال: جمال الدين الأفغانى, محمد عبده, خير الدين التونسى ورفاعة الطهطاوى.

3ـ الاتجاه العربى الإصلاحى أمثال عبد الرحمن الكواكبى وغيره.

---

١٥٨ . عبد الوهاب الكيالي, موسوعة السياسة, المؤسسة العربية للدراسات والنشر , ط3, 1990 بيروت, المجلد الخامس, ص117.118.

١٥٩ . د. عبد الوهاب الكيالي, موسوعة السياسة, مصدر سابق, ص118.

4ـ الاتجاه العثمانى الذى ينشد الإصلاح الإدارى فى جامعة عثمانية أمثال: أبو عبد الهدى الصيادى وشكرى العسلى.

وقد تنوعت آراء المثقفين العرب حول مصطلح النهضة تبعاً لخلفياتهم السياسية ومنطلقاتهم الايديولوجية, ولكنهم أجمعوا على اعتبار الشرق الإسلامى فى حالة تخلف والغرب الأوروبى فى حالة تقدم وتطور ١٦٠, وكانت لهم رؤى مختلفة فى كيفية الخروج بالمسلمين والعرب من التخلف إلى الحداثة والتمدن.

لمحة عن التجربة الإسلامية فى النهضة

ونستعرض بشكل سريع لأبرز شخصيات الاتجاه الإسلامى الإصلاحى من رواد النهضة لنلتمس أوجه التشابه والاختلاف بين حركة النهضة وحركة الاستنهاض لدى الإمام الخمينى, باعتبارهما تجربتين تنطلقان فى نفس الاتجاه والهدف, وترفعان شعارات متقاربة وتستندان إلى الفكر الإسلامى والنهج القرآنى وإن كانتا تختلفان فى الظرف من حيث المكان أو الحقبة الزمانية.

ويمكن تصنيف الشخصيات الإسلامية الإصلاحية الأبرز فى عصر النهضة إلى فئتين تضم الأولى رفاعة الطهطاوى (1801ـ1873م) فى مصر, وخير الدين التونسى (1810ـ1899م), ومحمد عبده (1849ـ1905م).

وبالإطلاع على تجربة الطهطاوى ومنهجه فى التغيير نجد أنفسنا أمام تجربة كانت بمعظمها أسيرة لعهد محمد على باشا فى الحكم حيث تتلمذ على أيدى الشيخ حسن العطار فى الأزهر, عمل مدرساً فى بيوت الأغنياء ودخل الجيش واعظاً وإماماً, وسافر إلى باريس فى بعثة حكومية بمساعدة ودعم الشيخ العطار وأتقن خلال سفره اللغة الفرنسية التى شكلت مدخلاً لإطلاعه على الفكر الأوروبى.

ثم عاد إلى مصر مؤلفاً كتاب (تخليص الأبريز فى تلخيص بايز) ومترجما فى مدرسة الطب ثم فى مدرسة المدفعية للعلوم الهندسية والفنون العسكرية, وبعدها عمل على تأسيس مدرسة الألسن تحت رعاية محمد على باشا, ثم فترة خمس سنوات من النفى إلى السودان مع وفاة محمد على وإبنه ابراهيم باشا,

١٦٠ . راجع نجيب نور الدين, مجلة المنطلق, العدد 58, بيروت 1989, ص114.

وأخيراً عودته إلى مصر بعد النفى لإكمال خطواته فى الترجمة للقوانين الفرنسية ومقارنتها مع المصطلحات الفقهية الإسلامية.

لقد حث الطهطاوى على ضرورة تعاطى العلوم العقلية التى اعتبرها سر تقدم أوروبا وحاول تطبيق شاهداته فى باريس على مجتمعه المحلى فى مصر, ساعياً إلى التوفيق بين مواد الدستور الفرنسى وبعض قوانين الشريعة الإسلامية, ومقارباً بين المفاهيم الغربية الليبرالية فى الحرية والمساواة والعدالة وغيرها, وبين المفاهيم الإسلامية, وجمع بين وظيفة دعم السلطة القائمة باسم الإسلام وقيادة التمرد الشعبى باسم الإسلام أيضاً. ١٦١

وبالإطلاع على الظروف الاجتماعية والسياسية التى ساعدت على تكوين فكره, نجد أن مصر كانت حينها فى حالة سياسية تعتبر مفصلاً مهما فى تاريخها وتاريخ المنطقة, وهى المرحلة التى تم فيها صياغة فكر سياسى أرخى بظلاله ومازال وأعطى جملة مفاهيم لم تكن فى الأساس من إفراز المجتمع المعاش بل جاء نتيجة صراع بين حضارة غربية أوروبية تريد أن تفرض نفسها على المجتمعات الأخرى وبين مقاومة يبديها المجتمع بأشكال متنوعة وعلى مستويات متنوعة تتراوح بين فئة المؤيدين الخُلّص للحضارة الأوروبية ومنجزاتها, وبين فئة المعارضين لدخول الطابع الغربى لهذه الحضارة إلى مجتمعنا .

ويقف الطهطاوى مع آخرين فى فئة الموافقين لتسويغ جزء من هذه الحضارة من خلال منظور تراثى نظّر له الطهطاوى كثيراً فى كتاباته التى تدل على أن هذه الحضارة قد استحوذت على فكره ومنهجه النهضوى, وهو يقول بهذا الصدد "بضرورة البحث عن العلوم البرانية والفنون والصنائع, فان كمال ذلک ببلاد الإفرنج أمر ثابت وشائع والحق أحق أن يتبع"١٦٢, رغم اعترافه بأن "ممن أمعن النظر فى الكتب الشرعية الإسلامية ظهر له أنها لا تخلو من تنظيم الوسائل النافعة من المنافع العمومية حيث بوّبوا للمعاملات الشرعية أبواباً مستوعبة للأحكام التجارية كالشركة والمضاربة والقرض والمخابرة والعارية والصلح وغير ذلک١٦٣.

---

١٦١ . راجع حسن مرعي, مجلة المنطلق, العدد 85, مصدر سابق.

١٦٢ . رفاعة الطهطاوي, مجلة المنطلق, العدد 58, ص29, نقلاً عن تخليص الابريز في تلخيص باريز, ص11.

١٦٣ . رفاعة الطهطاوي, الأعمال الكاملة, دراسة وتحقيق محمد عمارة, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت . 1973م, ج2, ص469.

ولا يبتعد نهج خير الدين التونسى كثيراً عن نهج الطهطاوى, فالفكرة الأساسية التى يدور حولها كتابه (أقوم المسالك) هى التنظير لمسألة استعارة التجربة الأوروبية فى عملية النهوض بالأمة الإسلامية عموماً وتونس خصوصاً كسبيل وحيد لمقارعة الغربى الطامع فى البلاد فهو يقول: "الواجب مجاراة الجار فى كل ما هو مظنة لتقدمه سواء كان من الأمور العسكرية أو غيرها (من قاتل فليُقاتل كما يُقاتل), ويردد أيضاً, يستلزم معرفة قوة المستعد له والسعى فى تهيئة مثلها أو خير منها ومعرفة الأسباب المحصلة لها, معتمداً على منهج استقرائى للتاريخ, وهو بذلك يركز على التنظيمات القائمة على العدل والحرية ويعتبرها السبب فى تحصيل القوى لدى العدو.

كما أنه يحاول إظهار المرتكزات الشرعية وعدم تناقض التجربة الغربية مع التجربة الإسلامية, بل وتماهى التجربتين فى مرتكزاتهما ونتائجمها, وفى ذلك يجد تبريره لمبدأ الاستعارة والتغريب والدعوة إلى استقدام خبراء ومدرسين أجانب, وإرسال بعثات دراسية إلى الخارج وتطبيق أنظمة عسكرية غربية تسللت من خلالها نظريات سياسية وعناصر ثقافية غربية١٦٤, علماً بأنه عاش فى تونس والتى رغم كونها واحدة من الولايات العثمانية حينها إلا أنها تمتعت باستقلال شبه ذاتى فى إقامة العلاقات مع دول أوروبا ومنح الامتيازات وإنشاء المعاهدات, وقد ورطها حكامها بقضايا مالية كانت سبباً مباشراً للتدخل الفرنسى فيها.

ويصنف البعض خير الدين التونسى كرجل من رجالات القرار السياسى فى تونس حيث احتل مناصب عدة فى السلطة, ويقول انه جيء به من اسطنبول إلى قصر الباب أحمد, حيث تلقى تعليمه الدينى, ثم التحق بالجيش ليصبح رئيساً لفرقة من الفرسان ثم يرقى إلى أمير للواء الخيالة كما عهد إليه إدارة المدرسة العسكرية لإعداد الضباط.

ثم أرسل فى عدة مهمات إلى أوروبا, وعين وزيراً للحربية بعد عودته من فرنسا(1857م), كما وأسندت إليه رئاسة اللجنة الدستورية لوضع نظام على النمط الغربى, وتذكر أخيراً "إن خير الدين التونسى كان العقل المنظم لهذه الحركة وكان له النصيب الأكبر فى وضع القوانين لمجلس شورى منتخب"١٦٥.

---

١٦٤ . انظر زينب ابراهيم, مجلة المنطلق, العدد 85, مصدر سابق.

١٦٥ . احمد أمين, زعماء الإصلاح في العصر الحديث, ص156.

وبالمقابل نصل إلى الافغانى الذى انطلق فى دراسته من مدارس قزوين وطهران والنجف وحمل عصارة "فلسفة الفعل" عندما اعتبر أن الملاحظة تحدث فكراً ثم يعود الفكر إلى التأثير المتبادل دائماً وباستمرار لتحدث التغيير الدائم فى كل الأشياء ... دور يتسلسل ولا ينقطع الانفصال بين الأعمال والأفكار ما دامت الأرواح فى الأجساد, وكل قبيل هو للآخر عماد, حيث آخر الفكر أول العمل آخر الفكر١٦٦.

وهكذا يتساوق الطرح الفكرى مع الطرح السياسى عند الأفغانى الذى حمل فكراً تغييراً شاملاً وجذرياً وانطلق للعمل مهتدياً بالقرآن الذى هو بين أيدينا "كتاب الله لم ينسخ فارجعوا إليه وحكمّوه فى احوالكم وطباعكم وما الله بغافل عما تعملون, وهذا الكائن الحى هو الذى يمنح الناس نهوضهم إلى مقاضاة الزمن ما سلب منهم, حيث يتقدمون على من سواهم ويحافظون على حقوقهم, فلو استلهمت معانى القرآن الكريم وأحييت فى نفوس المؤمنين لرأينا لذلك أثراً فى هذه الدنيا وهو مجد الله الأكبر"١٦٧.

وهو انطلق فى حركته الدينية للاهتمام بقلع ما رسخ فى أذهان الخواص والعوام من فهم بعض العقائد والنصوص الدينية على غير وجهها الحقيقى "مثل حملهم القضاء والقدر على معنى يوجب ألاّ يتحركوا, ومثل فهم لبعض الأحاديث الشريفة الدالة على فساد آخر الزمان الذى حملهم على عدم السعى وراء الإصلاح والنجاح, فلابد من بث العقائد الدينية الحقة بين الجمهور وشرحها لهم على الوجه المناسب وحملها على محاملها الصحيحة التى تقودهم لما فيه خيرهم دنياً وآخرة"١٦٨.

ويقيم الأفغانى أساس دعوته على إرادة الناس التى تتحكم بالتاريخ البشرى والقضية عنده هنا ترتد إلى شكل قانون: "فمتى ضعف ما كان سبباً فى الصعود يحصل الهبوط والانحطاط, ومتى زال ما كان سبباً فى السقوط يحصل الصعود, فهناك سنن متبعة على أساس حكمة بالغة, فتغيير المحتوى الداخلى للإنسان يستتبع تغير الوضع البشرى والإنسانى"١٦٩.

---

١٦٦ . جمال الدين الافغاني, الأعمال الكاملة, تحقيق ودراسة محمد عمارة, المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت1973, ص140.

١٦٧ . جمال الدين الأفغاني, العروة الوثقى, دار الكتاب العربي, بيروت 1980م, ص74.

١٦٨ . نفس المصدر.

١٦٩ . نفس المصدر.

فالإنسان أو المحتوى الداخلى للإنسان هو الأساس لحركة التاريخ عند الأفغانى, وهذا ما يتطابق مع ما قرأناه فى فكر الإمام الخمينى, ولعل التطابق هذا مصدره النهل من مصدر واحد﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾. ١٧٠

والفكر والإرادة هما المحتوى الداخلى للإنسان هو الأساس فى حركة التاريخ والتى هى غالبة وتتطلع إلى المستقبل, وبالامتزاج بين الفكر والإرادة تتحقق فاعلية المستقبل ومحركيته للنشاط التاريخى, والإسلام والقرآن يؤمنان بأن العمليتين يجب أن تسيرا جنباً إلى جنب ... "فعملية صنع الإنسان لمحتواه الداخلى يجب أن تسير جنباً إلى جنب مع البناء الخارجى, ومن هنا ارتبط الجهاد الأصغر بالجهاد الأكبر"١٧١.

لقد برزت الدعوة إلى الوحدة الإسلامية فى حركة الأفغانى من خلال تجميع (طاقات الأمة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً) كنقطة البداية فى محاولةٍ للانقضاض على الواقع الاستعمارى الذى يهدد انجازات جذرية يمكن أن تسرى فى روح الأمة,عن طريق بث سياسات التفرقة والخلاف بين المسلمين, وهو كان يعتبر أن العمل فى الداخل محكوم بالوحدة والاتحاد ضمن ادنى الشروط الممكنة, وإن استدعى ذلك بعض التساهل أو السكوت على نظم الاقطاع المتفشى فى المجتمع, لأن الاولوية هى كسر الاستعمار بأى طريق إن كان على الصعيد الداخلى أو المواجهة الخارجية, ويؤكد الدعوة إلى الجامعة الاقتصادية الإسلامية لوقف عوامل الاستنزاف والنهب لموارد الثروة فى الشرق.

وهو فى الوقت الذى يواجه النموذج الغربى ويدعو للابتعاد عنه, يعمق العلاقة بالواقع التاريخى الإسلامى, ولكنه لم يطرح فلسفته السياسية الإسلامية بشكل تفصيلى, ولعل السبب يعود إلى نضاله المستمر ضد الاستعمار وعدم تفرغه للتنظير التفصيلى, أو أن نضاله هو المرحلة الأولى للثورة والبعث الإسلامى تحت عنوان أن لو نجح المسلمون فى المرحلة الأولى لعرفوا ما يفعلون فى المراحل اللاحقة١٧٢.

---

١٧٠ . سورة الرعد, الآية 11.

١٧١ . محمد باقر الصدر, المدرسة القرآنية, دار التعارف والمطبوعات, بيروت, 1980م, ص84.

١٧٢ مرتضى مطهري, الحركة الإسلامية في القرن الاخير, دار الهادي, بيروت . 1982م, ص45.

ورغم كثرة أسفار الأفغانى واتساع دائرة علاقاته بالحكام والسياسيين فى دول متعددة, فمن المؤكد أنه لم يدخل فى ركب أى سلطة إنما بقيت علاقاته مع السلطة علاقة من يحاول إيجاد منفذ يساعد على تحريک حركة إسلامية شعبية عبر تسيير مكتسبات جديدة لها, وهو أبرز واقعيته السياسية فى مجال العلاقات الدولية ولكنه لم يتردد فى اعتبار العمل الشعبى هو الأساس فى تحركاته.

وهو ما يفسر اختلافه مع السلطان عبد الحميد بعد أن بايعه أملاً فى معاكسة السياسة الاستعمارية إلا أنه عاد ليسخر منه بعد أن لاحق الاحرار وأصبحت خلافته تبيح للمستعمر ابتلاع الشرق ونهب الشرقيين حتى قال فى وفى خلافته: لقد هزلت حتى بدا من هزلها كلاها, وحتى سامها كل مفلس.

ودخل مرة عليه طالباً اقالته من البيعة, ورد على حاشية الملک التى طلبت إليه إلا يلعب بسبحته فى حضرة السلطان فقال : إن جلالة الملک يلعب بمقدرات الملايين من الأمة على هواه, وليس من يعترض, أفلا يكون لجمال الدين حق فى أن يعلب بسبحته كيف يشاء؟ ١٧٣, وقد انتهى مسموماً ودفن بسرية وبمظاهر بوليسية قاسية بأمر من السلطان نفسه.

أما تلميذ الأفغانى وصديقه محمد عبده, فيمكن رسم سيرة حياته فى خط بيانى يبدأ فيه تلميذاً على خاله الشيخ درويش ويصعد فى حلقات التعليم فى (طنطا) ويمر فى الازهر حيث أنهى دراسته التعليمية الدينية, ويبلغ ذروة رقيه باتصاله بالسيد جمال الدين الأفغانى حيث يسجل على هذا المستوى أسمى آيات الجهاد الاجتماعى والسياسى والتربوى, ومع نهاية حركة عرابى وفشلها وإقفال مجلة العروة الوثقى, يعود هذا الخط البيانى إلى الانحدار مع تأليف الكتب وتوحيشها فى بيروت, ويستمر الانحدار مع عرضه لمشروع إصلاح الازهر على (اللورد كرومر) حيث يقارب على نهايته مع توليه منصب مفتى الديار المصرية وخلافه مع الخديوى عباس لينتهى وحيداً فريداً مدرساً فى الأزهر مع فكره اليتيم.

كان الشيخ عبده يرى أن فساد الأمة من فساد حكامها ومع ذلک نراه ترک الجهاد السياسى ولم يتصدى للاصلاح أو مقاومة هؤلاء الحكام, بل توجه إلى الأمة ليبذر فيها بذور الإصلاح علّ الأمل يأتى من الأمة لا من حكامها.

---

١٧٣ انظر صادق فضل الله, المنطلق, العدد, 58, مصدر سابق, ص106.67.

لقد اقتصرت دعوته للإصلاح عليه كفرد, ولم يحاول بناء كتلة تحمل أفكاره ومشاريعه ولعل السبب فى ذلک كان طموحه لتولى المناصب الرسمية التى كان يؤمن بالعمل السلمى للوصول لها, أو لعله كان يخاف من نظرة السلطة إلى بناء كتلة تغييرية تعتبرها حركة سياسية تشكل خطراً على النظام وهذا ما كان لا يريده الشيخ محمد عبده١٧٤.

إن محاولة الشيخ محمد عبده لإصلاح الازهر, عبر إدخال بعض العلوم الأوروبية على مواد التدريس, ودعوته إلى مبدأ الاجتهاد المطلق (ولعلها من تأثيرات أفكار جمال الدين الأفغانى عليه) جعلت المشايخ التقليدين يرموه بالزندقة والكفر لاسيما بعد استعانته بالانكليز لتحقيق هذا الإصلاح المنشود فى الأزهر, علماً بأن هذه الخطوة (الاستعانة بالانكليز) أغضبت الأفغانى عليه فقرعه فى رسالة بعثها إليه.

إن منهج الحديث والاصلاح عند الشيخ محمد عبده بقى ضمن العناوين الكبيرة ولم يتعداها إلى برنامج عمل يمكن رؤية خطواته الاصلاحية كمشروع يحاذر من الوقوع فى المطبات الفكرية والسياسية التى تترصده, فدعوته للعودة بالإسلام إلى الينابيع الأولى بقيت فى اطارها العام ولم تحدد كيفية إعادة تقنين الشريعة وبهذه الطريقة من العودة, وكذلک دعوته إلى الأخذ بالعلوم الأوروبية الحديثة لتطوير ودفع حالة الركود فى البلاد ودفعت بعموميتها ضعاف النفوس فيما بعد إلى القول بنقل الحضارة الغربية وجعل صورة مجتمعنا على هيئتها.

إن المشكلة لديه بدأت عندما لم يستطع أن يختار الخط العملى الذى يتطابق مع تشخيصه للواقع الفاسد, فمنذ أراد لنفسه أن ينأى عن تقويم الفساد الذى رسم حدوده داخل السلطة الحاكمة نحى إلى الأمة يريد إصلاحها بعيداً عن التعرض للرأس المريض, كان واضحاً أن معالم حياته وسيرته سوف تصطدم بكثير من العقبات التى لن يستطيع حصرها فى أطرها الصحيحة والتوجه لمعالجتها بالدواء المناسب, وكأنه أراد أن يبتعد عن المقارعة السياسية ليركز على نشاطه الإصلاحى فى المسألة التربوية والثقافية.

رغم ذلک يمكن القول إن عقيدة الشيخ محمد عبده لا يرقى إليها الشک, وقد شكل بما يملک ـ لاسيما الدعوة إلى فتح باب الاجتهاد ـ حدثاً مميزاً فى الواقع المعاش حينها, وأحدث فكره التربوى والاصلاحى

---

١٧٤ . انظر نجيب نور الدين, المنطلق العدد 58, مصدر سابق, ص141.

على المستوى الثقافى والدينى صدمة للواقع الرتيب الذى وسم تلك الفترة, وأعاد تحريك الواقع عن طريق طرحه لأمور كانت جديدة بكل أبعادها عن ما عرف من حالة الثبات فى تلك الفترة.

ويمكن تلخيص أبرز ملامح سمات نهج التغيير عند مفكرى عصر النهضة بما يلى؟

1ـ محاولة استعارة التجربة الأوروبية والبحث عن وسائل امتلاك أسباب التقدم الأوروبى, ومماهاة الغرب فى تنظيماته وأساليبه ونظامه, (الترجمة, القوانين, الأنظمة العسكرية, والبعثات).

2ـ العمل على منح التغيير الفوقى المقتصر غالباً على الحكام والسلاطين عبر مصادقتهم وعرض المشاريع التغييرية والاصلاحية عليهم, وليس تأسيس حالة مناهضة وتغييرية فى مواجهة فساد السلطة والحكام, إلا عند الأفغانى.

3ـ زرع حالة التثبيط للقوى الشعبية الفاعلة والدعوة إلى الاقتداء بالغرب وثقافته البديلة, ومحاولة توليف مفاهيميه بين الثقافة الغربية والإسلامية (العدل, الحرية, المساواة... الخ).

4ـ العمل على تكوين التقدم والنهوض من حالة مجتمعية معينة إلى حالة أرقى بمساعدة الدول الخارجية (الأوروبية) من خلال الاستعانة بالمدرسين والخبراء لاسيما عند التونسى والطهطاوى.

بين تجربة عصر النهضة وحركات العصر الحديث ونهضة الإمام الخمينى

(مقارنة سريعة)

بين هذه الملامح فى التغيير إبان عصر النهضة وعند مفكريه وملامح نهج التغيير عند الإمام فى حركته النهضوية نجد بوناً فى المرتكزات والأسلوب والمنهج, حيث وإن التقت الرؤى حول مبدأ ضرورة النهضة وتحريك الواقع باتجاه التغيير على ضوء الشريعة الإسلامية, إلا أن الإمام كان واضحاً فى رفضه لأى نوع من الاستعارة لتجارب الأعداء أو مماهاتم, بل عمل على استنطاق التجربة الإسلامية الغنية وابتداع أساليب

منسجمة مع الواقع المجتمعى للأمة الإسلامية المختلف فى تكويناته وبنيته وعوامل التأثير فيه عن المجتمع الغربى, ولعل فى تجربة انشاء (التعبئة للمستضعفين)١٧٥ما يؤكد ذلک.

وخلافاً لما رأينا لدى مفكرى عصر النهضة من عمل على التغيير الفوقى المقتصر غالباً على الحكام, نرى أن الإمام الخمينى يعتمد على التثوير الداخلى للإنسان وينطلق من القاعدة الشعبية وتهيئة الكوادر فى الحوزات العلمية والجامعات ليشكلوا بديلاً عن رجالات السلطة المرتبطين بالخارج والميؤوس من إصلاحهم, وبخط مواز يقارع السلطة والحكام وتكون المقارعة فرصة للتعبئة السياسية للأمة.

كما أن منهجية الإمام لا تتوافق مع محاولات التوليف التى اعتمدها التونسى والطهطاى بين الثقافة الغربية والإسلامية, بل على العكس من ذلک سعى الإمام لاستحضار المفاهيم الإسلامية الأصيلة وبثها فى العقول وعمل البناء الخاصة بالأمة الإسلامية من خلال استعارتها من النص القرآنى (الاستكبار, اللاشرقية واللاغربية, المستضعفين .. الخ).

كما خالف الإمام منهجية الطهطاوى والتونسى وعبده فى الاستعانة بالمساعدة الخارجية لإحداث التغيير واعتمد على الذات وراهن على قدرة الأمة بما تختزن من طاقات وأدمغة إذا أطلق عنانها فهى قادرة على إحداث التغيير حتى فى المجالات التقنية والعلمية الحديثة, والشواهد فى هذا المجال كثيرة ذكرناها فى سياق بحثنا ولا نريد تكرارها.

يبقى أن نشير إلى تميّز حركة الاستنهاض عند الإمام الخمينى ليس فقط عن حركات عصر النهضة, بل حتى عن الحركات الإسلامية المعاصرة فى تجاربها الحربية كالاخوان المسلمين وحزب التحرير وحزب الدعوة الإسلامية.

ويمكن اجراء مقارنة سريعة فى نظرية التغيير والأساليب المعتمدة لدى هذه الحركات وتميز حركة الإمام رغم التقائهم جميعاً على ضرورة الاستنهاض والقيام بالتغيير والسعى لإقامة حكم الإسلام والشريعة فى

---

١٧٥ . التعبئة العامة للمستضعفين مصطلح أطلق على تنظيم صفوف المجتمع في لجان إحياء ولجان دعم ومساندة تشمل كل المستويات الثقافية والاجتماعية والمناطقية.

الخطوط العامة, إلا أن نقاط الالتقاء هذه لم تمنع وجود اختلافات واضحة فى الأساليب والمناهج المعتمدة لدى كل حركة أو تنظيم, ونقف عند أبرز تلك الخلافات:

1ـ التصدى للمسألة السياسية:

لقد تميز الإمام الخمينى عن غيره من الحركات الإسلامية المعاصرة بأنه ومنذ البداية والانطلاقة عمل على مقارعة النظام الحاكم واستنهاض الرأى العام ضده, فالنظام بنظره هو العائق أمام معرفة الناس لأحكام الإسلام وهو المهيمن على وسائل التثقيف والتربية والتعليم, وهذا لا يمنع لديه المسير بخط متوازٍ فى مقارعة النظام وإعداد الكوادر فى نفس الوقت.

بينما اعتمدت معظم الحركات الإسلامية المعاصرة على تقسيم عملها ومساراتها إلى مراحل تبدأ بمرحلة تربوية أو ثقافية تتكون فيها النخبة أو الكتلة الواعية أو الجماعة فى مرحلة سرية أو شبه سرية وعبر الحلقات والتنظيم المغلق, وقد تمتد لسنوات طويلة أو عقود ثم تعمل على الانتقال إلى حلقة أوسع فى المجتمع لتبدأ فى تحركها السياسى ومقارعة السلطة الجائرة, وهذه انتجت ما يسمى بإشكالية النخبة.

وهنا نشير إلى الثقافة الحزبية الخاصة المعتمدة فى التدريس عند حلقات ومجموعات هذه الحركات, بينما اعتمد الإمام على الثقافة الإسلامية الأصيلة فى الحوزات وأضاف إليها بعض المفاهيم التى كانت غالبة أو مهملة.

2ـ فى ارتباط الأمة بالقيادة العلمانية:

لقد أهمل حزب الأخوان المسلمين وحزب التحرير بشكل خاص الحوزات والعلماء فى حركتهم واعتبروا أن هؤلاء فى غالبيتهم يدخلون فى بلاط السلطة (كالأزهر مثلاً) بينما اهتمت الدعوة بالحوزات والعلماء وقيادتهم, ولكنها أرادت أن تستثمر المرجعية لخطها الحزبى كما حصل مع الشهيد الصدر ومرجعيات أخرى, مع الحرص على اختيار مرجعية تتوافق مع طروحاتها وتماشى منهجها, ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى الاختلاف فى نمط المؤسسات الدينية عند السنة والشيعة.

بينما نجد أن الإمام كان يركز على دور العلماء وعلى ضرورة ارتباط أفراد الأمة بهم, فكان الإمام يحث العلماء (من ناحية) لفهم دورهم الشمولى والريادى وممارسة هذا الدور, كما يحث الناس من جهة أخرى

للارتباط بالعلماء واتخاذهم قدوة واتباعهم, واستطاع استقطاب أوسع شريحة من الفئتين العلماء والناس عبر هذا الشكل من الارتباط الذى يدخل فى النسيج التربوى والاجتماعى عند المسلمين, وليس عبر استحداث أو استعارة تجربة التنظيمات الغربية الحديثة, رغم انه لم يعارض قيام مثل هذه التنظيمات فيه, ولكنه لم يعتبرها هى الأساس أو الاطار الوحيد لعمله ونهضته, بل عمل على تبنى التنظيم القائم أصلاً فى الأمة من خلال العلاقات الوطيدة بين الشعب والعلماء, وعندما كان يوجه بعض التنظيمات مثل (جمعية الطلبة المسلمين فى أوروبا) كان يدعوهم إلى الوحدة والانسجام مع بقية شرائع الأمة.

كما أن ربط الأمة بالعلماء فتح الباب أمام انتشار والتزام الغالبية بقيادة الولى الفقيه على ضوء نظرية ولاية الفقيه باعتبارها القيادة الطبيعية فى الإسلام, وهنا يمكن لحظ التناغم والانسجام فى وحدة ثقافة القيادة والقاعدة.

وفى نفس الوقت فضح علماء السوء ووعاظ السلاطين, ودعا للابتعاد عنهم وإسقاطهم ولعل الشواهد كثيرة فى هذا المجال وذكرناها فى السابق.

3ـ الدعوة الصريحة وعدم المساومة:

تميزت حركة الإمام فى دعوة العلماء والناس للمجاهرة بالإسلام, وعدم التردد فى طرحه وتبليغه للناس فى كل مكان والثقة بالنفس (فلو تعرف العالم على الإسلام كما هو الإسلام المحمدى, لاتجه نحوه فبضاعة الإسلام بضاعة قيمة)[١٧٦].

ويصرّ الإمام على البوح بمشروعه السياسى محلياً وعالمياً, بينما نجد العديد من الحركات الإسلامية لا تجرأ على البوح بمشروعها السياسى أو لا تجاهر بإسلاميتها أحياناً خوفاً من الوقوع فى محاذير الصدام مع السلطة, أو مداراة للظروف والأوضاع التى تعيشها, وهى تسعى أحياناً للمساومة حتى على بعض شعاراتها أو طروحاتها.

من جهة أخرى فإنّ الخطاب الاستنهاضى عند الإمام كان بعيداً عن التكلف والتنميق ويستخدم لغة بسيطة وواضحة يفهمها العامة من الناس إلى جانب المثقفين, بينما نجد فى خطاب الحركات الإسلامية

١٧٦ . الإمام الخميني, دروس في الجاد والرفض, مصدر سابق, ص37.

وقادتها غالباً ما يقعون فى شرك التنظير الفكرى من خلال استخدام الخطاب النخبوى والمعقد والذى لا يحاكى سوى النخبة من المثقفين أو الكوادر.

الفصل الثانى

الواقع الاقتصادى والسياسى والاجتماعى فى إيران قبل الثورة

السؤال الذى يطرح نفسه فى هذا البحث: كيف كانت إيران قبل الثورة, وما هى الظروف والعوامل التى دفعت بالشعب الإيرانى بقيادة الإمام الخمينى ليتمرد على النظام الملكى المتجذر فى السلطة منذ أكثر من خمسين عام؟

ولماذا كان البديل للحكم الملكى جمهوريةً إسلامية لفتت أنظار العالم كله ومثلت أول قيام لحكم اسلامى على مثل هذه الأسس الدينية, بعد الغاء الخلافة العثمانية منذ ستين عام.

هذه الأسئلة تدفعنا أولاً للتعريف بموقع إيران الجغرافى وطبيعة تركيبتها السكانية, ثم الدخول إلى الإجابة عن الأسئلة الأخرى.

الموقع والسكان

تقع إيران فى غرب آسيا, يحدها شمالاً الاتحاد السوفيتى (روسيا وبلاد القوقاز) وبحر الخزر, وغرباً العراق وتركيا, وجنوباً بحر عمان ومضيق هرمز, وشرقاً باكستان وأفغانستان, تبلغ مساحتها مليون وستمائة ألف وثمان وأربعون كلم2, وعدد سكانها بحسب إحصاء 1977م, 36 مليون نسمة ويعمل غالبيتهم (80٪) فى الزراعة.

لا تتمع إيران بتماسك قومى متين نظراً لتركيبها السكانى الفسيفسائى (الفرس, الأتراك ـ الايرانيون, الآذريون ـ الاكراد، العرب , البلوش , التركمان).

والرابط الأساسى الذى يجمع بين قومياتها المتعددة هو الدين الإسلامى حيث يدين (89٪) من السكان بالإسلام ومعظمهم من الشيعة الاثنى عشرية, عاصمتها طهران, واللغة الرسمية هى الفارسية وتستعمل أيضاً اللغة العربية والكردية والتركية.

نبذة تاريخية

برزت إيران كدولة بالمعنى الحديث للكلمة فى مطلع القرن السادس عشر مع وصول الأسرة الصفوية إلى السلطة, الذين أعلنوا المذهب الشيعى ديناً رسمياً لدولتهم وتغيرت عاصمتهم مراراً بسبب قرب إيران من السلطة العثمانية, وبدأ انحسار سلطة الصفويين بعد وفاة عباس شاه عام (1629م) واستمر هذا الانحسار حتى عقدت اتفاقية بينهما عام (1907م) توقف على أثرها الصراع بين الدولتين١٧٧.

عودة إلى بداية القرن الأخير

مع مطلع القرن العشرين بدأ تدفق النفط فى إيران, وتألفت الشركة الإنكليزية الإيرانية سنة(1901م), وعاشت إيران خلال سنوات حالة من عدم الاستقرار والتجاذب بين الروس والانكليز حتى قسمت فى عام (1907م) إلى منطقتين محايدتين: احداهما كبيرة تحت النفوذ الروسى, وأخرى صغيرة تحت النفوذ البريطانى, وكان ذلک فى عهد الشاه محمد على الذى كان يحكم بدستور (1906) الذى كان يفوضه بكامل الصلاحيات فى السلطات الثلاثة (التشريعية والتنفيذية والقضائية).

وفى العام (1913م) بدأ تصدير انتاج البترول الإيرانى للخارج, وحصلت حينها حروب تركية روسية على الأراضى الإيرانية, حتى عقدت الهدنة بينهما (روسيا وتركيا) سنة (1917م), وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وقعت معاهدة بين روسيا وتركيا والحلفاء سميت معاهدة (سيفر SAIVER), وكان لها علاقة مباشرة بالوضع الإيرانى وكان ذلک عام (1920م) تحديداً.

وعقدت إيران مع روسيا فى العام (1921م) اتفاقية حسن جوار, وفى العام (1926) تم توقيع معاهدة أخرى بين روسيا وإيران نصت على تعهد روسيا بحماية إيران من ناحية آذربايجان وأرمينية فى مقابل السماح لروسيا بدخول قواتها إلى البلاد إذا هاجمتها قوات من الجنوب وعجزت إيران عن ردها١٧٨.

---

١٧٧ . د. عبد الوهاب الكيالي, موسوعة السياسة , المؤسسة العربية للنشر والدراسات ,بيروت 1990م, ط2, ج4,ص434.

١٧٨ . راجع حسن عبد الله, يوميات الثورة الإسلامية, دار الكتب , ط1 . بيروت 1979م, ص19.

وخلال هذه الفترة قامت ثورة فى جنوب كردستان بقيادة الشيخ سعيد بيران سرعان ما أخمدت وانتهت بإعدامه مع(46) من رفاقه وكذا فى (1929م) فعل الشاه مع ثورة قبيلة قواشقة بعد أن اجبرهم على ترك عاداتهم وتقاليدهم وجرهم إلى الحياة الحضرية.

كما أقدم الشاه رضا بعد أبيه سنة (1930م) باعتقالات واسعة ومذابح فى كافة أنحاء إيران ضد الشيوعيين الإيرانيين.

وأعلن الشاه رضا خان عام (1932م) إلغاء شروط الشركة الإنكليزية الإيرانية التى كان معظم أسهمها للحكومة الإنكليزية مما دفع بريطانيا لحشد أسطولها فى الخليج لإرغام الشاه على التراجع, حيث سويت المشكلة بشروط مرضية لإيران, وفى عام (1935م) دخلت إيران كعضو فى مجلس عصبة الأمم١٧٩.

وأثناء الحرب العالمية الثانية (1941م) عندما هاجمت ألمانيا روسيا أعلنت إيران حيادها, بينما كانت بريطانيا وروسيا قد طلبتا إلى الشاه التدخل ضد الألمان فرفض ذلك وأصر على الحياد, مما دفع بروسيا وبريطانيا إلى احتلال إيران, وهكذا زحفت روسيا من الشمال إلى آذربايجان ومقاطعات بحر قزوين, بينما زحفت بريطانيا لاحتلال أقاليم الجنوب.

وعلى إثر احتلال إيران من قبل روسيا وبريطانيا سقطت الحكومة الإيرانية وتألفت حكومة موالية للحلفاء, وتنازل الشاه رضا بهلوى عن العرش لابنه محمد رضا بهلوى, بينما نفى الشاه رضا إلى جزيرة (مورتيش) شرقى جزيرة مدغشقر, حيث مات هناك ودفن فى مصر ونقلت رفاته إلى إيران لاحقاً.

عمد الشاه رضا بهلوى خلال فترة حكمه إلى إتباع سياسة مركزية صارمة وفرض الحضارة الغربية على البلاد كما حاول خلق وحدة قومية من خلال بعث التراث القديم واستخدام الأسد والشمس كرمز للدولتين الأكمينية والساسانية, واعترف بالديانة الزردشتية مما شجع على عبادة النار, واصدر قانوناً يدعو فيه إلى نبذ الأزياء المحلية واستخدام الملابس الأوروبية ونبذ الحجاب, كما مارس الديكتاتورية فى حكمه حيث قتل

١٧٩ . حسن عبد الله , يوميات الثورة الإيرانية, مصدر سابق, ص21.

وصادر أموال و ممتلكات معارضيه وجمع ثروة طالة, وقلص دور المجلس وحل الأحزاب السياسية والنقابات وقيد حرية الصحافة ١٨٠.

وخلال فترة الاحتلال الروسى وسقوط الشاه رضا أنشأ مجموعة من المعتقلين السياسيين الخارجين من السجن حديثاً (حزب توده) الشيوعى, وبدأ هذا الحزب بنشر أفكاره بين الإيرانيين.

وقد اتفقت روسيا وبريطانيا خلال الحرب الثانية وسمحت للحلفاء باستخدام وسائل المواصلات والبقاء فى الأراضى الإيرانية أطول مدة لجيوش الحلفاء.

وفى عام (1942م) اجتمع فى طهران تشرشل وروزفلت وستالين, ونظراً للسيطرة السوفيتية على إيران طلبت الحكومة السوفيتية عام (1944م) بحقوق التنقيب عن النفط شمال إيران وبامتياز استخراج النفط فى مناطق واسعة جداً أو حسب طلبها.

وفى نفس العام دخل الدكتور محمد مصدق إلى البرلمان نائباً منتخباً وقدم مشروعاً يقضى بمنع الوزراء عن مناقشة العقود والاتفاقات النفطية دون موافقة المجلس١٨١.

أما العام (1945م) فكان حافلاً بالاحداث حيث تألف فى آذربيجان رسمياً مجلس وطنى يتألف من مئة عضو وعضو واحد, انتخبهم الحزب الديمقراطى الآذربيجانى, كما أعلن تاسيس الحزب الديمقراطى الكردستانى فى منطقة مهاباد, وبحث الروس مع مجموعة من الشخصيات الكردية البارزة مستقبل كردستان, ومع قيام حركة انفصالية فى آذربايجان تحت حماية روسيا منعت محاولات الحكومة الإيرانية من التدخل هناك مما شجع إعلان آذربايجان حكومة مستقلة.

وفى العام نفسه قدمت الحكومة الأمريكية احتجاجاً تقترح بموجبه تقديم موعد اجلاء القوات الأجنبية عن إيران, ولعل ذلك كان ايذاناً ببداية الاهتمام الأمريكى بالوضع الإيرانى.

---

١٨٠ . عبد الوهاب الكيالي, الموسوسة السياسية, مصدر سابق.

١٨١ . حسن عبد الله يوميات الثورة الإيرانية, مصدر سابق.

وتتالت حركات الانفصال برعاية وتشجيع السوفيت, فأعلن فى العام (1946م) فى مهاباد عن تأسيس حكومة وطنية كردية ذات نظام جمهورى وعين القاضى محمد زعيم الحزب الديمقراطى الكردستانى رئيساً للجمهورية.

وفى هذا العام يقوم سجال بين روسيا وبريطانيا (دون الاحتلال) فى إيران حول مواعيد الانسحاب وتأخر كل منها فى سحب قواتها أملاً فى حصول المنسحب على امتيازات تجارية كثمن للإنسحاب, وهنا يأتى التدخل الأمريكى مرة أخرى مطالباً السوفيت بعدم تأخير انسحابهم, ولكن السوفيت يسرعون لتوقيع معاهدة مع رئيس الوزراء الإيرانى تقتضى بتأسيس شركة إيرانية سوفيتية مختلطة مع التأكيد على موعد انسحابهم القريب فى نفس العام, وهذا ما حصل فى أيار من العام نفسه (1946م).

وهنا تبدأ عملية الاستقطاب الدولى للحكومة الإيرانية والصراع على المصالح الدولية فى إيران تتضح أكثر, ففى تموز (1946م) وبينما كانت القوات الإيرانية تشن هجوماً على الجمهوريتين الآذربيجانية والكردستانية وبدعم ومساندة أمريكية ـ بريطانية ويسقط فى الهجوم (15000) قتيل من الجمهوريتين, يتحرك عمال شركة النفط الإنكليزية الإيرانية وبإيعاز سوفيتى , شيوعى لإعلان الإضراب العام مما يؤدى إلى أعمال عنف عندما ينتج عنها العديد من القتلى والجرحى.

وتتحول المعركة لصالح أمريكا وبريطانيا تدريجياً, فيعلن أجاويد فى آذربيجان استسلامه وولائه للشاه, ويدخل الجيش الإيرانى مدينة تبريز عاصمة أذربيجان بعد انهيار الجمهورية المستقلة, ومع نهاية العام (1946م) يرحل الممثل التجارى السوفيتى لمهاباد الكردية, ويعلن القاضى محمد رئيس جمهورية مها آباد أيضاً خضوعه للجيش الإيرانى وتعود مهاباد للسلطة الإيرانية المركزية.

كان واضحاً خلال هذه الفترة أن أسرة بهلوى تحكم شكلياً وتستخدم العنف والقمع والقوة فى إخماد أى محاولة تمرد فى الداخل والأطراف, ولكن القوة التى تحركها هى أمريكا وبريطانيا اللتان عملتا على تقليص حدود النفوذ السوفيتى فى إيران, ونجحتا فى هذا الأمر حتى استقرت الأمور لصالحهما خلال السنوات التى تلت انتهاء الحرب العالمية الثانية.

ولعل هذه المساندة البريطانية الأمريكية للشاه لم تكن مجانية, وبدأت تظهر الأثمان التى دفعها الشاه بالمقابل, فكانت زيارته إلى الولايات المتحدة عام (1984م), ثم اعترافه بإسرائيل عام (1950م), وتمهيد الطريق لتوسيع العلاقات وتبادل السفراء معها.

وهنا لابد من الإشارة إلى الموقف الذى صدر عن الحوزة فى قم حينها وأدان هذا الاعتراف ورفضه, وكذلک انطلقت منظمة فدائيان إسلام التى كانت قد تأسست عام (1946م) وشكلت عدواً لدوداً للشاه ونظامه بقيادة السيد نواب الصفوى, لتبدأ حملة اغتيالات منظمة ضد رموز السلطة وأعوان الشاه, فاغتالت عام (1951م) رئيس الحكومة رازمادا الذى كان من أشهر المعارضين لتأميم النفط, كما اغتالت مجموعة من رموز السلطة وأجهضت حركة المنظمة بعد إعدام نواب صفوى مع إخوانه عام (1955م).

حركة مصدق

كان الدكتور مصدق قد انتخب عام (1950م) رئيساً للجنة النفط الوطنى فى مجلس النواب ودافع عن التأميم بحماس وشراسة, وقاد حملة المطالبة بالتأميم بعد اغتيال رازمادا وتعيين الشاه حسين علا رئيساً للحكومة الإيرانية.

وبعد الانتفاضة الجماهيرية الكاسحة ضد التعيين, ورفع شعار (آبار النفط لنا) وعلى وقع التحالف بين آية الله الكاشانى والدكتور مصدق والمد الجماهيرى للانتفاضة العازمة, عُيّن الدكتور مصدق عام (1951م) رئيساً للوزراء وشكل جبهة وطنية انضمت إليها الأحزاب السياسية فى إيران, فأعلن الدكتور مصدق تأميم النفط, ثم سحب الاعتراف بالكيان الصهيونى بفضل الجهود والنشاطات التى بذلها مصدق والمرحوم آية الله كاشانى.

كما أصدر مصدق قانوناً للإصلاح الزراعى يقضى بأخذ (20٪) من المحاصيل وأثمانها من المالكين ويعطى (10٪) منها للفلاحين, بينما تخصص (10٪) الأخرى لإعمار الريف, ولعل نسبة العشرين بالمائة مأخوذة من قانون الخمس الإسلامى الذى يقضى بدفع (20٪) من أرباح السنة على الفقراء والمحتاجين تحت إشراف العلماء.

وقامت حركة مصدق عام (1952م) عندما تحدى الشاه بفاعلية مصمماً على إلغاء تدخل البلاط فى الشؤون العسكرية للجيش, فأعلن الدكتور مصدق نفسه وزيراً للحربية واتخذ قراراً بطرد البريطانيين من إيران, وحينما قاوم الشاه ذلک استنجد مصدق بالشعب الإيرانى فنزل عشرات الآلاف من أبناء الشعب إلى الشوارع وبقيادة الجبهة الوطنية والعلماء, وقاتلوا ببسالة ضد السلطة ولمدة ثلاثة أيام.

وحصلت هنا التدخلات الخارجية لحماية الشاه, فوقعت بعض الحوادث المشبوهة, وفى نهاية عام (1953م) ومع استمرار الضغط الجماهيرى ضد الشاه, أرغم الشاه على المغادرة إلى أوروبا بعد التخلى عن العرش, ثم قامت القوات الإيرانية الموالية للشاه باحتلال العاصمة الإيرانية, وأسقطت حكومة مصدق على أيدى قائد الجيش زاهرى (وبمساعدة وكالة الاستخبارات الأمريكية) الذى أعلن نفسه رئيساً للوزراء, واستدعى الشاه للعودة بعد ستة أيام من خروجه فقط.

بينما أودع الدكتور مصدق السجن ورفض طلب العفو من الشاه واستشهد فى السجن.

ومع هذه الأحداث يبرز أكثر دور الولايات المتحدة الأمريكية فى الشأن الداخلى الإيرانى, ففى العام (1954م) يتم تأسيس الكوفسورنيوم النفطى ذى الهيمنة الأمريكية التى جاءت لتدعم نظام الشاه بالمال والسلاح, فى الوقت الذى وصلت فيه الأوضاع الاجتماعية والمعيشية عند الشعب الإيرانى إلى حالة مزرية فبلغ معدل الدخل السنوى للفرد فى إيران إلى (100) فى مقابل (276) فى السعودية و (166) فى مصر و (2343) فى أمريكا للفرد الأمريكى[١٨٢].

ردود الفعل على تجربة مصدق

تعتبر حركة مصدق مفصلاً أساسياً ومحطة بارزة فى إرهاصات الثورة ومراجعة الحسابات عند الجميع, السلطة المتمثلة بالشاه محمد رضا بهلوى ومعاونيه من طبقة المستضعفين والرأسماليين, والمعارضة بشقيها الليبرالى اليسارى والإسلامى العثمانى, وهى شكلت فى الوقت نفسه تجربة للشعب الذى بدأ يفتح عينيه على معارضة النظام واختيار طريق التمرد:

---

١٨٢ حسن عبد الوهاب, يوميات الثورة الإيرانية, مصدر سابق, ص25.

1ـ اتجه الشاه إلى حل الأحزاب السياسية وأعاد بناء الجيش بعد أن طهره من المشتبه بعدم ولائهم للعرش, وأسند المناصب الحساسة للمقربين من الاقليات الدينية والقومية (الأرمن, اليهود والبهائيين), ووصل فى محاولاته لمركزة السلطة بيديه إلى إعلان حالة الطوارئ فى البلاد١٨٣, واتبع سياسة تصفية العناصر والتيارات السياسية التى عارضته ووقفت مع الدكتور المصدق فى مواجهته للفساد واسرته عام (1952م), واناط تلك المهمة الأساسية بجهاز الشرطة السرية (الساواک) والذى انشأه الشاه فور عودته إلى طهران عام (1953م) والذى لاحق مع بدايات تشكيله حزب (توده) الماركسى فاعتقل المئات وأعدم العشرات منهم, وكان له الدور الابرز فى ملاحقة العلماء وارتكاب مجزرة المدرسة الفيضية لاحقاً.

2ـ دب الخلاف داخل الجبهة الوطنية مما أدى إلى الانشقاق والفراق بين الإسلاميين والعلمانيين, وظهر من خلال تخلى آية الله الكاشانى عن الدكتور مصدق بسبب اشتراک الحزب الماركسى فى الحكومة, مما عهد لقيام حركة تحرير إيران التى أسسها أصحاب التوجه الإسلامى من رموز الجبهة وفى مقدمتهم المهندس بازركان وآية الله الطالقانى.

3ـ إن تجربة مصدق أثبتت أن الليبراليين واليساريين لم يحققوا الآمال التى عقدت عليهم نتيجة فشل محاولة إقصاء الشاه وبطانته لسبب أو لآخر, الأمر الذى أوجد حالة احباط عند الناس ودعا الإسلاميين لكى يخوضوا الميدان كقوة أساسية لم تحتضر بعد, فبرز تجمع جديد للعلماء تحت عنوان (روحانيان مبارز) أو علماء الدين المناضلين, وفى مقدمتهم آية الله الطالقانى وعملوا على ربط المجتمع بالدين والحوزة والعلماء وفضح سياسات الشاه.

4ـ ولأن الشاه كان مديناً للمخابرات الأمريكية فى عودته إلى العرش وهو ما لم يعد سراً ازداد ارتباطه بالمخططات الأمريكية منذ العام (1953م), إذ تضخمت أعداد المستشارين الأمريكيين عسكريين ومدنيين حتى وصل عددهم إلى الأربعين ألفاً١٨٤.

---

١٨٣ . د. عبد الوهاب الكيالي, موسوعة السياسة, مصدر سابق, ص437.

١٨٤ . حسن عبد الله , يوميات الثورة الإيرانية, مصدر سابق, ص27.

وأصدر الشاه قانوناً بمنحهم حصانة قضائية خاصة, وعاد للاعتراف بإسرائيل عام (1961م), مما أثار غضب العلماء فى الحوزة فى قم لاسيما الإمام الخمينى الذى جاهر بمعارضته لهاتين الخطوتين وأعلن رفضه لهما.

وبالمقابل وعلى المستوى الاجتماعى الداخلى ونتيجة تزايد انتاج النفط تضاعفت الاستثمارات وتعددت مشروعات التنمية الاقتصادية التى وسعت من رقعة الإنتاج وزادت من الدخول لدى الحكومة, فبينما كانت الإيرادات النفطية عام (1953م) أقل من (34) مليون دولار, فإن حوالى (3) مليار دولار أنفقت على خطة التنمية المثالية (55ـ1962) وفى مقابل (10) ملايين دولار أنفقت على التسليح فى الفترة ما بين (1941و1966) ذلك بالإضافة إلى مظاهر البذخ المبالغ فيها التى بدأت تطرأ على الأرستقراطية الإيرانية, الأسرة المالكة ومن حولها, من خلال التسابق على بناء القصور الفاخرة والحفلات الماجنة والرحلات الملكية الباذخة والمهرجانات الضخمة, (فقد وصلت تكلفة احتفالات عام (1972م) بمناسبة مرور (2500) عام على الحكم الملكى الإيرانى الذى عرف باسم مهرجان برسوبوليس إلى (120) مليون دولاراً)١٨٥.

لقد أدى هذا التطور الذى كرسه الشاه فى ما يسمى بالثورة البيضاء (انقلاب سفيد) عام (1962م) إلى تحويل المدن الإيرانية وفى مقدمتها العاصمة طهران إلى مناطق جذب بشرى بحيث وفد إليها مئات من أبناء الإقليم والعمال الزراعيين العاطلين عن العمل, وإذ بدا واضحاً أن هدف التنمية وهدف الثورة البيضاء هو خلق قطاع صناعى لصالح الأثرياء والاستثمارات الغربية, الأمر الذى يصب فى المدن ويؤدى إلى تفريغ الريف.

فقد بلغ عدد الذين نزحوا إلى المدن خلال الفترة بين (1962ـ1972) حوالى ثلاثة ملايين نازح كان النصيب الأكبر للعاصمة طهران, وهؤلاء تمركزوا حول العاصمة فى (44) حياً سكنياً بما يشبه أحزمة البؤس, وقد لعبوا لاحقاً دوراً هاماً فى مسار أحداث الثورة.

وبرزت فى المدن التى وفد إليها النازحين الفوارق الاجتماعية الكبيرة بين أبناء الريف والمدينة, وكانت محاولة الشاه لا تتوقف لتحسين صورته أمام الناس والعالم الخارجى عن طريق إقامة هياكل سياسية توحى

---

١٨٥ . فهمي هويدي, إيران من الداخل , مركز الاهرام للنشر والترجمة القاهرة 1988م.

بشكل من أشكال الممارسة الديمقراطية فأنشأ حزبين توأمين هما (مردم) أى الشعب و (ملّيون) أى الوطنيين وغير اسمه فى ما بعد إلى (إيران نوين) أى إيران الجديدة, ونصّب اثنين من رجاله على رأس الحزبين.

ولكن خطواته هذه لم يكتب لها النجاح مما دفعه إلى إلغاء الحزبين عام (1975م) واستبدالهما بحزب واحد باسم (رستاخيز ملت) أى البعث الشعبى, وأعلن أن من لا ينضم إلى حزبه إما عميل أو خائن, وعليه إما أن يغادر البلاد أو يدخل السجن, وهذا ما أثار سخرية الجماهير فأطلق الناس على صحيفة الحزب التى حملت اسمه كلمة واحدة ضمنتها خلاصة رأيها فيه وهى (رسوا خير) ومعناها منبع الفضيحة.

لم تتوقف محاولات الشاه لتحسين صورته عند انشاء هذا الحزب, فقد سعى فى الوقت ذاته ولأكثر من مرة إلى التقرب والتودد للمؤسسة المرجعية الدينية ليضفى مظهراً اسلامياً على شخصه, فزار الأماكن المقدسة فى مشهد ومناطق إيران الأخرى لأكثر من مرة, وجمع بعض العلماء أمثال بهبهانى و د. حسن إمامى حوله.

وبلغت محاولة التودد مدى كبير عام (1961م) حيث اوفد رئيس وزرائه على أمينى لزيارة آية الله الكاشانى فى المستشفى, ونشرت الصحف صورته وهو يقبل يد الكاشانى, ولمزيد من إرضاء المؤسسة الدينية فقد ضمت وزارة على أمينى التى شكلت فى نفس العام نائباً لرئيس الوزراء للشؤون الدينية لأول مرة فى التاريخ الدستورى لإيران١٨٦.

لقد أدت مرحلة الانفتاح على الغرب التى بدأها نظام الشاه عام (1960م) والاعتراف بإسرائيل وفتح علاقات دبلوماسية معها مصدراً إضافياً لاستفزاز المشاعر الإسلامية عند الشعب الإيرانى, واذ لم تقف خطى الالتحاق بالغرب عند شراء المعدات العسكرية والمصانع واستقدام افواج المستشارين الأجانب, بل تواصلت باتجاه تكريس الحياة الغربية بأسوأ ما فيها اجتماعياً ابتداءاً بممارسات الارستقراطية الإيرانية التغريبية, مروراً بفتح قناة تلفزيونية خاصة يقتصر بثها على الأفلام والبرامج الأمريكية, فضلاً عن تشجيع فتح الحانات والنوادى الليلة وصالونات عرض البرامج الخليعة وبيوت الدعارة التى وصل عددها فى طهران إلى

١٨٦ . فهمي هويدي , إيران من الداخل مصدر سابق, ص39.

(1876), ووصل مدمنو الأفيون إلى المليون شخص عام (1972م), علماً بأن الشخصية الأبرز فى إدارة تجارته كانت شقيقة الشاه أشرف بهلوى١٨٧.

لقد عمقت هذه التصرفات سخط الجماهير وأثارت العلماء بصورة متزايدة, وفضلاً عن اعترافه بإسرائيل الذى اعتبر بمثابة صدمة مهينة وجارحة للمشاعر الإسلامية, كان إلغاء التقويم الهجرى واستبداله بالتقويم المجوسى ـ الشاهنشاهى, خطوة استاء منها الجميع, إذ قفز التقويم مرة واحدة من العام (1359) هجرية إلى العام (2535) شاهنشاهية, وقد شكر المجوس فى جميع أنحاء العالم خطوة الشاه هذه.

كما أن خطوة اتخاذ البرلمان قرار رفع سن زواج الفتيات من (15) إلى (18) سنة وللفتيان من (18) إلى (20) سنة, وإصدار وزارة العدل تعليمات إلى القضاء للتشدد فى تطبيق قانون حماية الأسرة الصادر عام (1867م) الهادف إلى الحد من تعدد الزوجات والطلاق, إضافة إلى أوامر وزارة التعليم العالى إلى الجامعات برفض النساء اللاتى يرتدين الشادور.

كل هذه الخطوات زادت وراكمت الغضب الشعبى على السياسة التى ينتهجها الشاه وحكومته, ودفعت الناس إلى اللجوء إلى العلماء الذى شكلوا دوماً فى التاريخ الإيرانى الحضن الدافئ للجماهير والصوت المدافع عنهم والمقارع للظلم.

وعندما نشرت صحيفة (كيهان) شبه الرسمية فى ايلول (1961م) قراراً لرئيس الوزراء أسد الله علم يتناول فيه بالتعديل قانون المجالس المحلية, وأهم ما فى التعديل هو انه ألغى القسم على القرآن الكريم عند التشريع لتلك المجالس, على أن يحل محله أى كتاب سماوى آخر معترف به, كما الغى شرط الإسلام على المرشحين مما اعتبر (تبييتاً لمؤامرة ضد القرآن وتعاليمه ونية لإزاحته عن سدة القيادة والحكم والاستعاضة عنه بالكذب والأنظمة الضالة, فهاهم وقد ألغوا شرط الإسلام من قائمة الشروط الضرورية للمرشحين والناخبين)[١٨٨].

---

١٨٧ . مجلة الوحدة الإسلامية . تقرير حول الفساد في زمن الطاغوت, العدد 62.1985م, طهران.

١٨٨ . الإمام الخميني دروس في الجهاد والرفض مصدر سابق, ص34.

كانت هذه الخطوة سبباً فى تفجير الموقف فى قم, وظهور اسم روح الله الخمينى على مسرح الأحداث لأول مرة, فاجتمعت أركان حوزة قم فى بيت آية الله حائرى وأرسلوا برقية احتجاج إلى الشاه, ثم بعد أن رد الشاه بأنه أحال الأمر إلى رئيس الوزراء اجتمعوا مرة أخرى وقرروا إرسال برقية بعث بها روح الله الخمينى إلى رئيس الوزراء محذراً ومهدداً من مغبة مخالفة الدستور والإسلام.

ويبدأ هنا الإمام برفع راية الجهاد فاضحاً تصرفات الشاه وحكومته وعلاقاته الخارجية والتدخلات الأجنبية فى إيران, وبدءاً من هذه الحادثة تبدأ وتيرة الصراع بالارتفاع والسخونة بين الحوزة والعلماء وفى مقدمتهم الإمام الخمينى, وبين الشاه وحكومته وأجهزة الأمن فى سلطته, ويكسب الإمام الخمينى والحوزة فى قم الجولة الأولى من المواجهة حيث يكتب الإمام فى نص البرقية المرسلة إلى الشاه ورئيس الوزراء (أحب أن أذكركم بأن علماء إيران والاعلام والمراكز الدينية وسائر المسلمين لن يسكتوا عما يخالف الإسلام, ولن يعترفوا بأى أمر يخالف الإسلام بحول وقوة من الله تعالى)[١٨٩].

ومع بداية الستينات تتبلور حالة التمرد فى شخصية الإمام الخمينى حتى أطلق البعض عليه لقب (بت شكن) أى محطم الأصنام, وهو الوصف الذى أطلق عليه بعدما برز كفقيه أعلن تحديه للنظام والشاه, إذ لم يذكر له منذ بدأ خطابه السياسى أنه خاطب الشاه بلقب الجلالة, كما كان يفعل غيره من الفقهاء والسياسيين.

وهو دخل إلى المجتمع والساحة السياسية ومعركتها من باب الفقه السياسى, وقد عبر عن نفسه بصدق عندما قال لبعض تلامذته فى المدرسة عام (1961م): (لست من المعممين الذين يرغبون دوماً فى القعود والانشغال بالتسبيح, كما أننى لست قسيساً أقوم أيام الأحد ببعض الطقوس وأمضى بقية الأيام راهباً لا تعنينى شؤون الناس).

ثم يقول: (من العار أن نسكت على هذه الأوضاع ونبدى جبناً أمام الظالمين والمارقين الذين يريدون النيل من كرامة الدين والقرآن وشريعة الإسلام الخالدة... انهضوا للثورة والجهاد والاصلاح فنحن لا نريد الحياة فى ظل المجرمين)[١٩٠].

---

١٨٩ . الإمام الخميني, الكوثر (مجموعة خطب الإمام), مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام , طهران , ط1. 1996 م, ج6, ص35.

١٩٠ الإمام الخميني, دروس في الجهاد والرفض, مصدر سابق, ص37.

ولعل هذه التصريحات والخطب اللاذعة دفعت بالشاه إلى إرسال السافاك وقوات الشرطة للهجوم على المدرسة الفيضية, وقتل وجرح العديد من طلاب الحوزة مما أشعل الموقف فى مدينة قم, واعتبرت هذه الحادثة شرارة الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخمينى.

وهكذا خلال الفترة الواقعة بين (1963) وحتى (1978) كانت حدة الصراع تتصاعد بين الحوزة والعلماء والشاه والسلطة, وتخلل هذا الصراع المزيد من الاعتقالات والتعذيب فى السجون والنفى والإبعاد (أبعد الإمام الخمينى إلى تركيا سنة (1964), ومن ثم إلى العراق سنة (1965) بعد ما كان قد اعتقل من قبل السلطة سنة (1963) وأطلق سراحه على إثر مظاهرات واحتجاجات ضخمة فى المدن الإيرانية) إلى ممارسات القمع لمؤيدى العلماء والسائرين فى ركب الإمام الخمينى.

وقد تبلور خلال هذه الفترة الخطوط الأساسية التى حكمت مسيرة المعارضة للشاه ومقارعة حكمه والعداء للاستعمار لاسيما أمريكا التى أضحت تدخلاتها مفضوحة فى الشؤون الإيرانية وفى توجيه سياسة الحكم عند الشاه وحكومته, والعداء لإسرائيل (باعتبارها تشكل خطراً ليس على الدول العربية فحسب بل على الدول الإسلامية عامة, وإن معظم مصائبنا من أمريكا ومن إسرائيل, وإن شقاءنا إنما هو بسبب تدخل الأجانب فى مقدراتنا وشؤوننا وهم الذين ينهبون ثرواتنا الطبيعية الهائلة, وإن سيطرة عملاء الاستعمار على مقادير الشعب الإيرانى هى التى أدت إلى خلق مشاكل ومخاطر حادة, فقد عمدت السلطة العميلة إلى التحالف مع إسرائيل ضد الدول العربية والإسلامية, وتسعى لمحو أسس القرآن الكريم وتعاليم الإسلام التحررية)[١٩١].

وتتالى ممارسات السلطة الإيرانية بحق رموز المعارضة وكوادرها حتى أصدرت عام (1975) منظمة العفو الدولية تقريراً جاء فيه" لا يوجد قطر فى العالم له سجل سيّئ فيما يختص بحقوق الإنسان كإيران١٩٢.

---

١٩١ . الإمام الخميني, دروس في الجهاد والرفض, ص169.

١٩٢ . حسن عبد الله, يوميات الثورة الإيرانية, مصدر سابق, ص49.

ولعل أبرز عمليات التصفية التى لاحقت رموز المعارضة كانت اغتيال الدكتور على شريعتى عام (1977م) فى لندن, واغتيال السيد مصطفى نجل الإمام الخمينى فى النجف.

وعاشت إيران صراعاً مريراً على المستوى السياسى بين السلطة والمعارضة تخللته عمليات أمنية وهجومية متبادلة بين أجهزة السلطة وبعض مجموعات المعارضة المسلحة التى كانت تنفذ بين فترة وأخرى عمليات هجوم على مراكز للشرطة والاستخبارات والمصالح الأمريكية والإسرائيلية فى إيران, كما شهدت هذه الفترة العديد من التظاهرات الشعبية الكبرى بمناسبات مختلفة لاسيما فى عاشوراء من كل عام, وهى تظاهرات كانت تعبر عن سخط الناس من سياسات الشاه وتحالفاته الخارجية مع أمريكا وإسرائيل, ومن سوء الأوضاع الاقتصادية والمعيشية عند الشريحة الواسعة من الإيرانيين.

لقد شكلت خطب الإمام الخمينى فى قم ومن منفاه فى النجف الاشرف وفرنسا وبين الأعوام (1936ـ1979م) مرجعاً مهماً لمعرفة وتلمس ما يدور فى الصراع مع السلطة فى إيران, ولعل المراجعة المتأنية لهذه الخطب والاطلاع على مضامينها يبرز بوضوح الموضوعات التى كانت تشكل أسباباً رئيسية للمعارضة وقيام الثورة, كما تعطى صورة عامة عن الأوضاع القائمة فى إيران خلال تلك الفترة التى سبقت الثورة, ويمكن استخلاص أبرز العوامل التى أدت إلى قيام الثورة:

1ـ إن الظلم الذى مورس على الناس من عهد القاجاريين (1779ـ1925م) إلى سلاسة البهلوى (1952ـ1979) قد أوجد قطيعة نفسية بين السلطة والشعب, وإن الغضب على السلطة تزايد من جراء إمعان الحكام فى التبعية للغرب واسرائيل, الأمر الذى أدى إلى نهب خيرات البلاد واستلاب قرارها وحاول طمس هويتها الإسلامية.

ويعبر الإمام عن ذلك بعبارة مختصرة: (إن معظم مصائبنا من أميركا, ومن إسرائيل التى هى جزء لا يتجزأ من أمريكا, وإن هؤلاء النواب والوزراء هم عملاء لأمريكا, وإلا فلماذا لا يقفون بثبات ويتصدون للطغيان الأمريكى)[١٩٣].

١٩٣ . الإمام الخميني , دروس في الجهاد والفرض, مصدر سابق , ص111.

2ـ إن الخطوات التى قام بها الشاه وحكومته تحت عنوان التطوير والإصلاح للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لم تكن سوى ألاعيب لنهب خيرات الشعب وغراقه تحت القروض والديون والفوائد, وهى تروج لمصالح واستثمارات أمريكا وإسرائيل فى إيران.

وقد أدت بالإضافة إلى تدمير الاقتصاد وازدياد نسبة البطالة وتوسيع الفجوة بين الأغنياء والفقراء, أدت إلى حراك ديمغرافى غير مدروس فتكونت نتيجته أحزمة البؤس حول المدن, وأدت من جانب آخر إلى استفزاز المشاعر الإسلامية لأنها خرجت عن المعتقدات التى نشأ عليها الناس وآمنوا بها.

ونذكر من هذه الخطوات (قانون الحصانة للأمريكيين فى إيران) الذى يقول عنه الإمام : (أيحق للأمريكى الدخيل والمستعمر أن يتمتع بالحصانة القضائية مهما كان جرمه بينما نرى علماء الإسلام وخطباء المنابر والمخلصين فى خدمتهم, يعانون آلام التعذيب فى السجون, والنفى إلى أقاصى البلاد.. وجريمتهم وجريرتهم الوحيدة هى أنهم مؤيدون وملتزمون بتعاليم الإسلام)[١٩٤].

وقانون تنظيم الأسرة الذى يتعارض مع الأحكام الإسلامية الشرعية, وقانون الإصلاح الذى سمى بالثورة البيضاء ١٩٥, وقانون تعديل الانتخابات للمجالس المحلية الذى ذكرناه سابقاً مع الإشارة إلى ما تركه من ردة فعل غاضبة عند الحوزة والعلماء, إلى العديد من الخطوات الأخرى فى سياسة تغريبية مفضوحة كانت تملى من قبل المستشارين الأجانب عليه.

3ـ إن العلاقة بين المراجع الدينية والعلماء والناس هى علاقة تلاحم وثقة متبادلة لم تهزها محاولات الشاه باستمالة العلماء أو التودد إليهم أو تشويه صورتهم عند الناس, وأن الشريحة الواسعة من الناس حيث كانت تتحرك على إيقاع فتوى المراجع وتوجيهات العلماء حيث يعتبرونهم (الحصن المدافع عن الوطن والإسلام والمعاقل المعادية للاستعمار)[١٩٦].

وأن المستهدف من السلطة وهجومها ليس العلماء بأشخاصهم والحوزة بمؤسستها وإنما الإسلام والدين, وهما فى خطر, فلقد أدركوا بأنه ما دام لعلماء الإسلام هذا النفوذ الواسع فلن يستطيعوا استبعاد الشعب وبيعه

---

١٩٤ . الإمام الخميني, دروس في الجهاد والرفض, مصدر سابق, ص192.111.

١٩٥ . نفس المصدر.

١٩٦ . الإمام الخميني, دروس في الجهاد والرفض, مصدر سابق, ص107.170.

للإنكليز والأمريكان يوماً ما١٩٧, وليس هناك شاهد على تجذر قوة العلاقة بين المرجعية والناس أكثر من فتوى التبغ الشهيرة التى أصدرها الميرزا الشيرازى عام (1963) والتى أسقطت الاتفاقية التى عقدت يومها بين الملك الإيرانى والشركة البريطانية.

ثم فتوى الإمام الخمينى صدرت عام (1963) باعتبار القوانين التى صدرت عن الحكومة الإيرانية والتى تخالف القرآن والسنة هى قوانين لاغية, مما أدى إلى تراجع الحكومة عنها, وفتواه بحرمة الانتساب إلى حزب (رستاخيز) الذى أنشأه الشاه, وفتواه بتحريم البضائع الاسرائيلية ومقاطعتها, وفتواه بدعم المقاومة ضد إسرائيل منذ سنة (1976م), وفتوى تحريم المشاركة فى الاحتفالات الملكية.

4ـ ضرورة التوحد بين مختلف فئات الشعب ابتداءً من الطلبة فى الحوزات والجامعات مروراً بالتجار والمزارعين والعمال والمرأة, وانتهاء بعناصر الجيش وضباطه والمتمردين, فلم يخلو خطاب من خطابات الإمام من حث الناس على الوحدة والتوحد ورص الصفوف والتعالى عن الصغائر وتركيز الجهود باتجاه الأهداف الأساسية للثورة.

وهو يقول فى هذا المجال: (إن الشعب الإيرانى قد استيقظ وشرع بذلک عرش الظالمين بيقظة واندفاع, وإن أملنا أن يتحد الجميع, أن يتحد علماء الدين والمجتهدين وطلبة العلوم الدينية وطلبة الجامعات والمثقفون والتجار والفلاحون والعمال والعسكريون وسائر فئات الشعب ضد هذا الخبيث الخائن, ويجب على جميع الفئات أن يتكاتفوا ويتضامنوا فى رفض هذا النظام الفاسد القاتل"[١٩٨].

ولعل فى كلمته المشهورة (إن سر انتصارنا فى كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة) ما يغنى عن الكثير من البيان.

5ـ رغم انشغال الشعب الإيرانى بأوضاعه الداخلية المتردية وانشغال قادته فى الثورة بالمواجهة مع الشاه, إلا أن الهم الإسلامى العام لم يغب عن اهتمامات الإمام الخمينى والشعب الإيرانى فكان حضور

---

١٩٧ . نفس المصدر.

١٩٨ . الإمام الخميني, دروس في الجهاد والرفض, مصدر سابق, ص267.

قضايا فلسطين ولبنان ووحدة العالم الإسلامى وقضاياه حاضرة دوماً فى خطب الإمام, وفى شوارع طهران على ألسنة المتظاهرين.

كما نرى فى دعوة الإمام الخمينى عام (1986), ومناشدته المسلمين فى العالم للالتحاق بصفوف الثورة الفلسطينية ودعمها, فى المظاهرات التى خرجت عام (1946) عقب نفى الإمام من إيران لتطالب بقطع العلاقات مع إسرائيل التى أشعلت النار فى مكاتب شركة العال الاسرائيلية وهاجمت مكاتب العلاقات الثقافية الأمريكية, وفى تفجير مراكز المصالح الأمريكية فى إيران عام (1972) أثناء وجود نيكسون فى طهران١٩٩.

يبقى أن نشير إلى نتيجة مهمة يوصلنا إليها هذا الربط التاريخى بين المقدمات التاريخية للثورة لاسيما منذ بدايات القرن العشرين, حيث أنها تضىء على حقيقة تخفيها شدة الاعجاب والتقديس للإمام الخمينى, هى أن ثورة الإمام الخمينى جاءت تتويجاً لحركة التاريخ هذه, ولم تأتِ من فراغ أو مبتورة عما سبقها من إرهاصات وأحداث ومقدمات.

وهنا يصبح الإمام الخمينى شرطاً تاريخياً يكتسب فرادته وعظمته فى تفجير تراكم حركة التاريخ واستيراد نتائجها, وهكذا نصل إلى وضع نهضة الإمام الخمينى وحركته التغيرية فى موقعها الطبيعى و سياقها التاريخى ضمن سنته العامة دون أن ننقص شيئاً من دورها فى انضاج الظروف التاريخية التى واكبتها أو سرّعت فى انطلاقتها.

الفصل الثالث

تصور الإمام لحركة النهضة وبرنامجه لتغيير الواقع

بعد أن سعى الإمام الخمينى لتشخيص الواقع ومشكلاته فى مرحلة مبكرة من حياته محاولاً ملامسة مشكلات هذا الواقع عن قرب, طوى فى وعيه ثلاث مساحات: الأمة كما كانت, والأمة كما هى , والأمة كما

١٩٩ . حسن عبد الرحمن عبد الله يوميات, الثورة الإيرانية , مصدر سابق, ص47.

يجب أن تكون, ولم يكن معايير إداركه سوى معايير الإسلام فى سنته التاريخية والتطويرية الاجتماعية والسياسية, وقوانينه ومفهومه للإنسان والحياة.

فمن الإسلام جاء الإمام وبه انطلق وإلى تحقيق أهدافه وصل ليله بنهاره فى شتى الميادين والمجالات, وإلى مشروعه نهض ودعا واستنهض الداخل والخارج والقاصى والدانى, والمجتهد والجاهل من العامة, وصولاً إلى الظالمين أنفسهم, والخصوم والأعداء٢٠٠.

ولقد قيل معرفة الداء نصف الدواء, وأقول: إن حسن اختيار أسلوب العلاج واستعماله هو النصف الآخر من العلاج.

بهذه المعادلة يمكن تلخيص مسار حركة النهضة وتغيير الواقع الذى سلكه الإمام فى التعاطى مع الواقع الذى عاشه وعمل لتغييره.

تشخيص المشكلة وأسلوب العلاج

من خلال قراءة خطاب الإمام الاستنهاضى ومسار حركته النهضوية يمكن استنتاج أبرز الموضوعات التى حددها الإمام كمواقع للخلل وتستوجب المعالجة فى جسم الأمة وبنيتها, ويتضح لنا فى السياق ذاته الأساليب المستخدمة من قبل الإمام فى معاجلة تلك المشكلات على كل الأصعدة:

أولاً: الفكر والثقافة:

والذى يشكله المادة الأولية فى صياغة الإنسان على المستوى الفكرى والثفافى (فالإنسان عصارة كل موجودات الدنيا, وإن كل إصلاح يبدأ من نفس الإنسان فإذا صلح الإنسان صلحت كل الأشياء)[٢٠١].

فالإنسان هو المحور الذى تتأسس عليه عملية الإصلاح الفردى والاجتماعى, وفى بنائه الداخلى يمكن الاختيار بين مسارين: المسار الإلهى الملكوتى, أو الشيطانى الجهنمى, (فالإنسان مخلوق عجيب ليس من

٢٠٠ . د. سمير سليمان, الإمام الخميني والمشروع الحضاري الإسلامي, دار الوسيلة, ط1, 1993م, بيروت .

٢٠١ . الإمام الخميني, الكلمات القصار, مصدر سابق, ص231.

موجود مثله فى كل موجودات ومخلوقات البارى تعالى, اعجوبة يمكن أن تكون موجوداً إلهياً ملكوتياً, أو موجوداً جهنمياً شيطانياً)[٢٠٢].

وهذا البناء يتم من خلال المنظومة الثقافية والفكرية التى تصوغ هويته وشخصيته وفى الواقع المعاش فى إيران قبل الثورة كانت هذه المنظومة تتعرض لحرب لا هوادة فيها, ولعملية تزوير كبرى تخضع فيها القيم والمبادئ الإسلامية إما لمحاولة طمس كاملة واستبدال بقيم ومبادئ أخرى كما فى سياسات التغريب المعتمدة عند السلطة سواء فى العهد القاجارى قبل عام (1925م) أو فى عهد أسرة بهلوى بين (1925ـ1978م) والذى أمعن فى سياسة التغريب فى الجامعات والإعلام والقوانين وغيرها (كما سبق وذكرنا فى الفصل السابق), أو كانت تتعرض لعلمية انحراف واجتزاء, كما فى النهج التقليدى المتبع عند الحوزة العلمية.

هاتين المؤسستان, السلطة بجامعاتها وإعلامها وبما تملك عادة من أساليب وإمكانيات هائلة وقدرة على التعبئة, والحوزة بما يفترض أن تمثل من مرجعية فكرية وثقافية إسلامية, وضابطة إيقاع للمجتمع الإسلامى الملتزم, كانتا تشكوان من خلل, الأولى تشن حرباً لا هوادة فيها على المنظومة الثقافية والفكرية الإسلامية, وتقوم بعملية طمس للهوية وإعادة صياغة بديلة للإنسان المسلم فى إيران.

والأُخرى تهمل أو تتكاسل عن القيام بدورها الكامل وترزخ تحت ثقل القيود التقليدية التى تحجّم دورها وتقلص مساحة نفوذها وتساهم فى انكفائها أو اجتزاء فى الدور المفترض أن تقوم فيه وتساهم من خلاله بصياغة الإنسان المسلم والمجتمع المسلم صياغة صحيحة وفق المعايير والأسس الإسلامية, وتوقعها فى غياهب التحجر العقائدى والفكرى والثقافى, إلى القول فيهم:(فبالأمس قال المزيفون المبرقعون بالقدسية أن الكفاح ضد الشاه حرام, وهم أنفسهم الذى أهدروا بسكوتهم عنه وتحجرهم شرف الإسلام وقصموا ظهر الرسول الكريم 7 ولم يكن عنوان الولاية لديهم إلا العيش والتكسب), (وإن المرارة التى تجرعها أبوكم

٢٠٢ . نفس المصدر.

الشيخ من أمثال هؤلاء المتحجرين كانت إضعاف مضاعفة من الصعاب والضغوط التى جاءت من غيرهم)[٢٠٣].

لكى يصل الإمام فى حركته الناهضة إلى ما يصبو إليه كان لزاماً عليه أن يرسم برنامجاً متكاملاً يتضمن مواجهة ما يجرى من محاولات طمس للهوية والشخصية, واستبدال للفكر والثقافة الأصيلة وإعادة رسم وتوجيه دور الحوزة والعلماء فى مضمار بناء الشخصية الإسلامية, ونشر الثقافة والفكر دون تشويه أو مواربة, (فلن تستطيع الثورة الوصول إلى أهدافها إذا لم تتمكن من تغيير الإنسان بطريقة لا رجعة فيها من حيث سلوكه وأفكاره وكلماته)[٢٠٤].

ولعل قراءة المسار العلمى والخطاب الاستنهاضى للإمام يوصلنا إلى تلمس ملامح هذا البرنامج غير المعلن, ولكنه الممارس والمجسد فى أقواله وأعماله وسيرته.

مسألة الاحتياط بالدماء

من المعروف أن الاستنهاض يقوم على مرتكز أساسى هو مسألة الاحتياط بالدماء, ولعل هذه المسألة التى تندرج ضمن بحث فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر, ومستوى التصدى فى الموضوعات المندرجة تحت هذا العنوان لهذه الفريضة أوجد اختلافاً كبيراً بين الفقهاء والذى غالباً إما يأخذون جانب الاحتياط الشديد عند التطرق لهذه المسائل , أو يهملون التحدث عنها فى كتبهم الفقهية وفتاواهم.

بينما يرى الإمام أن الاحتياط يجب أن يكون فى موارد القصاص (عند الأحكام القضائية ونحوها) ولا يرى موجباً للاحتياط فى مسائل الدفاع عن الإسلام وبيضته, بما يمكن أن يطلق عليه الجانب السياسى والاجتماعى فى الإسلام, أى فى السعى إلى تحكيم الإسلام وإقامة الحكومة الإسلامية.

ومن المشهور أن الإمام كان يذكر أن عدد من استشهدوا فى قيام الثورة الإسلامية هو أقل بكثير من عدد الضحايا الذين قضوا فى ممارسات التعسف والجور والظلم والسجون عند الأسرة البهلوية, وكأنه يريد أن يشير أن النتيجة المرجوة من الثورة والمواجهة مع الظالم والتى تحتاج إلى بذل الدماء هى حتى فى

---

٢٠٣ . الإمام الخميني, الرسالة التاريخية الموجهة إلى العلماء والحوزات , مصدر سابق, ص12.

٢٠٤ . مالك بن نبي, بين الرشاد والتيه, ترجمة عمر مسقاوي, دار الفكر . دمشق . ط1 . 1978م, ص46.

حسابات الخسارة والربح المادى والدنيوى ذات كلفة أقل من الاستسلام والخنوع للسلطة الظالمة التى يدفع المجتمع تحت أسواطها وعذاباتها أثمان باهظة دون أمل بالتغيير.

ومن هنا نجده متميزاً فى دعوته الفقهية للاستنهاض والتصدى والمواجهة, فيما يرى بعض العلماء أن فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر, لا يوجبان إلا على (ضمان الأثر وحرز الأمن من الضرر), بينما كان الإمام يرى أن ثقافة الاستشهاد وبذل الدم والمواجهة وتحدى السلطة هى الكفيلة بإحقاق الحق وإزهاق الباطل, وهو يستند فى مرتكزه الفقهى إلى استنطاق الآيات القرآنية وتفعيل الأحاديث الشريفة التى تقول : "إن الله عز وجل ليبغض المؤمن الضعيف الذى لا دين له... قيل: وما المؤمن الضعيف الذى لا دين له يا رسول الله ؟ قال : الذى لا ينهى عن المنكر".

وقد أشار إلى بعض المرتكزات والمقدمات الفقهية فى كتاب الفتاوى الشرعية تحرير الوسيلة ففى مقدمات باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يقول ما نصه: (وهما أسمى الفرائض وأشرفهما وبهما تقام الفرائض, ووجوبهما من ضروريات الدين ومنكره مع الالتفات بلازمه والالتزام به من الكافرين)[٢٠٥].

ويورد بعدها الأحاديث والآيات القرآنية على ذلک مثل : ﴿ ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف والنهى عن المنكر وأولئک هم المفلحون﴾ و ﴿كنتم خير أُمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف تنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾.

وفى الحديث عن الرضا ا(عليه السلام) كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : (إذا أمتى تواكلت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله).

وعن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : (لا تزال أمتى بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر, فإذا لم يفعلوا ذلک نزعت منهم البركات, وسلط بعضهم على بعض, ولم يكن لهم ناصر فى الأرض ولا فى السماء).

وينقل حديثاً عن الإمام الصادق (عليه السلام) جاء فيه: (يكون فى آخر الزمان قوم يتبع فيهم قوم مراؤون فيتقرؤون ويتنسكون، حدثاء سفهاء لا يوجبون أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر إلا إذا آمنوا الضرر

---

٢٠٥ . الإمام الخميني, تحرير الوسيلة, دار الأنوار, المجلد الأول, بيروت1982م, ص462.

يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير), ثم قال: (ولو أضرت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها كما رفضوا أسمى الفرائض وأشرفها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فريضة عظيمة بها تقام الفرائض, هناك يتم غضب الله عز وجل عليهم فيعمهم بعقابه, فيهلك الأبرار فى دار الأشرار والصغار فى دار الكبار)[٢٠٦].

ومع أنه يتفق مع من عاصره من العلماء والمراجع فى الخطوط العامة لشرائط الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومستوياته, إلا أنه يظهر تميز اهتمامه بهذه الفريضة واعتناءه فى تفصيل بحثها والحث عليها وتهيئة مستلزمات أدائها لدى المكلف.

ومن الملاحظ بأن لديه آراء تختلف عنهم فى تشخيص الموضوعات, كما لديه غزارة فى المسائل المذكورة فى هذا الباب فى رسالته الفقهية, فقد أفرد لمسائل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى كتابه تحرير الوسيلة (23) صفحة متضمنة (138) مسألة وحكم وفتوى بالإضافة إلى إفراد باب الدفاع عن قسميه, عن النفس وما تملك أو عن بيضة الإسلام وحوزته فى ثمانى صفحات تضمنت (51) فتوى ومسألة وحكم.

بينما لم تجد فى "منهاج الصالحين" للإمام الخوئى سوى باباً واحداً يحتوى على ثمانية صفحات تتضمن فقط ستة مسائل وفتاوى بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر, وما تبقى هو ذكر امور هى من المعروف, ولا وجود لباب الدفاع أصلاً.

أما فى كتاب "وسيلة النجاة" للإمام الكلبايكانى فلم أجد باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر, ولا وجود لباب الدفاع فى كلا المجلدين من الكتاب٢٠٧.

ومما يلفت النظر أن بعض المسائل المذكور فى فتاواه تدل بشكل واضح على مستوى الاهتمام بتفعيل وتحريك الفريضة, متجاوزاً العديد من الآراء لمن سبقوه وطارحاً موضوعات جديدة فى هذا الباب, ونذكر هنا بعض الأمثلة كشواهد فى باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

---

٢٠٦ الإمام الخميني, تحرير الوسيلة, مصدر سابق, ص463.

٢٠٧ . الإمام الخوئي, والإمام الكلبايكاني هما من مراجع الشيعة المشهورين وقد عاصروا الإمام في النجف وقم.

مسألة 9: لو كان فى سكوت علماء الدين ورؤساء المذاهب (أعلى الله كلمتهم) تقوية للظالم وتأييداً له والعياذ بالله, يحرم عليهم السكوت, ويجب عليهم الإظهار ولو لم يكن مؤثراً.[٢٠٨]

مسألة 19: الأعذار التى تشبث بها بعض المنتسبين بالعلم والدين للتصدى لا تسمع منهم ولو كانت وجيهة عند الأنظار السطحية الغافلة[٢٠٩]

وفى باب الدفاع نقرأ له الأحكام التالية التى لم نجد مثيلها فى أى من الكتب الأخرى:

مسألة 1: لو غشى بلاد المسلمين أو ثغورها عدو يخشى منه على بيضة الإسلام ومجتمعهم يجب عليهم الدفاع عنها بأية وسيلة ممكنة من بذل الأموال والأنفس.

مسألة 7: لو خيف على إحدى الدول الإسلامية من هجمة الأجانب يجب على جميع الدول الإسلامية الدفاع عنها بأى وسيلة ممكنة كما يجب على سائر المسلمين.

مسألة 6: لو كانت الروابط السياسية بين الدول الإسلامية والأجانب موجبة لاستيلائهم على بلادهم أو نفوسهم أو أموالهم أو موجبة لأسرهم السياسى يحرم على رؤساء الدول تلك الروابط والمناسبات, وبطلت عقودهم ويجب على المسلمين إرشادهم وإلزامهم بتركها ولو بالمقاومات السلبية[٢١٠].

ثقافة التكليف

وفى هذه المسائل وغيرها يمكن أن نقرأ بالإضافة إلى ما ذكرنا من جرأة وشجاعة فى تجاوز الاحتياط بالدماء فى مواضع المواجهة والمقاومة للظالم والطغيان, نجد أيضاً ملامح ثقافة التكليف (التى تقوم على ضرورة قيام الإنسان المسلم بتكليفه الشرعى والدينى بشكل كامل وأن لا يتقاعس أو يهمل هذا التكليف إذا تقاعس غيره, أو أهمل هذا التكليف لسبب أو لآخر. وهو بقيامه بهذا التكليف غير معنى بالنتائج وباحتساب

---

٢٠٨ . الإمام الخميني , تحرير الوسيلة, مصدر سابق, ص475473.

٢٠٩ نفس المصدر.

٢١٠ . المصدر نفسه, ص486485.

أو ضمان النجاح فى المهمة, إذا علمنا بالتكليف الذى عينه الله سبحانه وتعالى لنا فلن نخالف حينها من احتمال تعرضنا للهزيمة)[٢١١].

لأن الأمر يجب أن ينطلق من الإيمان بالمعادلة القرآنية التى تضع معادلة النصر كهبة إلهية وفعل الهى وليس كنتيجة لفعل بشر:

﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾٢١٢﴿ وما النصر إلا من الله العزيز الحكيم﴾٢١٣.

وهى هبة إلهية لمن يوفر شروط محددة ﴿وإن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ ٢١٤.

﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم﴾٢١٥.

ثقافة الشهادة

وفى مسائل الدفاع والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر , نقرأ أيضاً ثقافة الشهادة كما نقرأها فى عموم خطاب الإمام الخمينى, عندما يستحضر عاشوراء وتضحيات الإمام الحسين (عليه السلام) فى كربلاء فى سبيل الدين والشريعة, وبهدف استنهاض الضمائر الميتة وإيجاد نوع من الصدمة عند المجتمع الذى تمادى فى استسلامه وخنوعه للظالمين.

ولعل فى هذه الحادثة التى جرت بين الإمام وبين أحد أكابر مراجع الشيعة فى النجف فى العراق (آية الله العظمى السيد محسن الحكيم) ما يجسد ذلك:

فبعد أن يلتقى به الإمام ويشرح طبيعة الوضع فى إيران ويتمنى عليه السفر إلى هناك للوقوف على حقيقة الأحداث الجارية فيه يجيب المرجع الكبير ويبدأ بالحوار التالى:

المرجع الكبير: وما الذى يمكننا عمله وما تأثير ذلك؟

---

٢١١ . الإمام الخميني, الكلمات القصار , مصدر سابق, ص59.

٢١٢ سورة الانفال ألآية 17.

٢١٣ . سورة محمد الآية 7.

٢١٤ . سورة آل عمران, الآية 126.

٢١٥ . سورة آل عمران الآية 160.

الإمام الخمينى: له اثر قطعاً فنحن بهذه الانتفاضة (15 خرداد) أوقفنا المخططات الخطيرة للحكومة, فكيف لا أثر له إذا اتحد العلماء فسوف يكون ذلک مؤثراً قطعاً.

المرجع الكبير: إذا كان فيه احتمال عقلانى, لا بأس بالتحرک, ولكن بطريقة عقلانية.

الإمام الخمينى : له أثر قطعاً ... وما نعنيه هو التحرک العقلائى إذ ليس للتحرک غير العقلانى مجال فى حديثنا أصلاً, فالقصد هو تحرک العلماء وعقلاء الأمة.

المرجع الكبير: إن الناس لا يطيعوننا لو تحركنا بعنف... الناس يكذبون, إنهم عبيد الشهوات ولا يفتحون صدورهم للدين.

الإمام الخمينى: كيف تقول أن الناس يكذبون؟ ... هؤلاء الناس ضحوا بأرواحهم وتحملوا الاضطهاد والمعاناة... وقد سجنوا وأبعدوا عن ديارهم وسُلبت أموالهم, فكيف يكون مثل هؤلاء الناس الذين واجهوا الرصاص بصدورهم يكذبون؟

المرجع الكبير: نعم لا يطيعون, إنهم طلاب شهوات وأمور مادية دنيوية.

الإمام الخمينى: لقد قلت لكم, إن الناس فى (15 خرداد) عبروا عن شجاعتهم وصدقهم.

المرجع الكبير: إذا أعلنا الثورة وسال الدم من أنف أحد سيحدث لغط كبير وسيتكلم الناس عنا بشكل غير لائق.

الإمام الخمينى: نحن عندما انتفضنا لم نشاهد إلا المزيد من الاحترام والتقدير... ولكن من تخاذل أو تراجع سمع كلاماً نابياً وأصبح محل عدم احترام الناس.

وبعد أن ينقل الإمام بعض مشاهداته وأحاديثه فى تركيا, يتواصل الحوار:

المرجع الكبير: وما الذى يمكننا عمله يجب أن نضع فى الاحتمال الأثر الذى يترتب على التضحيات والقتل.

الإمام الخمينى: يجب التضحية .. دع التاريخ يسجل بأن الدين عندما تعرض للخطر والهجوم, فإن مجموعة من العلماء نهضوا أو قيل قسم منهم٢١٦.

---

٢١٦ . وثيقة منشورة في موسوعة الكوثر , مجموعة خطابات الإمام ووثائقه, مصدر سابق,المجلد الأول ص199.

بهذه الثقافة الثورية المستندة إلى مرتكزات فقهية صريحة فى الكتاب والسنة, دخل الإمام الحوزة ليربى مجموعة كبيرة من الطلبة والعلماء, وليشكل من خلالهم "طاقم الكوادر" الذى ينتشر فى أنحاء البلاد عبر المساجد والقرى والدساكر يحمل الثقافة والفكر الأصيل, والذى يبعث فى صفوف الناس روح الاستنهاض والثورة والرفض والتمرد على الظلم والطغيان, كما يربى الشباب فى المجتمع على تحمل المسؤولية والاندفاع إلى المواجهة والاستعداد للتضحية بالنفس عملاً بثقافة التكليف, والتماهى مع الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه.

وعلى خط آخر نرى العلامة مطهرى والدكتور بهشتى وغيرهم من تلاميذ الإمام, يقتحمون بهذه الثقافة ذاتها صروح الجامعة فى طهران ومدن إيران ليخترقوا ثقافة التغريب التى كانت تعمل السلطة لزرعها فى الجامعات, وهكذا تتكامل عملية زرع الكوادر ونشرها فى صفوف الأمة لتوصل وتنشر أفكار الإمام وأنفاسه الثورية بأمانة وصدق.

ونتيجة لهذا العمل الدؤوب فى الجامعات والحوزات تبلورت تجمعات طلابية فى الجامعات داخل إيران وخارجها حملت فكر الإمام وسارت فى حركته ونهجه, وساهمت فى نشر هذا الفكر الثورى وتحريك الطلاب فى الجامعة باتجاهها, وأبرز هذه التجمعات المعروفة (أنجمن إسلامى) أى الاتحادات الإسلامية للطلبة الجامعيين فى خارج إيران.

ونقرأ فى رسالة للإمام أرسلها إلى هذا الاتحاد (رداً على تقرير قدموه له عن نشاطاتهم) وصايا عشرة يمكن أن نذكر عناوينها واختصاراً لفقراتها العشرة, وهى بمثابة برنامج متكامل للعلم, يرسم فيه الأهداف بوضوح, كما يتضمن بلورة لأساليب العمل ووسائله وضوابطه وكيفية التركيز على نبذ الاختلافات, وتوحيد الكلمة وفضح الأعداء واستمالة أصحاب الأطروحات الأخرى... الخ, مخاطبهم: عليكم أنتم أيها الشباب الواعى وسائر فئات الأمة:

1ـ أن تضعوا الإسلام وأحكامه العادلة فى مقدمة أهدافكم, وإن تحقيق ذلک لا يتم دون الوصول إلى الدولة الإسلامية العادلة.

2ـ أن تدعوا كل الذين يخالفون الإسلام عقيدةً وعملاً من المدارس الأخرى إلى مدرسة الإسلام التقدمية العادلة.

3ـ ضرورة صرف قسم من أوقاتكم لمعرفة أصول الإسلام الأساسية وتجربة الأنبياء الاجتماعية وطرق تفكيرهم فى مجالات العقيدة والسلوک الفردى والاجتماعى.

4ـ ضرورة تجنب استخدام المزاجية فى تفسير آيات القرآن وتأويل أحكامه ومداركه, والالتزام بأحكام الإسلام بجميع أبعاده, والحذر من الذين لا يلتزمون بالإسلام بكل أبعاده دون استثناء.

5ـ يجب أن تكون كل برامج وبيانات الفروع المستندة على الإسلام والدولة الإسلامية دون إبهام, والهدف هو الإطاحة بالطاغوت وكل تشعباته والتى هى فى بلدنا النظام البهلوى العميل, واجتناب قول بعض الأحزاب بأن الهدف هو تطبيق دستور(1906), وتبيان أن أساس الجرائم والمظالم والخيانات هو الشاه نفسه.

6ـ التذكير دائماً بأعمال الشاه اللانسانية فى كل المجالات خصوصاً فى تغيير التاريخ الإسلامى, ويجب فضح هذا العنصر الخائن وعدم نسيان ذكر جرائمه فى أى وقت, كما يجب إحياء ذكرى مجزرتى (15 خرداد 63) و(29محرم, 9 كانون الأول 1978) كشاهد على عسف الشاه واضطهاده, وحتى تعرف الأجيال القادمة جرائم الملوک السفاحين.

7ـ أنا أقدّر ما هو موجود فى دستور الاتحاد من ارتباط كل الطلبة فى الخارج مع بعضهم البعض (فى أمريكا وكندا والهند والفليبين وسائر المناطق الأخرى) وتعاونهم فى نشر حقائق الإسلام التحريرية,

والانسجام من أجل تحقيق العدالة وقطع أيدى الظالمين واللصوص الجبناء, ويجب توعية شبابنا البسطاء والسذج, فمن أحيا نفساً فكأنما أحيا الناس جميعاً.

8ـ يجب نشر نشاطاتكم ونشراتكم فى إيران خاصة والحوزة العلمية فى قم والجامعات الواعية لكى تتوحد الجهود والنشاطات ويبادروا جميعاً إلى النهضة, ويجب اتخاذ قواعد فى الداخل بأى صورة ممكنة لتقويم الروح المعنوية وإضعاف المعنويات واهتزاز كيانه.

9ـ يجب دعوة اللجان والاتحادات إلى مراقبة سلوك أعضائها, لكى لا يندس الأفراد والمنحرفين داخل اللجان والاتحادات, وعليكم اليقظة والحذر فى مراقبة العدو فلا غفلة ولا تساهل فى مراقبته.

10ـ تجنبوا الاختلافات فهى تسرى كالسرطان المدمر لتشمل النشاطات وتنسى الهدف الأساسى, اطردوا الأشخاص الذين يثيرون الاختلافات أو الذين يتمسكون بها لأنهم إما أن يكونوا مدسوسين وإما ذوى الأغراض السيئة.

إذا لم تلتحق فئات بالاتحاد لعذر ما, وكان لديها نشاطات إسلامية انسانية فعليكم أن لا تحاربوها وتجنبوا الاختلاف معها, بل يجب السعى إلى تكوين نوع من الارتباط معها ودافعوا عن بعضكم البعض لأن الهدف واحد وهو الإسلام, كما يجب نسيان الأهواء الشخصية وحب البروز.

فى الختام يؤكد الإمام : إنى أمد يدى إلى كل الجهات التى تعمل من أجل الإسلام وأطلب من الجميع التعاون فى ما بينهم لبسط العدالة الإسلامية التى هى الطريق الوحيدة لسعادة الأمة.

هذه كانت ملامح رؤية الإمام وتصوره وبرنامجه لبناء الإنسان الذى يشكل المحور الأساسى فى بناء المجتمع وتشكلاته السياسية.

يبقى أن نذكر أن الإمام حاول جاهداً فى برنامجه العملى ردم الهوة التى كانت موجودة بين طرفى المنظومة الثقافية والفكرية الحوزة والجامعة, فعمل دوماً للتركيز على توحيدهما وإيجاد حالة من التفاهم

والانسجام بينهما, لذا نراه يخاطب طلاب الحوزة والجامعة قائلاً : (لتسع الجامعة فى تحكيم ارتباطها بالفيضية ولتسعَ الفيضية كذلك لتقوية علاقاتها بالجامعة)[٢١٧].

ويضيف مؤكداً على دورهما فى بناء الإنسان: (فعلى الحوزات العلمية أن تخرج علماء ملتزمين بمعنى الكلمة, فالحوزات يجب أن تكون مراكز لبناء الإنسان, كذا الجامعة فهى الأخرى يجب أن تكون مراكزاً لبناء الإنسان)[٢١٨].

ثانياً: القيادة والسلطة:

تنطلق رؤية الإمام للقيادة والسلطة من كون أن (شقاء الشعوب وسعادتها مرهونان بأمور عديدة ومن أهما كفاءة الجهاز الحاكم)[٢١٩].

فموقع السلطة والقيادة وتأثيرها حاسم فى واقع المجتمعات والشعوب, ولعل هذه الرؤية لا تحتاج إلى الكثير من التنظير الفكرى والفلسفى, بل هى مورد اتفاق لدى العديد من المفكرين والفلاسفة, حيث إن أى شعب مهما كانت الطريقة التى تتناوله بها , لن يكون مطلقاً إلا كما ستجعله طبيعة حكومته يكون٢٢٠.

وانطلاقاً من كون (أن صلاح الجهاز الحاكم والذين يتولون المناصب الحساسة يؤدى إلى صلاح العامة)[٢٢١], فلقد شرع الإمام فى برنامجه الاستنهاضى فى توجيه الأنظار إلى الخلل الكامن فى راس الهرم السياسى أى فى السلطة المتمثلة آنذاك فى الشاه وحكومته ونظامه, فاعتبر أن (الملك نفسه هو مصدر كل الفساد)[٢٢٢], وأنه يتحمل مسؤولية تردى الأوضاع فى إيران على كل الصعد, بدءً من التبعية الثقافية وصولاً إلى انهيار الأوضاع الاقتصادية والمعيشية لدى شريحة واسعة من الناس, مروراً بالظلم والاستبداد الذى تمارسه السلطة مع المعارضة وأصحاب الرأى الآخر, وهو فى نهضته بدأ خطاً تصاعدياً فى مواجهة السلطة

---

٢١٧ . الإمام الخميني, الكلمات القصار مصدر سابق, ص373.

٢١٨ . الإمام الخميني, الكوثر, مصدر سابق, ج3,ص319.

٢١٩ . جاك جان شوفالييه, تاريخ الفكر السياسي, ترجمة محمد عرب صاصيلا, مجد للدراسات والنشر . ط1, بيروت1985. ص475 نقلاً عن كتاب الاعترافات لجان جاك روسو.

٢٢١ . الإمام الخميني, الكوثر , مصدر سابق, ج3, ص330.

٢٢٢ . الإمام الخميني, الكوثر , مصدر سابق, ج3, ص323.

والشاه بدأت فى (1963) فى المدرسة الفيضية فى خطابه الأول التحريضى والاعتراضى على الخطوات التى اتخذها الشاه وحكومته فى عدد من الموضوعات العامة, وانتهاءً فى آخر خطاب له بعد انتصار الثورة وبعد وصوله أيضاً إلى طهران, حتى إنه بقى يذكر سيئات وجرائم الشاه بحق المجتمع والإسلام حتى بعد انتصار الثورة أيضاً, مستخدماً أسلوب تعداد وذكر الانتهاكات التى قام بها الشاه أو حكومته للدستور الإيرانى ولمبادئ الإسلام ولأحكام القرآن ولعلم العقلاء ولحقوق الإنسان حتى وصل به الأمر إلى أن يعتبره "مصدر فاسد" كما ذكرنا.

أمام هذا الواقع (لا فائدة ما لم يتم إصلاح الأمر من الأساس وبدأ من النقطة الأولى أى الإطاحة بهذه العائلة (المالكة) التى يجب أن ترحل)[٢٢٣].

إذن يجب البدء من هنا أى من القمة ووضع سلطة البلد بيد شخص يسعى لخدمته وليس لتحقيق مطامحه الشخصية مثلما فعل هؤلاء (الملك وحكومته)[٢٢٤].

لذا كان برنامج النهضة عند الإمام مرتكزاً فى عناوينه السياسية إلى مبادئ ثلاثة هى :

1ـ إسقاط النظام البهلوى.

2ـ زوال الحكم الملكى .

3ـ إقامة الجمهورية الإسلامية.

وقد جاء هذا البرنامج واضحاً فى خطبه بحضور مجموعة من الطلبة الجامعيين, أثناء وجوده فى "نوفل لوشاتو ـ باريس" , بتاريخ 1978/11/13م, فهو يقول : (لقد اقترحنا ثلاثة أصول ونريد أن نرى الآن اياً منها يرفضه الذوْن من المحتمل أن يعارضوها:

٢٢٣ . الإمام الخميني, الكوثر, مصدر سابق, ج3، ص336334.

٢٢٤ . نفس المصدر.

الأصل الأول: هو أن الشعب الإيرانى كما تجلى فى شعاراته خلال المظاهرات فى هذه المدة لا يريد سلطة العائلة البهلوية...

والأصل الثانى: إنهاء الحكم الملكى لأنه غير سليم فهو رجعى وبالٍ وإلى الأبد, وهو خاوٍ من الأساس...

والأصل الثالث: هو أننا نطالب بإقامة الحكومة الإسلامية, جمهورية إسلامية نرجع فيها إلى آراء الشعب, كما أننا نحدد شروطها أيضاً وهى مذكورة فى الإسلام وسنقول للشعب: يجب أن تنتخبوا الشخص الذى تتوفر فيه هذه الشروط)[٢٢٥].

ويضيف (أما بالنسبة لدستورنا فهو الذى حدده لنا الله تبارک وتعالى, وينص ـ حتى الدستور الموجود الآن وتتمته ـ على نفى الصيغة القانونية عن أى تشريع يتعارض مع أحكام الشرع الإسلامى, وهذا ما نطالب به نحن, ولكنه لم يتحقق تنفيذه عملياً, ونحن نريد تطبيقه عملياً, نريد إقامة دولة يحكمها الصالحون)[٢٢٦].

وهو يحدد مواصفات الحاكم المطلوب الذى يشكل النقيض للحاكم الموجود, فى قوله : (إن الحاكم فى المجتمع الإسلامى هو ذاک الذى يقوم بما قام به الإمام على (عليه السلام) مع أخيه عقيل لكى يمنعه من طلب أى تفضيل مادى على الآخرين, ومن طلب معونة إضافية من بيت المال.

والذى يسترد العقد الذى تأخذه ابنته كعارية مضمونة من بيت المال ويقول لها لو لم تكن عارية مضمونة لكنتِ أول هاشمية تقطع يدها فى الإسلام, فنحن نريد حاكماً كهذا, حاكم يطبق القانون لا أهواءه ولا ميوله ويرى الجميع متساوين أمام القانون وذوى حقوق أساسية ووظائف متساوية فلا يفرق ولا يميز بين أحد واحد)[٢٢٧].

بالإضافة إلى هذا البرنامج الصريح والمعلن كان الإمام قد وضع نظرياً وعبر الاستدلالات الفقهية نظرية ولاية الفقيه, المتضمنة وجوب السعى لإقامة الحكومة الإسلامية وشرائطها ومواصفات الولى الفقيه الذى له ولاية مستمدة من ولاية الرسول7 والأئمة فى غيبتهم, وبالتالى كان الإمام يمتلک رؤية متكاملة لشكل

---

٢٢٥ . الإمام الخميني, الكوثر, مصدر سابق, ج3, ص41 53.

٢٢٦ نفس المصدر, ص339.

٢٢٧ . الإمام الخميني, الحكومة الإسلامي مصدر سابق, ص164.

الحكم الإسلامى المطلوب أن يكون بديلاً عن سلطة الشاه وحكمه الملكى٢٢٨, وقد سعى لترويج هذه الرؤية ٢٢٩التى شاعت وصارت ثقافة جماهيرية يتحدث بها الناس فضلاً عن المتخصصين والعلماء.

ولكن لم يكن وجود رؤية وبرنامج للقيادة والسلطة عند الإمام كافياً لضمان نجاح النهضة التى انطلق بها رغم أهميتها, فلقد استطاع الإمام أن يعطى المثل الأعلى والقدوة الصالحة بنفسه من خلال مسلك عرفانى وأخلاقى قل نظيره, وهذا المثل الأعلى الذى يجسده الإمام هو المثل الأعلى الإسلامى والدينى المؤدى إلى بعث صورة (الأنبياء والأئمة) عند أبناء المجتمع الإسلامى فى إيران, وهو النقيض للمثل الأعلى الذى كان المستغربون قد حاولوا استيراده وتجسيده فى آتاتورک فى تركيا, والشاه رضا خان ثم محمد رضا فى إيران, وباعتبار (أن أساس شقاء المسلمين هو الحكومات المرتبطة بالشرق والغرب)[٢٣٠].

لقد وقفت الأمة على مفترق طريقين, الأول: يؤدى إلى المثل الأعلى الأجنبى وهو ما عملت عليه السلطة وجسدته بقيادتها, والثانى: يؤدى إلى المثل الأعلى المنسجم مع عقيدة الأمة وتاريخها وهويتها, ورواده هم العلماء وفى مقدمتهم كان الإمام الخمينى فاختارته الأمة مثلاً أعلى لها.

ولعل ما شد وجذب الملايين إليه هو تلک الصفات وذلک المسلک الربانى الذى امتاز به الإمام الخمينى وشكل (كاريزم) مؤثراً جداً فى صفوف الإيرانيين بل والمسلمين عموماً, استطاع من خلاله أن يستحضر عقول وأفئدة ووجدان الجماهير صورة القائد الأول فى صدر الإسلام (النبى وأصحابه وأئمة أهل البيت), كما كان لصلابة موقفه وعدم قبوله بالمساومة وأنصاف الحلول أثراً إضافياً فى نجاح النهضة وتعلق الناس بها والذين ملوا من أنصاف الحلول وأحبطوا من التجارب الفاشلة سابقا.

هذه الصلابة التى تجلت فى رفض الحلول التى طرحت عليه قبل الثورة بأسابيع ومنها تشكيل هيئة من الشخصيات السياسية والدينية بإسم (المجلس الوطنى) ويفوض إليه كل صلاحيات الملک الدستورية, ويقوم

---

٢٢٨ . راجع الإمام الخميني, كتاب الحكومة الإسلامية, مجموعة محاضرات حول ولاية الفقيه, مصدر سابق.

٢٢٩ . تم الترويج لها بالإضافة لطلابه في الحوزة والخطباء , عبر طباعة كتاب الحكومة الإسلامية, وتوزيعه بشكل واسع جداً.

٢٣٠ . الإمام الخميني, الوصية الخالدة السياسية الإلهية, مصدر سابق . ص49.

بحل مجلس الاعيان والنواب ويعزل رئيس مجلس الوزراء (بختيار) ثم يرشح الإمام الخمينى جديداً للحكم طبق هذا الترتيب ٢٣١.

وغيرها من المبادرات التى كانت تقوم على التسوية, وأنصاف الحلول وكانت تواجه بجواب واحد من الإمام : الرفض وطلب مواصلة النهضة والمظاهرات وعدم الخوف, والتحلى بالصبر والصمود والإيمان بالنصر القريب مؤكداً (الأمة ابتداءً بعلماء الدين ومروراً بالجامعيين وانتهاء بفئات العمال والفلاحين من الرجال والنساء قد وعت واستيقظت إلى الأبد, وأن هؤلاء المعذبين الذين مرت عليهم أشكال المصائب والمآسى من المستحيل أن يصالحوا هذه العائلة أو يوافقوا على استمرار هذه السلطة الباغية الباطلة ولو ليوم واحد, إن الأمة الإيرانية أمة مسلمة, وتريد الإسلام الذى يحقق الاستقلال والحرية)[٢٣٢].

وأمتلك الإمام بهذه الصفات قدرة فائقة على تثوير الشارع وتحريك الجماهير من كل الطبقات والشرائح, وهو ما كانت تخشاه دوماً سلطة الشاه وتتراجع دباباتها وأسلحتها أمام زحفه المقدس.

ثالثا: الأمة وأساليب استنهاضها:

تعتبر الأمة فى المفهوم الإسلامى ظاهرة قصدية, بمعنى وجود قصد ما يجمع جماعة من الناس, سواء كان مقصداً اختيارياً أم اضطرارياً, والقصد الذى يوحد الجماعة من الناس ويحولهم إلى "امة" هو المثل الأعلى الذى تتبناه الجماعة من الناس.

ويرى الشهيد السيد محمد باقر الصدر أن المثل الأعلى يرتبط بوجهة نظر عامة إلى الحياة والكون وهو فى الأمة الإسلامية "المثل الأعلى المطلق" أى الله تعالى, فمن خلاله تتحدد وجهة سيرهم وينظم بينهم شبكة من العلاقات الاجتماعية التنظيمية٢٣٣.

وبناء على هذا الفهم للأمة لم يكن الإمام الخمينى ليرى فى الأمة خللاً بنيوياً لناحية غياب أحد عناصر أو شروط تكونها بقدر ما كان يرى أن المشكلة يمكن فى ديناميتها وحركتها باتجاه القصد والهدف, حيث

---

٢٣١ . انظر الجزء الثالث من مجموعة الكوثر, مصدر سابق, ص48.

٢٣٢ . الإمام الخميني, دروس في الجهاد والرفض, مصدر سابق, ص332.

٢٣٣ محمد عبد الجبار, مجلة المنطلق والأمة في المفهوم الإسلامي , العدد 59, بيروت 1986.

إن هذه الأمة الدينامية والحركة متعثرة أو أحياناً متوقفة ومصابة بالشلل فى كثير من المواضع لاسيما فى المواضع التى تشكل محطات الضخ فى جسم الأمة, أو القلب النابض فيها, (فعلى أثر هذا الضعف والتكامل الذى عمّ الأوساط الإسلامية بدأت أقدام المستعمرين تترسخ فى بلاد الإسلام أكثر فأكثر)[٢٣٤].

عناوين برنامج استنهاض الأمة

ومن هنا كان برنامج الإمام فى الاستنهاض شاملاً لكل شرائع الأمة بدءاً بمحطات الضخ والقلب فى الحوزات والجامعات وصولاً إلى كل الفئات الشعبية الأخرى التى كان يرى فيها الخير وينشد من خلالها الأمل بالنهوض.

ولعلنا نرى فى دعوته والنهوض محاكاة لتجربة الأنبياء مع أقوامهم, تلك التجربة التى تبدأ فى تثوير الداخل الإنسانى والفطرة المنسجمة مع الدين: ﴿فطرت الله التى فطر الناس عليها, لا تبديل لخلق الله, ذلك الدين القيم﴾٢٣٥, والمرتكزة إلى مُسلَّمة مفادها أن منشأ جميع الهزائم والانتصارات هو الإنسان نفسه, وأن الإيمان أساس جميع الأمور ومحركها و(إذا قوى الجانب الإيمانى عند الناس, هانت كل الأمور)٢٣٦.

أ ـ نشر الإيمان الصحيح

لقد بدأ العمل لبث الإيمان فى نفوس الناس استناداً إلى المفهوم القرآنى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾, وأوكل هذه المهمة إلى الخطباء والعلماء وطلبة الحوزة, باعتبارهم أصحاب الاختصاص بهذا الشأن فهو يخاطبهم قائلا: ﴿عليكم أن تجدّوا فى الإرشاد والتعليم لأجل نشر الإسلام وشرح مفاهيمه﴾٢٣٧.

ويضيف موجهاً الطلبة فى الحوزة ﴿ضعوا أيديكم بأيدى الشعب المناضل والباحث عن الحرية وعندها يكون أمر إقامة الحكومة الإسلامية أمراً مؤكداً﴾.

---

٢٣٤ . الإمام الخميني, دروس في الجهاد والرفض . مصدر سابق . ص133.

٢٣٥ . سورة الروم, الآية 30.

٢٣٦ . الإمام الخميني, الكلمات القصار, مصدر سابق, ص133.

٢٣٧ . الإمام الخميني, الحكومة الإسلامية, مصدر سابق, ص169. 173.

ولا بد من الإشارة هنا إلى وجود مناخات مهيئة فى المجتمع الإيرانى ساعدت فى تنفيذ هذه المهمة, حيث إن المسلمين يشكلون (98٪) من سكان إيران ومعظمهم من المذهب الشيعى "الإثنى عشرى", بالإضافة إلى قربهم التاريخى من العلماء والتدين.

وباعتبار أن المساجد والحسينيات تشكل نقاط الالتقاء اليومية بين الناس والعلماء والخطباء, فهى ساهمت بفعالية على نشر الإيمان الصحيح المنفتح على الحياة, والمحرك للداخل الإنسانى, والذى يدفع الإنسان لتحمل المسؤولية فى عملية التغيير والمشاركة فيها بفاعلية تصل إلى حدود الاستشهاد والتضحية بالنفس فى سبيل المبدأ والعقيدة ورفض الظلم والطغيان, ومعروف ما للمسجد من قدرة على التعبئة الايمانية وفق قوله تعالى ﴿ وإن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾٢٣٨, وهى حسب قول الإمام (قلاع الإسلام الحصينة)٢٣٩.

ب ـ استيعاب الأمة بكل شرائحها

تجاوز الإمام الواقع التاريخى الذى أفرز تقاسعاً عند العلماء عن العمل السياسى الصريح الهادف إلى إقامة الحكومة الإسلامية, والمستند إلى تجارب حدثت مع الأئمة عليهم السلام وعمدتها ما جرى مع الإمام على (عليه السلام) والإمامين الحسن والحسين"عليهما السلام" ومع زيد بن على ويحيى بن زيد ومفادها أن الناس التى تقاعست عن نصرة الأئمة وأبنائهم لن تتوانى عن خذلان الفقهاء وهم دون الأئمة وأبنائهم فى الإيمان والمرتبة الاجتماعية.

واستطاع أن يكسر هذا المفهوم (عدم نصرة الأمة لأئمتها) والذى اصطلح عليه الفقهاء بعقدة "أهل الكوفة" الذى طلبوا إلى الإمام الحسين (عليه السلام) الثورة وبايعوه بكتبهم ورسائلهم ثم بعد أن ثار ونهض فخذلوه ولم ينصروه (سنة60هـ).

لقد أحسن الإمام الظن بالأمة وبإمكاناتها الجبارة وباستعدادها للنهوض والتضحية, لأنه رأى بأم عينيه ردود الفعل الغاضبة والمتمردة على أجهزة القمع فى السلطة عندما هاجمت المدرسة الفيضية عام (1962)

---

٢٣٨ . سورة الجن, آية 18.

٢٣٩ . الإمام الخميني, مختارات من أقواله, مصدر سابق, ج4, ص112.

وشاهد الناس تنزل إلى الشوارع فى ثورة مصدق فى نفس العام, وهى تضحى بنفسها فى سبيل الحرية والاستقلال.

لذا عمل على كسر الإطار التقليدى الذى وضعت فيه حوزة قم, وتجاوز الحدود الصارمة التى رسمت لها كى تظل مركزاً علمياً محافظاً فأحالها إلى خلة ثورية ملتهبة , ونجح فى تفجير سخط الجماهير وغضبها على الشاه ونظامه[٢٤٠], لأن القناعة التى ينطلق منها هى أن الأمة قادرة على مواجهة الأقوياء فى رفض ما يخالف عقيدتها, لذا (يجب أن نقنع أنفسنا أنه إذا أراد شعب أن يحيا بدون تبعات فإن باستطاعته ذلک ولا يستطيع الأقوياء فى العالم أن يفرضوا على شعب ما يخالف عقيدته)[٢٤١].

لقد أدى انضباط العلاقة بين الأمة والإمام وعمقها وتجذرها إلى تلاشى المسافة بين قرارات الإمامة, كما فى الأمور كلها, وبين التزام الناس وحركتهم بها أو حركاتها فيهم إلى درجة التوحد٢٤٢.

ونجد فى خطاب الإمام للأمة, خطاباً شمولياً لا يستثنى أحداً من أفرادها أو فئاتها فهو يريد زجّ الجميع فى الصراع, ويؤكد على حضور الأمة الدائم فى ميادين المواجهة قائلاً: (على جميع أبناء الشعب أن يلعبوا دورهم المطلوب فى جميع القضايا السياسية) وهو يحرص على رفع معنويات الأمة ليعمق الثقة فى نفسها وفى قدرتها على المواجهة فيقول (إننى أدّعى وبجرأة أن الشعب الإيرانى وجماهيره المليونية فى عصرنا الحاضر أفضل من شعب الحجاز فى عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأفضل من شعب الكوفة والعراق فى عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) والحسين بن على(عليه السلام)). [٢٤٣]

وهو يلفت الأمة إلى الجانب المعنوى فى حياتها, محاولاً إيجاد حالة من التكامل فى اهتماماتها بين الجوانب المادية والمعنوية (فبالإضافة إلى أننا نحب لكم حياة مادية رغيدة فإننا أيضاً نحب لكم أن تعيشوا حياة معنوية طيبة.. نحن سوف نعمّر لكم الدنيا والآخرة وهذا الأمر من الأمور التى لابد أن تتم)[٢٤٤].

---

٢٤٠ . فهمي هويدي , إيران من الداخل , مصدر سابق, ص21.

٢٤١ . الإمام الخميني, الوصية الخالدة, مصدر سابق, ص111.

٢٤٢ . د. سلي سليمان, الإمام الخميني والمشروع الجغرافي الإسلامي, مصدر سابق, ص75.

٢٤٣ نفس المصدر.

٢٤٤ . الإمام الخميني, توجيهات إلى المسلمين, مصدر سابق, ص7

لقد رعى الإمام الأمة بكل شرائحها رعاية أبوية, جعلتها تتوحد فى ميادين الصراع والمواجهة, من التجمعات العلمائية بعناوينها المعروفة "روحانيون مبارز" و "روحانيت مبارز" واللذين شكلا ولحد الآن التيارين السياسين الأساسين فى المجتمع الإيرانى, إلى المجتمعات الاتحادية للطلاب فى الجامعة داخل إيران وخارجها, إلى النقابات والعمال والمزارعين الذين يعتبرهم أساس المجتمع الإنسانى (وإن إدارة شؤون الدول بيد هؤلاء. عمال المصانع والمزارعين فهم أساس المجتمع)[٢٤٥].

كما يشدد على دور الطبقات المحرومة فى صنع الثورة قائلاً (تأملوا الأحجار المنحوتة على قبور الشهداء فى 15خرداد, أى أناس كانوا؟ كلهم من هذه الطبقات المحرومة, طبقات الفلاحين والعمال والتجار المسلمين والكسبة ورجال الدين الملتزمين)[٢٤٦].

وهو أعطى المرأة دوراً أساسياً (فمن أحضان المرأة ينطلق الرجال نحو السمو)[٢٤٧], فهى بنظرة تتجاوز بدورها (تطوراً عجيباً فى مجتمع المرأة يفوق ما حصل عند الرجال)[٢٤٨].

ومن المعروف فى إيران أن للمرأة حضوراً فاعلاً ومؤثراً فى الأسرة والمجتمع فهى تشارك فى الحياة السياسية بفاعلية منذ أيام الثورة وهذا ما يؤكده الإمام بقوله: (إن ما تحقق لنا من انتصار يعود إلى النساء قبل الرجال)٢٤٩.

ج ـ الاستعداد وتنظيم الصفوف

انطلاقاً من كون الإسلام يحث على التنظيم والاستقرار ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾٢٥٠ و "أوصيكما ... بتقوى الله ونظم أمركم", فقد أولى الإمام عناية خاصة لشؤون تنظيم صفوف الأمة, لكنه ابتعد فى هذه المهمة عن استعارة الأطر المعروفة فى الحياة الحزبية الحديثة, بل استعار واستحضر تجربة الرسول7

---

٢٤٥ . الإمام الخميني, مختارات من أقوال الإمام, مصدر سابق, ج1,ص93،59.

٢٤٦ . نفس المصدر.

٢٤٧ . الإمام الخميني, الكلمات القصار, مصدر سابق, ص281،279.

٢٤٨ . نفس المصدر.

٢٤٩ نفس المصدر.

٢٥٠ سورة الأنفال, الآية 60.

فى التشكيل الذى اعتمده فى المدينة المنورة إبان قيام الدولة الإسلامية, وهو ما أطلق عليه الإمام فى اللغة الفارسية "بسيج مستضعفين" أى التعبئة العامة للمستضعفين.

وينخرط فيها كل أفراد الأمة بمجموعات شبه قتالية متدربة على فنون الدفاع, وتتوزع على نسقين أو مقياسين أساسيين : التوزيع الجغرافى حيث تتشكل نسبة إلى عملها أو مهنتها.

وهو يشدد على (أن الأمة التى تسير فى خط الإسلام المحمدى الأصيل المخالف للاستكبار..يجب أن يكون جميع أفرادها تعبئة, وأن أكثر التشكيلات ضرورة هى تعبئة الجامعيين وطلبة الحوزة العلمية)[٢٥١].

ومهمة التعبئة الأساسية كما حددها الإمام فى الدفاع عن الثورة إما الدفاع فهو عام يشمل الرجل والمرأة الكبير والصغير, العجوز والشاب, وهى جزء من خطة وضعها الإمام بعد الثورة لمواجهة أى احتمال لتعرض إيران لغزو ثقافى خارجى يستدعى أن تهب الأمة كلها للدفاع والمواجهة من خلال قوله: (إننا نريد الاستعداد فيجب إعداد العشرين مليون أى جميع الشباب وجميع الذين يتوقع منهم العمل وان يضعوا فى حساباتهم ذلك اليوم الذى يهجم فيه العدو)[٢٥٢].

ولعل الامام أراد من ذلك أن يحمى الثورة ويصونها بعد انتصارها وخوفاً من تعرضها للخطر الخارجى, كما وقع بالفعل فى حرب الثمانى سنوات عندما دخل العراق إلى الأراضى الإيرانية وكان دور التعبئة فى الحرب أساسياً وفاعلاً.

وليست التعبئة هى التشكيل الوحيد وان كانت الأبرز والاوسع, فقد دعا الإمام أيضاً إلى تشكيل (سباه باسداران انقلاب اسلامى) أى حرس الثورة الإسلامية وهى تشكيل عسكرى خالص متفرغ لحماية وحراسة الثورة الإسلامية وانجازاتها على المستوى الداخلى, ويشارك بنفس الوقت فى الدفاع عنها إلى جانب الجيش فى مواجهة الأخطار الخارجية.

وقد اشتهرت عند الإمام كلمة أطلقها أثناء الحرب مع العراق تمنى فيها أن يكون فرداً من أفراد الحرس, الذين يعتبرهم مفخرة الثورة الإسلامية, وقد تطورت هذه الصيغ والتشكيلات الرسمية فى الدولة والمجتمع

---

٢٥١ .. الإمام الخميني , على طريق المقاومة, إصدار حزب الله, 1995 طب1, بيروت ص37.17

٢٥٢ . نفس المصدر.

الإيرانى, ويمكن أن تقارب هذه التجربة ما شهدته بعض البلدان الاشتراكية من تشكيلات الحرس الوطنى أو الشعبى.

وبالاضافة إلى ذلک نجد أن الإمام لم يشجع على قيام الأحزاب بأشكالها المعاصرة ولكنه رعى وأيد بعض التجمعات العلمائية التى شكلت عملياً تيارات سياسية داخل المجتمع الإيرانى وهو حالياً ما يطلق عليه الليبراليون (روحانيون مبارز) والمحافظون (روحانيت مبارز) وهما الفريقان الأساسيان فى إيران اليوم.

وهذا لا يعنى انه منع قيام التجمعات الحزبية أو النقابية أو الطلابية (ليس كل حزب سيّئ ولا كل حزب جيد فالميزان هو الغاية التى يهدف إليها ذلک الحزب), بل حاول دوماً أن يدفعها للانخراط فى التشكيلات الواسعة للأمة, وأن يحذرها من كثرة الاختلافات وانتشار الروح الحزبية الضيقة التى تهدد وحدة المجتمع لذا نجده يدعوها إلى الوحدة والتنظيم قائلاً: (اتحدوا وتنظموا ورصوا صفوفكم واسعوا لتكوين الإنسان المضحى المتوافق معكم فكرياً.. ولا تغفلوا عن فضح مؤامرات نظام الجبابرة فى إيران, الذى هو معادٍ للإسلام والمسلمين)٢٥٣.

وهو يؤمن بحرية الفكر لدى الأحزاب والتجمعات غير الإسلامية, بشروط عدم تآمرها على النظام الإسلامى فيقول: (أما فى المجتمع الذى نفكر اقامته فسيكون الماركسيون أحراراً فى شرح مطالبهم, لاننا نعتقد بأن الإسلام قادر على تلبية حاجات الناس ومتطلباتهم الحياتية وأن ايماننا ومعتقدنا قادران على مواجهة ايديولوجيتهم .. وإننا لا نسلبهم حريتهم فكل واحد حر فى الإعلان عن معتقده ولكنه ليس حراً فى التآمر)٢٥٤.

ويضيف (إن التكتلات والأحزاب التى تشكلها الجماهير مسموح بها, ما لم تعرض مصالح الجماهير للخطر, والإسلام عيّن حداً لكل هذه الأمور).

---

٢٥٣ . الإمام الخميني, دروس في الجهاد والرفض, مصدر سابق, ص157.

٢٥٤ . المصدر نفسه.

د ـ استحضار الأبعاد السياسية والاجتماعية للعبادات

العبادة فى الإسلام لا تنفصل عن السياسة, كما السياسة لا يمكن أن تكون فى معزل عن العبادة, هذا هو منطق عدم الفصل بين السياسة والدين الذى يقع فى صلب ثقافة الإمام وفكره.

لذا نراه وهو يقود حركة الاستنهاض للأمة يدعو لاستثمار المواسم العبادية من أجل بث الوعى السياسى بين المسلمين, وإيقاظهم على الأخطار المحدقة بهم, ولفت نظرهم إلى حجم الطاقات والامكانات الهائلة الكامنة فى الأمة, والتى لا بد من تفجيرها نتاجاً ثورياً لتغيير الواقع السيّئ, وإذا كانت المواسم العبادية فى الإسلام متنوعة المواقيت والأماكن والطقوس, فإن هذا الأمر يساعد على توسيع دائرة الاستفادة التعبوية السياسية والاجتماعية فى هذا الموسم.

فصلاة الجماعة اليومية فى المسجد تصهر أبناء الحى الواحد فى تشكل اجتماعى يعيش هماً مشتركاً، ويربطهم بإمام المسجد الذى يستمعون إليه بشكل يومى, وهو يستطيع إذا ما أحسن أسلوبه أن يحول المسجد إلى خلية ثورية دائمة النبض بقضايا الأمة (فالمسجد محل ينبغى أن تدار فيه الأمور, والمساجد هى التى حققت النصر لشعبنا, فكل حركة فى التاريخ الإسلامى منذ صدر الإسلام انطلقت من المسجد"٢٥٥.

ولعل أبرز مصاديق التعبئة السياسية الالتزام بهتاف التكبير وإعلان العداء لأمريكا وإسرائيل بعد كل صلاة فى مساجد إيران.

وصلاة الجمعة ذات الأبعاد السياسية والاجتماعية والتى تجمع مئات الألوف أو الملايين أحياناً وبشكل دورى اسبوعياً, هى محطة أخرى للتعبئة السياسية, حيث يقوم الخطيب بإلقاء خطبتى الجمعة والتى تخصص احداهما للمسألة الاجتماعية السياسية حكماً, فتتوحد من خلالها الرؤى السياسية للمجتمع ويضبط ايقاع حركة القضايا العامة فيه من خلال ذلك.

٢٥٥ . الإمام الخميني, الفصل بين الدين والسياسة, مصدر سابق, ص22.

ولقد شهدت إيران أثناء الثورة وبعدها العشرات من المسيرات والمظاهرات المليونية التى كانت تخرج بعد صلاة الجمعة بهتاف واحد, وشعار موحد, لتطالب بقضية أو لتعلن موقفاً تمت التعبئة السياسية له أثناء خطبة الجمعة.

والأمر يتكرر فى صلاة العيدين(الفطر والاضحى) ليبدأ كل عيد مع التعبئة السياسية والاجتماعية بأبرز الموضوعات المطروحة فى الواقع الاجتماعى والسياسى عند الأمة.

أما فى العبادة السنوية (الحج) المميزة فى مواقيتها وأماكنها وطقوسها, فهى تمثل أعلى وأوسع الأبعاد السياسية للعبادة, والأبعاد السياسية لبقية العبادات مغفولاً عنها أو مهجورة, ولكن الإمام الخمينى فى حركته الاستنهاضية التى قادها وحرك أوراها أعاد لهذه العبادات معانيها السياسية والاجتماعية, حيث يجتمع ملايين المسلمين من كل الأقطار الإسلامية فى مكان واحد سنوياً.

(فهناك جوانب سياسية كثيرة تطرح فى الاجتماعات (جماعات وجمعات) وخصوصاً فى الاجتماع العظيم للحج, والتى من جملتها الإطلاع على المشاكل الأساسية والسياسية للإسلام والمسلمين, فيجب على جميع الاخوة والاخوات الإسلاميين أن ينتبهوا إلى إحدى مهمات فلسفة الحج وهو إيجاد التفاهم وتحكيم الأخوّة بين المسلمين)٢٥٦, إلى العديد من المعانى التى تتضمنها هذه الفريضة التى لا يتسع المجال لذكرها.

وهو يذكر ذلك أيضاً فى رسالة جوابية للملك خالد, بعد أن اعترض المسؤولون فى السعودية على الإيرانيين لإقحامهم المسائل السياسية فى موسم الحج.

(إن الأقطار الإسلامية بسكانها المليار وثروتها الطائلة وفى طليعتها بحار النفط التى تفيض الحياة فى شرايين الدول الكبرى قد حباها الله بأحكام القرآن وتعاليم النبى الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) العبادية والسياسية التى تحث المسلمين على الاعتصام بحبل الله ونبذ الفرقة والتمزق, وجعل الحرمين الشريفين ملاذاً لها, فقد كان هذان الحرمان مركزين للعبادة والسياسة الإسلامية, فيهما ترسم خطط الفتح وتحدد

٢٥٦ . الإمام الخميني, الحج في كلام الإمام , ترجمة حسن عز الدين, دار الوسيلة , بيروت 1992, ط1, ص53.

مناهج السياسة فى عهد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) فهل هتاف هؤلاء ضد أمريكا وإسرائيل عدوتى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) جريمة)٢٥٧

وكما فى الجمعة والجماعة والحج يدعو الإمام أيضاً للاستفادة من موسم عاشوراء سنوياً حيث يحتفل المسلمون والشيعة منهم خصوصاً بذكرى فاجعة كربلاء, فينطلق الخطباء ليقوموا بدور التعبئة الفكرية والسياسية, وتبيان أبعاد وأسباب ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) ومظلوميته, واستشهاده فى سبيل إصلاح الأمة وتقويم الانحراف.

وهو يؤكد (إن أهم وأول فصول المواجهة الدامية فى نهضتنا كان فى عاشوراء الخامس عشر من خرداد (مجزرة المدرسة الفيضية)"[٢٥٨].

ونتيجة هذه الاستفادة من روحية عاشوراء ومفهوم الشهادة فيها يعتبر الإمام الخمينى (إن الثورة الثورة الإسلامية فى إيران هى ومضة من عاشوراء والثورة الإلهية التى اندلعت فيها)[٢٥٩].

ويضيف داعياً لإحياء هذه المناسبة: (احيوا ذكرى شهر محرم فكل ما لدنيا من محرم هذا)[٢٦٠].

وهكذا يؤكد الإمام على بقية المناسبات التى يعتبرها من أيام الله وهو لا يقتصر بدعوته على المناسبات التاريخية المعروفة, بل يضيف إليها كل المناسبات المستجدة والتى كان للشعب الإيرانى فيها أحداث أساسية (نصر أو شهادة) مثل يوم (15) خرداد فيقول: (إنى أعلن يوم الخامس عشر من خرداد حداداً عاماً إلى الأبد)[٢٦١], وكذلك يوم السابع عشر من شهريور فهو يوم من أيام الله"[٢٦٢].

وغيرهما الكثير من المناسبات التى تحولت إلى محطات للاجتماع الشعبى من خلالها يتم حث الناس بكل فئاتهم وطبقاتهم على النهضة والمشاركة فى الثورة والتمرد على الظلم.

---

٢٥٧ المصدر نفسه, ص72.

٢٥٨ . الإمام الخميني, الكلمات القصار, مصدر سابق . ص72.

٢٥٩ . الإمام الخميني, الكلمات القصار , مصدر سابق, ص72.71.

٢٦٠ . نفس المصدر.

٢٦١ . المصدر نفسه, ص128. 129.

٢٦٢ نفس المصدر.

هـ خطاب الاستنهاض

لقد كان خطاب الاستنهاض هو الوسيلة الأساسية فى تواصل الإمام كقائد مع الأمة, وكان ينتشر هذا الخطاب عبر التسجيل والكاسيت عندما كان الإمام فى المنفى ويوزع فى إيران بشكل واسع, أو ينقل مقاطع منه فى بعض الاذاعات والصحف ووسائل الاعلام الأخرى.

ومن هنا يرتدى خطاب الاستنهاض باعتباره آلة الاتصال بين القائد وشعبه خلال الثورة أهمية خاصة تستدعى التوقف عنده وأبرز أهم ملامحه وخصوصياته, ولعل مراجعة سريعة لهذا الخطاب الذى مرّت مقاطع منه فى فصول البحث يؤكد تميزه بما يلى:

1ـ البساطة والوضوح فلم يستخدم فى خطبه المصطلحات المعقدة أو الفلسفية أو البلاغية التى يمكن أن تشكل عائقاً فى وصوله إلى الناس وفهمه من قبلهم, فقد كان خطابه واضحاً وصرحياً ليس فيه موارية أو لعب على الألفاظ أو ضبابية فى الموقف.

2ـ الثبات والصلابة: على مستوى المراحل الزمنية منذ أول خطاب منشور له سنة (1962م) مروراً بالثورة عام (1978م) وحتى رحيله عام (1989م), وعلى مستوى تعدد الموضوعات والمناسبات والظروف, يلحظ عدم التغير والتبدل فى ثوريته وحسمه للموقف وعدائه للاستكبار لاسيما أمريكا وإسرائيل, ورفض المساومة وأصناف الحلول مع الظالمين.

3ـ الانسجام بين الخطاب والممارسة لم يكن طرح الشعار عنده فى الخطاب طرحاً استهلاكياً بعيداً عن التجسيد العملى, بل كان دوماً متكاملاً معه, وحريصاً على التطابق بين ما يطرحه نظرياً وما يجسده عملياً , فعندما كان يطرح الإسلام بكل أبعاده , كان يمارسه فى كل تصرفاته حتى استطاع أن يشكل قدوة للناس.

4ـ استنفار التاريخ استحضر فى خطابه دوماً سيرة الرسول7 والأئمة "عليهم السلام" والوقائع الإسلامية فى صدر الإسلام لتشكل حافزاً مهماً فى عملية الاستنهاض للشعب المؤمن بالرسول والأئمة, وليواسى الناس بهم كما يراعى الترابط التاريخى وعدم القطع مع العصر الذهبى فى الإسلام, فاعتبر النهضة امتداداً لدولة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام على (عليه السلام) وثورة الحسين (عليه السلام).

5ـ الثقة بالنفس وحتمية الانتصار: يمتلئ خطاب الإمام بروح الثقة بالنفس ويحاول دوماً تعميم هذه الثقة فيوحى دوماً فى خطابه بحتمية الانتصار ويستشهد على ذلک بالمعادلات الإلهية فى القرآن, وهو بذلک يشبع ويزرع الممكن رافضاً اللاممكن أو المستحيل الذى حاول الأعداء والجهلة زرعه فى عقول الأمة, فهو ليس قلق ولا يقلق الآخرين.

6ـ استحضار المفهوم الغيبى: استناداً إلى مفهوم الإمداد الغيبى الإلهى للمؤمنين ونظراً لما فى ذلک من أثر فى حركتهم ونهضتهم وقيامهم لله, نجد حضوراً لهذا المفهوم دوماً فى خطابات الإمام.

7ـ مخاطبة العقل والعاطفة معاً: يكاد لا يخلو خطاب من خطاباته من اللغة المشتركة التى تخاطب العقل طوراً وتخاطب العاطفة طوراً آخر, ولعل فى ذلک وقع كبير على البسطاء من الناس والمثقفين منهم.

8ـ الشمولية: لم تغب قضايا العالم الإسلامى عن خطابه حتى فى أكثر الظروف تأزماً أن يستحضر هموم وقضايا المسلمين فى فلسطين ولبنان وأفغانستان والعراق وكشمير وغيرها, ولعل ذلک يستند إلى نظرته للمسلمين كأمة واحدة , لذا دعوته إلى الوحدة بين المسلمين لم يخلو منها خطاب له.

9ـ الربط بين الطرح السياسى والخلفية الفكرية: يتميز خطابه دوماً بطرح الواقع السياسى والمعاناة المعاشة وما يجب أن يتم السعى إليه لتغيير هذا الواقع, انطلاقاً من الواجب الإلهى والتكليف بالعمل والسعى لإحقاق الحق وإقامة العدالة ورفض الظلم والتمرد عليه, مستشهداً بالمفاهيم الإسلامية وسيرة الرسول 7 والأئمة"عليهم السلام" وأحكام الإسلام الفقهية والسياسية.

10ـ الجمع بين الدنيا والآخرة: فى خطابه التبليغى لا تغيب السياسة وفى خطابه السياسى لا يغيب التبليغ, فهو ينطلق دوماً من كون الإسلام مشروع لإعمار الدنيا وضمان حسن العاقبة فى الآخرة, وهما متكاملان غير منفصلين فى المشروع الحياتى ولا فى الهدف, ولا فى الأسلوب والممارسة.

وـ التكافل والاكتفاء الذاتى

سؤال كبير يطرح نفسه فى حركة الاستنهاض التى قادها الإمام فى إيران... فى ظل الأوضاع المعيشية والاجتماعية التى كانت سائدة آنذاک, وعلى مدى السنين التى قضاها الإمام بين الحوزة والسجن والمنفى

كيف استطاع أن يمول حركته ويجيب عن الكثير من الاستحقاقات التى كانت تواجه هذه الحركة فى الجانب المالى والمعيشى, لاسيما عند الطبقة المحرومة والفقيرة التى تشكل دائماً عماد الثورة وعنصرها الأساسى.

والاجابة تكمن فى أن نظام الحقوق الشرعية (الخمس) التى هى بالإضافة لكونها عبادة وفريضة واجبة الأداء فى مواضع محددة (حسب الشريعة), فهى فى الوقت نفسه تمثل نشاطاً اجتماعياً مالياً أيضاً, وهكذا تتجسد فى هذه العبادات الأبعاد الاجتماعية فى الحياة عند الفرد والمجتمع المسلم.

وفريضة الخمس "تدفع على الغنائم والمعادن والكنز وما اخرج من البحر بالغوص والأرض التى اشتراها الذمى من المسلم والمال المختلط بالحرام وما يفضل عن مؤنة سنته (من الأرباح) سواءً فى الصناعات أو الزراعات أو التجارات والإيجارات وحيازة المباحات ... الخ"٢٦٣.

وشكل هذا المورد نسبة (20٪) مما ذكر أعلاه المصدر الأساسى لتمويل مصاريف الحوزة العلمية عند الشيعة حيث تدفع هذه الأموال إلى المراجع فى الطائفة الشيعية ويقومون بتوزيعها بدورهم على مؤسسات الحوزة والأعمال الخيرية الأخرى.

ولقد شكل البازار أو السوق , أحد مراكز القوة الاقتصادية فى إيران تاريخياً , وقد كان له دائماً فى دوره الفاعل فى الحياة السياسية من خلال مؤسساته المستقلة التى لم تفلح السلطة فى احتوائها أو تذويبها"٢٦٤, وهو كان يضم حتى منتصف السبعينات (250) ألف صاحب محل وهؤلاء يمارسون نفوذهم أيضاً على مساعديهم ومستخدميهم فى المحال وعلى الآلاف من الباعة المتجولين وتجار التجزئة والسماسرة إلى غير ذلك من شبكة العلاقات التى يشكلون محورها الأساسى.

والأهم هو العلاقة الوثيقة بين البازار(البازار) والمؤسسة الدينية وهى علاقة ثابتة تاريخياً حيث ظل البازار الممول الأساسى للمؤسسة الدينية من خلال ما يدفعه من الزكاة والخمس إلى الفقهاء والمراجع لينفقوها فى مصاريفهم الشرعية المقررة.

---

٢٦٣ . الإمام الخوئي, منهاج الصالحين, الجزء الأول , كتاب الخمس , ص355347 , ط3 . بيروت 1975.

٢٦٤ . فهمي هويدي, إيران من الداخل, مصدر سابق, ص313.

ومن أبرز هذه المصاريف الشرعية كان عند الإمام دعم النهضة ومساعدة الطبقات المحرومة واسر شهداء الثورة والمحتاجين عموماً مما جعل جواً من التكافل الاجتماعى والقدرة على الاستمرار فى المظاهرات والمسيرات المليونية التى كانت تخرج إلى الشوارع منددة بسياسة الشاه ومطالبة برحيله.

وتنظيم ذلک كان يتم فى مراحل الثورة عبر ما يسمى لجان الأحياء المرتبطة كل منها بإمام المسجد فى الحى, واللجان هذه هى بمثابة القنوات التنظيمية التى كان يشرف عليها العلماء فى عملها وهى تقوم بالمهام التنفيذية المطلوبة فى إيصال المساعدات اللازمة إلى هذه العائلات بعد استلامها من اللجان المركزية والقيادية للثورة.

وقد تمأسس هذا النوع من العمل بعد الثورة فى ثلاث مؤسسات رئيسية هى :

مؤسسة (شهيد الثورة الإسلامية) وهى ترعى عوائل الشهداء.

مؤسسة (إمداد الإمام الخمينى) وهى ترعى العوائل الفقيرة والتى لا معيل لها, أو من يكون معيلها غير قادر على العمل لمرض أو نحوه.

مؤسسة (بنياد مستضعفان) وهى ترعى العوائل المستضعفة أى التى لا يكفيها انتاجها الشهرى .

مؤسسة (جرحى الثورة الإسلامية) وهى ترعى الجرحى والمعوقين وتتابع استشفائهم وتأهيلهم النفسى والمهنى.

لكل من هذه المؤسسات هيكليات منظمة وإمكانات ضخمة ومشاريع انتاجية تدر عليها الأرباح التى تصرف فى المصاريف المقررة لكل منها. ٢٦٥

الخاتمة

نتائج حركية التجديد والاستنهاض فى الإسلام السياسى

منذ سقوط الدولة العثمانية كآخر حلقة فى الخلافة الإسلامية المتداعية واقتسام تركتها العربية والإسلامية بين دول الحلفاء, ومع تكرس نظام القطبين الاشتراكى والرأسمالى وامتداد نفوذهما إلى كل الأنظمة فى العالم

٢٦٥ . معلومات شخصية عبر الإطلاع مباشرة على هذه المؤسسات في أكثر من زيارة لها.

الثالث, والتى عبّر عنها كيسنجر بقوله: هناك نقاط ودوائر مغلقة وهناك دوائر مفتوحة يحصل فيه الصراع بين القطبين.

بقى السؤال الذى يطرح نفسه ويتردد فى المحافل الفكرية والسياسية : لماذا تقدم الغرب وتأخر المسلمون؟

هل انتهى عهد الإسلام السياسى وفعالياته مع تبلور مفهوم الدولة الحديثة عند الغرب وإسقاطه على أنظمة المنظمة, وهل يتناقض هذا الشكل السياسى للحكم مع الإسلام؟

وهل هناك إمكانية لعودة الإسلام السياسى فى ظل الثنائية السياسية العالمية القائمة والمسيطرة على الأنظمة فى عالمنا العربى والإسلامى؟

إلى العديد من الأسئلة التى أفرزها الواقع المتردى الذى عاشه المسلون بعيداً عن المضمون الفكرى والسياسى لهويتهم التى لم يعد لهم منها سوى العنوان.

وإذا كان مفكرو عصر النهضة حاولوا الإجابة عن السؤال المطروح بمحاولة العودة إلى الأصالة عند بعضهم, أو التوفيق والتوليف مع الفكر الغربى ونهضته عند البعض الآخر, أو عبر الاستعارة الكاملة للفكر الغربى وقراءة الفاتحة على الإسلام السياسى عند البعض الثالث, فإنهم جميعاً لم يخرجوا من حدود السجال الفكرى والسياسى فى الحد الأقصى فلم تصل تجارب البعض النهضوية عملياً إلى أبعد من تشكيل حزبى أو تيار دون الوصول إلى حالة استنهاضية تصنع ثورة وتقيم دولة.

وجاءت حركة التجديد والاستنهاض عند الإمام الخمينى لتحسم الجدل, ولتجيب عن السؤال المطروح, ولتستكمل حلقات تاريخية فى الدائرة الإسلامية الشيعية وتضىء بأشعتها على الدائرة الإسلامية الأوسع والأشمل على امتداد العالم العربى والإسلامى, ولتعيد عملياً حضور الإسلام السياسى ارتكازاً إلى يقين نظرى وإيمانى بالإسلام كنظام كامل للحياة, لم يفقد فعاليته أو قدرته على قيادة المجتمعات وبناء حياتها الدنيوية فى حالة من العزة والكرامة, تتكامل فى خط تصاعدى روحى وإيمانى مع الحياة الأخروية.

ومن يقرأ الإمام فى حركيته التجديدية الفكرية والاستنهاضية العملانية يلحظ تكاملاً وتنسيقاً وترابطاً بين الأصالة والتحديث, بين استحضار التاريخ الإسلامى ومواكبة التطور العلمى والتكنولوجى والإجابة عن

متطلبات الحياة, بين المحسوس والمعقول, بين الإيمان بالغيب والعرفان وبين الواقع المعاش بكل تفاصيله وتعقيداته واستحقاقاته المادية.

وهذه الحركية تسير على هدى الإسلام الأصيل الذى ينطلق ويتمحور حول الإنسان ويبدأ فى تحريک الداخل فيه عقيدة وإيماناً ومسلكاً اجتماعياً يصنع الحياة ويمارس السياسة كجزء لا يتجزأ من العبادة لله والإعداد للآخرة, وتنطلق فى المجتمع لترسى فى أواصر التكامل والترابط والتمحور حول القضية الواحدة, والانطلاق بصفوف متراصة خلف إمامة القائد الذى أعطى مثلاً أعلى بمسلكه المتميز والفريد, فاستحضر فى أذهانهم إمامة المعصومين والأنبياء وجسدها فى القرن العشرين, والذى غابت فيه مثل هذه التجليات منذ زمن.

وبهذه القراءة من حيث التوقيت الصعب, ومن حيث المكان المهم, ومن حيث المضمون, نجح الإمام بجهد دؤوب ومتواصل لمدة خمسين عاماً فى دفع وإعادة الإسلام السياسى إلى سدة الحكم وعبر خطاب شمولى تخطى بتأثيره وتحريكه الاستنهاضى دائرة الوطن, عبر تصدير الثورة ليتردد صدى الإسلام السياسى فى أنحاء عديدة من العالم العربى والإسلامى, فى فلسطين, (حماس والجهاد الإسلامى) وفى لبنان (حزب الله والمقاومة الإسلامية) وفى الجزائر, وفى العراق, واندنوسيا, والفلبين, حتى أصبح للإسلام السياسى حضوراً فاعلاً يحسب له الحساب فى المعادلات الدولية والإقليمية والمحلية.

إن الإمام الخمينى لم يبرهن باطلاقه للإسلام المحمدى الأصيل من قطعه على قدرته القيادية الفائقة وأهلية الشعب الإيرانى المسلم على الثورة فحسب, بل برهن أيضاً على قدرة الإسلام الاستنهاضية وفعاليته فى إحياء الممانعة والمقاومة للظلم والجور عند الشعوب والأمم التى تؤمن به, وعلى صلاحية الأمة وأهليتها للتمرد والنهضة إذ وجد المشروع المؤهل والقائد البارع.

كما أنه كشف عن ضخامة الجناية التى يمارسها كل من ساهم فى حجز هذا الإسلام السياسى فى القمم وجمّد طاقاته الهائلة, والبنّاءة وأبعدها عن مجال البناء الحضارى لهذه الأمة وشعوبها, كما انه عرّى الكثير

من الأنظمة التى حملت الإسلام زوراً فساهمت بتشويه صورته فى أذهان الكثيرين ممن لم يتعرفوا على الإسلام الأصيل بعد.

لقد ولد الإسلام ولادة سياسية جديدة على إيقاع هذه النهضة الخمينية فى مطلع الثمانينات, واستطاع لحد الآن أن يواجه الكثير من محاولات ضربه وإقصائه, وصمد عبر النظام الجمهورى المرتبط بقيادة الولى الفقيه, والمختلف عن غيره من الأنظمة المعاصرة فى هذا المجال , ولكنه المتماهى معها فى إشراك الشعب فى اختيار الرئيس والهيئة التشريعية, وأثبت انه قادر أيضاً على إقامة علاقات دولية, كان الرهان على عدم قدرته على نسجها واستثمارها, وهاهو اليوم يشكل بالإضافة إلى كونه قوة إقليمية فاعلة فى محيطها ومنطقتها, النموذج الذى يحتم الكثير من المسلمون فى العالم بتقليده ومماهاته واستعارة تجربته الفريدة.

ويبقى السؤال بعد تسعة عشر عاماً على قيام هذا النظام (كمحصلة لحركية النهضة والتجديد) حول نقاط النجاح والإخفاق فى هذه التجربة بكل تفاصيلها, وهذا يحتاج إلى بحث آخر نأمل أن تتسنى له الظروف والامكانات للدخول فيه.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

ـ أ ـ

❊ القرآن الكريم

❊ الإمام على بن أبى طالب نهج البلاغة, تحقيق د. صبحى الصالح, دار الكتاب اللبنانى , بيروت , ط 1, 1967م.

❊ ابن منظور, لسان العرب, طبعة دار المعارف, مصر, (بدون سنة).

❊ إقبال, د. محمد, تجديد التفكير الدينى فى الإسلام, ترجمة عباس محمود, القاهرة, مطبعة لجنة التأليف والترجمة 1968م.

❊ الأنصارى حميد, حديث الانطلاق (نظرة فى الحياة العلمية والسياسية للإمام الخمينى), الوحدة الثقافية, بيروت ط 1, 1995م.

❊ الآصفى, محمد مهدى, الروضة البهية فى شرح اللمعة الدمشقية, النجف , ط 1 , 1398هـ

❊ الأفغانى, جمال الدين, العروة الوثقى, دار الكتاب العربى, بيروت , ط 2, 1980م.

الأعمال الكاملة, تحقيق د. محمد عمارة, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت.

❊أمين, أحمد, زعماء الإصلاح فى العصر الحديث, دار الكتاب العربى, ط 1, بيروت, (بدون سنة).

ـ ب ـ

❊ الباقرى, د. جعفر, ثوابت ومتغيرات الحوزة العلمية, دار الصفوة, بيروت ط 1, 1994.

❊ بن نبى, مالک, بين الرشد والتيه ترجمة عمر مسقاوى, دار الفكر, دمشق ط 1 1964م.

ـ ت ـ

❊ الترابى, د. حسن, الفكر الإسلامى .. هل يتجدد؟, مكتبة الجديد تونس.

- ح -

* حسن, د. عباس, الفكر السياسى الشيعى, الدار العالمية, بيروت, ط 1, 1998م.

حرب, د. اسامة الغزالى, الأحزاب السياسية فى العالم الثالث, المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب الكويت, (بدون سنة), (بدون طبعة).

- خ -

* الخمينى, الإمام روح الله, الفصل بين الدين والسياسة, ترجمة وإعداد محمد على حسين, وزارة الإرشاد الإسلامى طهران 1985م.

ـ خطاب بمناسبة مجزرة مكة, المستشارية الثقافية الإيرانية, بيروت 1988م.

ـ الإسلام طريق العزة والكرامة والكمال الإنسانى, منظمة الاعلام الإسلامى, طهران, 1982م.

ـ حديث الشمس, ترجمة رعد جبارة, منظمة الإعلام الإسلامى, ط 1, 1977م.

ـ الكلمات القصار (مواعظ وحكم من كلامه) الوحدة الثقافية, بيروت , ط 1, 1955.

ـ صحيفة نور (مجموعة من خطاباته واحاديثه), وزارة الإرشاد الإسلامى, طهران 1368هـ ش.

ـ الكوثر (مجموعة من خطاباته), مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام , طهران, ط 1, 1317هـ ش, ج 1 , 2, 3.

ـ الجهاد الأكبر, الدار الإسلامية, بيروت 1980.

ـ الآداب المعنوية للصلاة, دار طلاس دمشق ط 1, 1371هـ ش, 1984م.

ـ الحكومة الإسلامية, المكتبة الإسلامية الكبرى, طهران, ط 2, 1980م.

ـ البيان التاريخى الموجه للعلماء والحوزات 15 رجب 1409هـ إصدار مجلة بقية الله, بيروت 1990م.

ـ تحرير الوسيلة, دار الأنوار, بيروت 1982م, (بدون طبعة).

ـ دروس فى الجهاد والرفض وثائق ومواقف من مسيرة جهاد الإمام , منشورات مجلة فلسطين المحتلة, بيروت 1990م.

ـ مواقف الإمام تجاه إسرائيل, دار التوجيه الإسلامى, الكويت, 1981م.

ـ مختارات من أقوال الإمام, ترجمة محمد جواد المهرى, إصدار وزارة الإرشاد الإسلامى, طهران ط1, ج1, 2, 3, 4, 1402هـ

ـ الوصية الخالدة (السياسية الإلهية), مكتب وكلاء الإمام, بيروت ط1, 1990م.

ـ الاستقلال الثقافى طريق الثورة نحو الأصالة الإسلامية, ترجمة وإعداد محمد على حسين, طهران, (بدون سنة).

ـ الاستقامة والثبات فى شخصية الإمام, ترجمة الشيخ كاظم ياسين, مركز الإمام الخمينى الثقافى, بيروت, ط1, 1992م.

خطاب الانتصار, الوحدة الإعلامية فى حزب الله, بيروت ط1, 1992م.

ـ توجيهات الإمام إلى المسلمين, ترجمة محمد مهدى المهرى, وزارة الإرشاد الإسلامى طهران, ط1, 1402هـ

ـ النداء التاريخى بمناسبة الحج, عام 1407هـ مؤسسة الفكر الإسلامى (ب.م) نظرة سريعة على الثورة الإسلامية, مؤسسة مجاهدى الثورة الإسلامية, طهران, ط1, 1359هـ.ش.

ـ س ـ

*سلطان, د. جمال, تجديد الفكر الإسلامى, دار الوطن, الرياض, ط1, 1412هـ

*سليمان, د. سمير, الإمام الخمينى والمشروع الحضارى الإسلامى, دار الوسيلة, بيروت ط1, 1992م.

ـ ش ـ

* شريعتى, د. على, الأمة والامامة, ترجمة أبو على مؤسسة الكتاب الثقافية طهران 1367هـ.ش.

ـ إسلام شناسى جابخانه, طوس, إيران, مشهد 1374هـ.ش.

*شمس الدين, محمد مهدى, فى الاجتماع السياسى الإسلامى, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر, بيروت ط1, 1992م.

* شوفاليه, جان جاک, تاريخ الفكر السياسى, ترجمة د. محمد عرب صاصيلا, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر, بيروتو ط1, 1985م.

* شرف الدين, الإمام, المراجعات, مطبوعات النجاح بالقاهرة, ط30, 1979م.

(ص)

* الصدر, محمد باقر, التشيع والإسلام, دار الغدير, بيروت ط4 1973م.

ـ اقتصادنا, دار التعارف للمطبوعات , ط5, بيروت, 1981م.

ـ المدرسة القرآنية, دار التعارف للمطبوعات, بيروت, 1980.

- ع -

*العاملى, الحر, وسائل الشيعة, دار إحياء التراث العربى, بيروت, 1971م.

*العاملى, جعفر المرتضى, ولاية الفقيه بحث فقهى استلالى , قم 1402هـ

*عواد, د. رياض سليمان, محاضرة مطبوعة (المؤتمر الثامن للفكر الإسلامى), الإمام وسياسة اللاشرقية واللاغربية, منشورات منظمة الاعلام الإسلامى, طهران 1990م.

* عبد الله, حسن عبد الله, يوميات الثورة الإيرانية, دار الكتاب بيروت, ح1, ط1, 1979م.

- غ -

*غليون, برهان, الاجتهاد والتجديد فى الفكر الإسلامى المعاصر, مركز دراسات العالم الاسلامى, مالطا, ط1, 1991م.

- ق -

* قصير, عبد الله, ولاية الفقيه الدين والسياسى, بحث أعد لنيل شهادة الجدارة فى علم الاجتماع السياسى, الجامعة اللبنانية, معهد العلوم الاجتماعية, الفرع الأول, بيروت1994م.

ـ ك ـ

❊الكيالى, د. عبد الوهاب, موسوعة السياسة, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, ط3, ج1, 2, 3 , 4, 5, بيروت, 1990م.

❊ المدرسى, محمد تقى, المنطق الإسلامى وأصوله ومناهجه, دار الجليل, بيروت ط2. 1981م.

❊ الميلاد, زكى, الفكر الإسلامى بين التأصيل والتجديد, دار الصفوة, بيروت, ط1, 1994م.

❊ مغنية, محمد جواد, الشيعة والحاكمون, دار الهلال, بيروت, ط5, 1981م.

❊ مسعد, جبران, الرائد (معجم لغوى عصرى), دار العلم للملايين, بيروت, ط5, 1986م.

❊ مطهرى, مرتضى, الحركات الإسلامية فى القرن الأخير, دار الهادى, بيروت, 1982م.

❊ المقداد, محمد توفيق, من أنوار العشق الخمينى, دار الوسيلة, بيروت ط1, 1966م.

ـ هـ ـ

هويدى, فهمى, إيران من الداخل, مركز الأهرام للنشر والترجمة, القاهرة, ط3, 1988م.

ثانياً: دوريات

❊مجلة الوحدة الإسلامية, العدد 26, طهران, 1985م.

❊مجلة الشهيد, السنة السادسة, العدد 157, طهران, 1984م.

❊مجلة الاجتهاد, السنة الثالثة, العدد 9, خريف 1980م.

❊مجلة رسالة الثورة الإسلامية, العدد 30, طهران 1404هـ

❊مجلة المنطلق, الاتحاد اللبنانى للطلبة المسلمين, العدد 58, بيروت, أيلول 1989م.

❊مجلة التوحيد, تصدر عن منظمة الاعلام الإسلامى ـ طهران, العدد 36ـ1988م.

❊المصادر الأجنبية

Encyclopedie Del Islam (Paris Library – C.Klicksieck 1984).